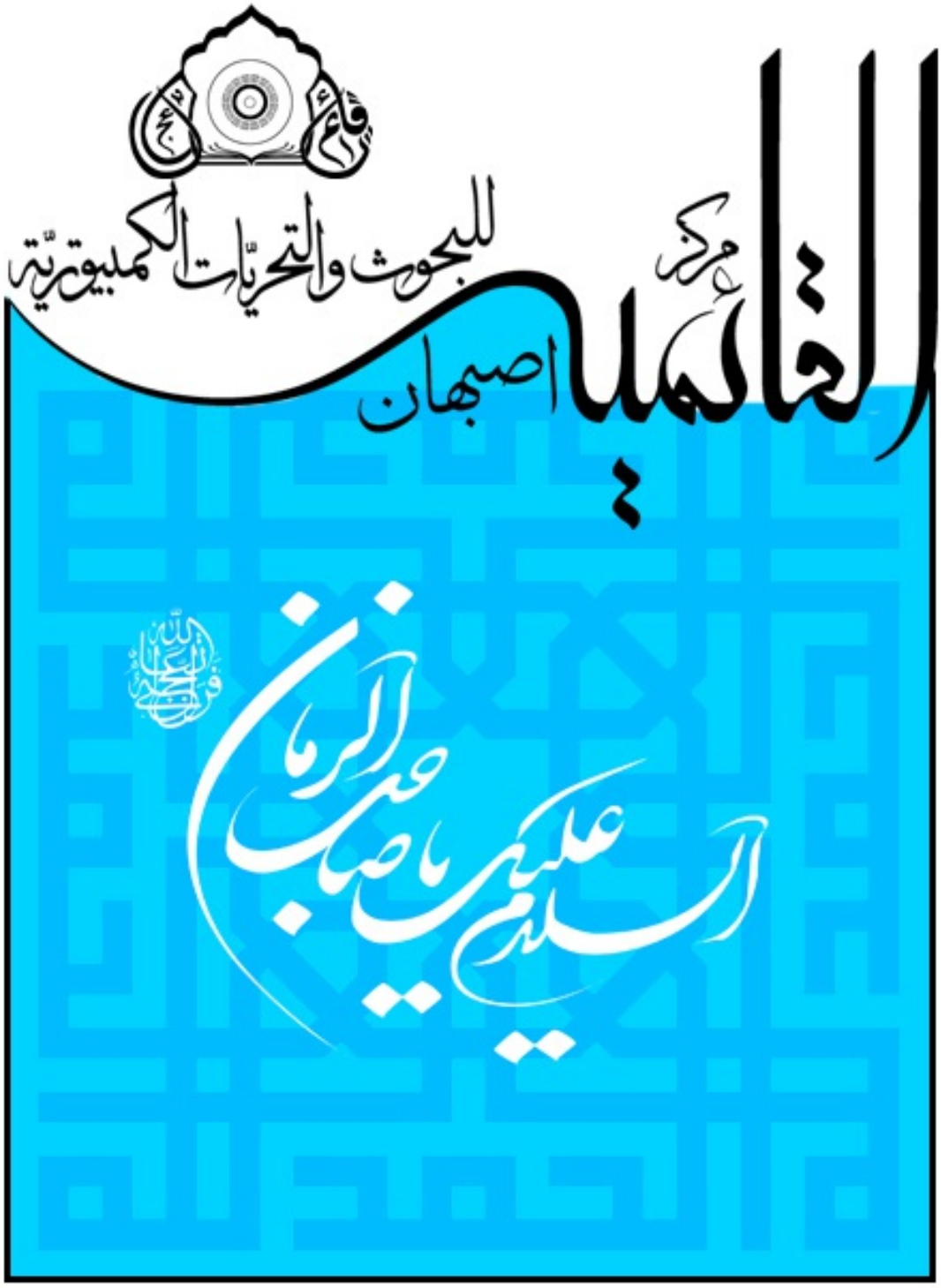

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

دفع الشبه
عن الرسول و الرساله

بسم الله الرحمن الرحيم

دفع الشبه عن الرسول (ص) و الرساله

كاتب:

ابوبكر بن محمد حصنى

نشرت فى الطباعة:

مشعر

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
دفع شبه من شبه و تمرد و نسب ذلک الی الامام احمد ----- ۱۰
اشارة ----- ۱۰
اشارة ----- ۱۰
المؤلف الإمام الحصنی ----- ۱۴
سبب تألیف الکتاب و موضوعه، و نسخته ----- ۲۰
کلمة لإدارة المطبعة للطبعة الأولی عام (۱۳۵۰هـ) ----- ۲۴
هذه النسخة ----- ۲۶
مقدمة المؤلف و سبب التألیف ----- ۲۸
القائلون بالتجسیم من أئمة الحنابلة ----- ۳۲
عتاب المؤلف مع الحنابلة ----- ۳۴
تأرجح الحنابلة مع الهوی فی التجسیم والتأویل ----- ۳۶
تناقض دعواهم ----- ۳۶
الاستواء لغة و تأویلا ----- ۳۸
کلام ابن الجوزی الحنبلی فی الرد علی المجسمة ----- ۴۱
مجموعة من الأحادیث المتشابهة ----- ۴۴
اختلاف الناس فی هذه الأخبار ----- ۵۵
اتهام الإمام أحمد بالتجسیم ----- ۵۶
کلام الإمام الشافعی و أبی حنیفة و مالک، فی التأویل ----- ۵۸
کلام السلف فی التأویل ----- ۶۰
قول البغدادین فی التأویل ----- ۶۱
کلام یحیی بن معاذ فی التأویل ----- ۶۲
قول أهل التحقیق من أهل السنة والجماعة بالتأویل ----- ۶۴

مجموعة من تأويلات ابن عباس ۶۴
قول محمد بن المنكدر بالتأويل ۶۸
حديث حذيفة فی الفتن و نبوغ الأهواء ۶۹
بدعة الكرامية والحنابلة ۷۳
البدعة و أسبابها ۷۸
التوسل بالنبی فی القرآن ۸۲
ابن تيمية الحرانی و آراؤه ۸۶
انتساب ابن تيمية إلى مذهب أحمد بن حنبل ۸۷
خداعه لعوام الناس ۸۸
محايلته للعلماء ۸۹
التزام ابن تيمية للتقية ۸۹
تزوير ابن تيمية فی المصنفات والمصادر ۹۰
اساليب التيمية فی خداع المسلمين ۹۱
التحذير من عقائد التيمية أهل الزيغ ۹۳
المرسوم السلطانی بشأن ابن تيمية ۹۴
تاريخ ابن تيمية كما نقله المؤرخ ابن شاكر ۹۹
كلام ابن تيمية فی الاستواء و وثوب الناس عليه ۹۹
تاريخ ابن تيمية الأسود ۱۰۱
فتوى الأئمة الأربعة بكفر ابن تيمية ۱۰۷
حكم ابن حيان على ابن تيمية بالتشبيه ۱۰۹
التوحيد والعدل فی كلام الأئمة ۱۱۱
فی التسبيح ۱۱۶
فی التقديس ۱۱۷
فائدة جليلة للمنزه والمشبه ۱۱۹

حقيقة التوحيد فی الذات والأفعال ---- ۱۲۱
ذو الجلال والإكرام ---- ۱۲۲
الدعوة إلى اتباع العقل والنقل ---- ۱۲۴
مبحث الرد على ابن تيمية فی قوله بفناء النار ---- ۱۲۸
مبحث الرد عليه فی القول بقدم العالم ---- ۱۳۰
تكذيب ابن تيمية للنبوة و توهينه لمقام النبی ---- ۱۳۲
تجاسر ابن تيمية على الإمام أحمد ---- ۱۳۳
ادعاء ابن تيمية للاجماع، فی موارد الخلاف ---- ۱۳۳
ابن تيمية رافضی و يقول بالتناسخ ---- ۱۳۵
تجويز ابن تيمية للمكس ---- ۱۳۶
قول ابن تيمية بالتفرقة فی احترام النبی بين حياته و موته و تكفيره الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة ---- ۱۳۷
اقوال الأئمة فی التوسل بالنبی ---- ۱۳۸
فرقة ابن تيمية مبتدعة ---- ۱۳۹
فی بقاء النبی بعد موته والاستغاثة به ---- ۱۴۲
حرمة النبی وتعظيمه فی القرآن ---- ۱۴۳
عصمة النبی ---- ۱۴۴
التوسل بالنبی قبل مولده ---- ۱۴۸
المنكر للتوسل: أسوأ من اليهود ---- ۱۴۹
توسل أبی البشر آدم بالنبی ليغفر له ---- ۱۴۹
مناظرة المنصور العباسی و مالک إمام المذهب ---- ۱۵۲
الأعرابی المتوسّل بجاه النبی ---- ۱۵۴
قصّة العتبی فی التوسل بالنبی صلی الله عليه و آله و سلم ---- ۱۵۴
قصة الراهبين مع أبی عبدالله الفرحی ---- ۱۵۶
قصة سفيان الثوری مع المصلی على النبی فی الطواف ---- ۱۵۹

حدیث عثمان بن حنیف والضریر المتوسل بالنبی ۱۶۱
حرمة الرسول بعد وفاته ۱۶۳
فضیلة الصلاة علی النبی ۱۶۵
ابن تیمیة فی قبره ۱۷۱
الاستغاثة بالنبی علی طول التأریخ ولو من بعید ۱۷۲
من أنباء التوسل بقبر النبی و آثاره ۱۷۸
التفریق فی التوسل بین الحیاة والممات، باطل ۱۷۸
فتوی ابن تیمیة بأن زیارة النبی فی قبره معصیة ۱۷۹
فتاوی العلماء باستحباب زیارة القبور ۱۸۰
استدلال ابن تیمیة علی أقواله بالباطل ۱۸۱
تقلید ابن تیمیة حرام لا یجوز ۱۸۶
کلام ابن قدامة فی الزیارة ۱۸۶
حدیث لا تشد الرحال و ألفاظه ۱۸۸
زیارة قبر النبی سنة سائرة بین المسلمین ۱۹۳
ابن تیمیة من أعظم الکذبة والفجار ۱۹۶
زیارة قبر النبی من أفضل المندوبات ۱۹۸
کلمات أئمة الحنابلة فی استحباب زیارة قبر النبی ۱۹۸
القول بوجوب زیارة قبر النبی ۱۹۹
تجاسر السلفیة علی وفد الله تعالی و ضیوف الرحمن ۲۰۰
حکم ابن تیمیة علی مجموعة من أحادیث الزیارة بالوضع والکذب ۲۰۰
التحذیر من تقلید ابن تیمیة ۲۰۱
احادیث فی زیارة قبر النبی ۲۰۲
طعن ابن تیمیة فی الأئمة والأحادیث المرویة ۲۰۸
احتجاج ابن تیمیة علی منع الزیارة و تدلیسه فی کلامه ۲۰۹

و احتجاج ابن تیمیة بحدیث آخر علی مدعاه ---- ۲۱۶
موارد من أدعیة النبی ---- ۲۱۶
استدلال ابن تیمیة علی أن التوسل شرک، والرد علیه ---- ۲۲۵
ابن القیم و ابن کثیر و تعزیره لأجل اتباع ابن تیمیة ---- ۲۲۷
ابن رجب الحنبلی یکفر ابن تیمیة ---- ۲۲۸
الدعوة إلی معارضة ابن تیمیة و أتباعه السلفیة قولا و عملا ---- ۲۳۰
تعریف مرکز ---- ۲۳۳

دفع شبه من شبه و تمرد و نسب ذلک الی الامام احمد

اشارة

سرشناسه : حصنی، ابوبکربن محمد، ۷۵۲ - ۸۲۹ق.

عنوان و نام پدیدآور : دفع شبه من شبه و تمرد و نسب ذلک الی الامام احمد/ تالیف ابوبکربن‌محمدبن‌عبدالمومن‌تقی الدین الحصنی‌الدمشقی (۷۵۲ - ۸۲۹).؛ تحقیق جماعه من العلماء؛ باشراف السیدمحمدرضا الحسینی‌الجلالی.

مشخصات نشر : تهران: نشر مشعر، ۱۳۹۱.

مشخصات ظاهری : ۲۵۶ ص.

شابک : ۹۷۸-۹۶۴-۵۴۰-۳۷۱-۱

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : عربی.

یادداشت : چاپ قبلی: المکتبة الازهریه للتراث، [۱۴ق. = ۱۹م. = ۱۳].

یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس.

موضوع : فقه شافعی -- قرن ۹ق.

شناسه افزوده : حسینی جلالی، سیدمحمدرضا، ۱۳۲۴ - ، ویراستار

رده بندی کنگره : BP۱۷۶/۴/ح۶د۷ ۱۳۹۱

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۳۳۳

شماره کتابشناسی ملی : ۲۷۳۶۱۳۷

ص: ۱

اشارة

ص: ۲

ص: ۳

ص: ۴

ص: ۵

المؤلف الإمام الحصنی

قال صاحب شَذَرَات الذَّهَب(الجزء التاسع: الصفحات ۲۷۳- ۲۷۵)، فی وفیات عام(۸۲۹ ه): وفیها الشیخ تقی الدین أبو بکر بن محمد بن عبدالمؤمن بن حریز بن سعید بن داود بن قاسم بن علی بن علوی بن ناشی بن جوهر بن علی بن أبی القاسم بن سالم بن عبداللّه بن عمر بن موسی بن یحیی بن علی الأصغر بن محمد التّقی (۱) بن حسن العسکری (۲) بن علی [الهادی] بن محمد بن الجواد بن علی الرّضا بن موسی الکاظم بن جعفر الصّادق بن محمد الباقر بن علی زین العابدین بن الحسین الشهید بن أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب.

۱- کذا الصواب، وفی المطبوع: المتّقی.

۲- لفظة «العسکری» سقطت من «ط».

ص: ۶

الحِصْنى- نسبة إلى الحِصْن قرية من قرى حوران (۱)- ثم الدمشقى، الفقيه الشافعى (۲).

ولد سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة، وتفقه بالشّريشى، والزُّهرى، وابن الجابى، والصَّرْخَدى، والغَزّى، وابن غَنُّوم. وأخذ عن الصَّدر اليَاسُوفى، ثم انحرف عن طريقته. وحطّ على ابن تَيْمِيَّة (۳)، وبالغ فى ذلك، وتلقى ذلك عنه الطلبة بدمشق، وثارت بسبب ذلك فتن كثيرة.

وكان يميل إلى التقشف ويبالغ فى الأمر بالمعروف والنَّهى عن المنكر، وللناس فيه اعتقاد زائد.

ولخّص «المهمات» فى مجلد، وكتب على «التنبيه».

قال القاضى تقى الدِّين الأسدى: كان خفيف الرّوح، منبسطاً، له نوادر، ويخرج إلى النُّزَه، ويبعث الطلبة على ذلك.

مع الدِّين المتين، والتَّحرى فى أقواله وأفعاله، وتزوَّج عدّة نساء، ثم انقطع وتقشَّف وانجمع، وكل ذلك قبل القرن (۴)، ثم ازداد بعد الفتنة تقشّفه وانجماعه، وكَثُرَت مع ذلك أتباعه، حتَّى امتنع من مكالمة الناس، ويُطلق لسانه فى القُضاة وأصحاب الولايات.

۱- قال ياقوت فى «معجم البلدان»(۲/ ۲۶۵): «حصن مَقْدِيَة»: هو من أعمال أذرعات من أعمال دمشق.

۲- ترجمته فى «إنباء الغمر» لابن حجر العسقلانى ۸/ ۱۱۰ وفيه «محمد بن عبداللَّه» و «طبقات الشافعية» لابن قاضى شبهة(۴/ ۹۷- ۹۹) و «الضوء اللامع» للسخاوى(۱۱/ ۸۱) و «درر العقود الفريدة» للمقريزى(۱/ ۱۹۰- ۱۹۱)، وترجم له أيضاً: ابن خطيب الناصرية فى تاريخ حلب، والرضىّ الغزّى فى بهجة الناظرين، وله ترجمة فى الفتاوى السهمية فى ابن تيميّة.

۳- لفظة «تيمية» سقطت من «آ».

۴- أى قبل دخول القرن التاسع الهجرى.

ص: ۷

وله فى الزُّهد والتَّقلُّل من الدّنيا حكايات تضاهى ما نُقِلَ عن الأقدمين، وكان يتعصب للأشاعرة، وأصيب فى سَمْعِهِ وبصره فضعف.

وشرع فى عِمَارَة رِبَاطٍ داخل باب الصغير، فساعده الناس بأموالهم وأنفسهم، ثم شرع فى عِمَارَة خان السَّبيل ففرغ فى مدة قريبة.

وكان قد جمع تآليف كثيرة قبل الفتنة، وكتب بخطّه كثيراً فى الفقه والزُّهد.

وقال السخاوى: شَرَح «التنبيه» (۱)أى الأربعين النووية.

(۲) و «المنهاج» (۳)أى الأربعين النووية.

(۴) وشرح «مسلم» فى ثلاث مجلدات، ولخّص «المهمات» (۵) فى مجلدين، وخرّجَ أحاديث «الإحياء» مجلد (۶) وشرح «النواوية» مجلد (۷)، و «أهوال القيامة» (۸) مجلد، وجمع «سير نساء السَّلف العابدات» مجلد، و «قواعد الفقه» مجلد، و «تفسير القرآن إلى الأنعام» آيات متفرّقة مجلد، و «تأديب القوم» مجلد، و «سير السالك» مجلد، و «تنبيه السالك على مضار (۹) المهالك» ست مجلدات، و «شرح الغاية» مجلد، و «شرح النهاية» مجلد، و «قمع النّفوس» مجلد، و «دفع الشُّبه» (۱۰) مجلد، و «شرح أسماء اللّه الحسنى» مجلد،

۱- التنبيه لأبى إسحاق الشيرازى، فى الفقه الشافعى، والشرح

۲- مجلدات.

۳- المنهاج للنووى، والشرح فى

۴- مجلدات.

۵- المهمات للاسنوى.

۶- قلت: لم أعثر على ذكر لكتابه المذكور عند السخاوى فى «الضوء اللامع» ولكن ذكره ابن قاضى شهبة فى «طبقاته» فى معرض حديثه عن مؤلّفاته ولعلّ المؤلّف قد نقل عنه وعزا النقل للسخاوى. واللّه أعلم.

۷- أى الأربعين النووية.

۸- فى بعض المصادر: أهوال القبور.

۹- فى «ط»: «مظان» وما جاء فى «آ» موافق لما عند ابن قاضى شهبة والسخاوى، وفى اسم‌الكتاب اختلاف.

۱۰- كتابنا هذا.

ص: ۸

و «المولد» مجلد.

وتوفى بخلوته بجامع المزَّاز بالشاغور، بعد مغرب ليلة الأربعاء خامس عشر جمادى الآخرة وصُلِّى عليه بالمصلى، صلَّى عليه ابن أخيه، ثم صُلِّى عليه ثانياً عند جامع كريم الدِّين، ودفن بالقُبيبات فى أطراف العمارة على جادة الطريق عند والدته.

وحضر جنازته عَالَمٌ لا يحصيهم إلّااللَّه، مع بعد المسافة وعدم علم أكثر الناس بوفاته، وازدحموا على حمله للتبرك به، وختم عند قبره ختمات كثيرة، وصلّى عليه أُمَمٌ ممن فاتته الصلاة على قبره، ورؤيت له منامات صالحة فى حياته وبعد موته.

انتهى.

وفى كتاب البدر الطالع(۱/ ۱۶۶):

السيد أبو بكر بن محمد بن عبدالمؤمن بن حريز- بمهملتين وآخره زاى- العَلَوى الحسينى الحصنى ثم الدمشقى الشافعى المعروف بالتقى الحصنى(ولد) سنة ۷۵۲ ه.

وأخذ العلم عن جماعة من أهل عصره وبرع، وقصده الطلبة وصنف التصانيف كشرح التنبيه فى خمس مجلدات، وشرح أربعين النووى فى مجلد.

وشرح مختصر أبى شجاع فى مجلد. وشرح الأسماء الحسنى فى مجلد، وتلخيص مهمّات الأسنوى فى مجلدين، وقواعد الفقه فى مجلدين. وله فى التصوّف مصنّفات و(مات) ليلة الأربعاء منتصف جمادى الآخرة سنة ۸۲۹ ه.

وقال خير الدين الزركلى الوهابى فى الأعلام(۲/ ۹۹):

الإمام تقى الدين أبى بكر الحصنىّ الدمشقى(ت ۸۲۹ ه):

تقى‌الدين الحصنى:(۷۵۲- ۸۲۹ ه: ۱۳۵۱- ۱۴۲۶ م).

ص: ۹

أبو بكر بن محمـد بن عبـدالمؤمن بن حريز بن معلّى الحسـينى الحصـنى، تقى الـدين: فقيه ورع من أهل دمشق. ووفاته بها. نسـبته إلى الحصن(من قرى حوران) وإليه تنسب «زاويـة الحصـنى» بناها رباطاً فى محلة الشاغور بدمشق، وله تصانيف كثيرة منها: كفاية الأخبار- ط، شـرح به الغايـة فى فقه الشافعيـة، ودفع شـبه من شـبه وتمرّد ونسب ذلك إلى الإمام أحمـد- ط، وتخريـج أحاديث الإحياء، وتنبيه السالك على مظان المهالك. ست مجلدات، وقمع النفوس.

ص: ۱۰

ص: ۱۱

سبب تأليف الكتاب و موضوعه، و نسخته

سبب تأليف الكتاب وموضوعه، ونسخته

قال العلامة التقى محبّ السنة والذاب عنها بكل ما استطاع فى هذا العصر الشيخ محمد زاهد الكوثرى: فى ظهر الأصل المقابل به بخط الحافظ محمد بن طولون:

(فائدة) سبب تكلّم المؤلّف رحمه اللّه تعالى فى ابن تيمية وأتباعه ما نقل له عن الشيخ العلامة ناصر الدين التنكزى: أَنه اجتمع ببعض من ينتسب للحنابلة قال:

فرأيته يقول بمسألة التناسخ، ولا يقطع لأطفال المسلمين بالجنة وسمع منه هذا القول شخص آخر.

ونُقل للشيخ المؤلف أيضاً: أنّ شخصاً قال عند هذا المبتدع المشار إليه «يا جاه محمد».

فقال: لا تقل «يا جاه محمد»!

وكذا نقل له عن شخص آخر قال ذلك عنده، فقال: لا تقل «يا جاه محمد»،

ص: ۱۲

فإنّه قد بقى قفهٔ عظام؟» نعوذ باللّه العظيم من هذه الزلهٔ الجسيمهٔ.

وسمع هذا الكلام أيضاً ابن أخ الشيخ المؤلف، فاجتمع مع عمه فتذاكرا ما وقع فيه الجاهل المشار إليه، ثم قال: يا عمّ، لو تكلّمت فى ذلك، فقال: أَنا مشغول بنفسى.

فقال: ما يخلّصك هذا عند اللّه عزّوجلّ، كيف يتعرّض هذا الجاهل للرسول صلى الله عليه و آله و سلم، وحطّ مرتبته ومراتب النبيين ويتكلّم فى اللّه بما لا ـ يليق بجلاله، وغير ذلك مما هو زندقهٔ؟؟! لا يخلّصك هذا عند اللّه مع تمكّنك من ردع هذا الزائغ عن تنزيه اللّه، وتعظيم رسوله عليه الصلاهٔ والسلام.

فقال المؤلّف رحمه اللّه تعالى: ائتونى بشىء من كلام هذا الرجل، أنظر فيه، فإذا تكلّمتُ تكلمتُ على بصيرهٔ.

فأتى بأشياء من كلامه، فلمّا رأى كلامه، تكلّم بما تكلّم رحمه الله (۱):

قال شيخنا النعيمى ومن خطه نقلت: نقلتها من خطّ شيخنا شهاب الدين بن قرا، تلميذ المؤلّف ملخصاً لها:

انتهى ما وجدته بخط ابن طولون (۲) فى ظهر الأصل المذكور.

وترجمهٔ المصنف مبسوطهٔ فى كتاب(الضوء اللامع فى القرن التاسع) للحافظ محمد بن عبدالرحمن السخاوى، وفى(طبقات الشافعيهٔ) للتقى ابن قاضى شهبهٔ وفى

۱- ولاحظ ما سيذكره المؤلّف عن سبب التأليف، فى مقدمهٔ الكتاب.

۲- فابن طولون هذا حافظ جليل له من المؤلّفات ما يقرب من ستمائهٔ مؤلّف وتوفى سنهٔ ۹۵۳ سنهٔ تسعمائهٔ وثلاث وخمسين.

ص: ۱۳

(الطبقات) للرضى الغزى العامرى.

وله مؤلّفات ممتعة: كشرحه على صحيح مسلم فى ثلاث مجلدات وشرحه على التنبيه فى خمس مجلدات، وشرح على المنهاج كذلك، وطبع حديثاً شرحه على مختصر أبى شجاع فى مجلدين، وكان من مفاخر الشافعية فى عصره زهداً وعلماً وسيرة، وسنستوفى ترجمته إن شاء اللَّه تعالى عند قيامنا بشرحه.

انتهى كلام الإمام الكوثرى.

ص: ۱۴

ص: ١٥

كلمة لإدارة المطبعة للطبعة الأولى عام (١٣٥٠هـ)

من عجائب الصدف أننا ما كدنا ننتهى من طبع آخر ملزمة من الكتاب البديع(غوث العباد ببيان الرشاد) لحضرة صاحب الفضيلة ملك البيان وحامل لواء البرهان الاستاذ الشيخ مصطفى أبو سيف الحمامى أحد العلماء وخطيب المسجد الزينبى.

حتى ساق اللَّه تعالى إلينا نسخة خطية جليلة من كتاب «دفع شبه من شبّه وتمرّد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد» للإمام الهمام أبى بكر تقى الدين الحصنى رضى الله عنه.

عُنى حضرة صاحب الفضيلة المرشد الجليل والعلامة النبيل الشيخ سلامة العزّامى النقشبندى باستنساخها ونقلها من نسخة أخرى خطية ليس فى القطر المصرى سواها- على ما نعلم- هى لحضرة صاحب الفضيلة البحاثة المعروف

ص: ١۶

والجهبذ الشهير الشيخ محمد زاهد الكوثرى.

ومن فضل اللّه علينا أن هيّأ لنا من الظروف ما مكننا بعد قليل من النسخة الأصلية التى بيد الشيخ الكوثرى.

فرأينا أن يكون الجمع مع النسخة الفرعية والمقابلة فى التصحيح على النسخة الأصلية ليخرج الكتاب كما نحب له من الصحة والاتقان.

وإنا نقدمه، بيد الفرح والسرور، إلى إخواننا فى جميع أنحاء العالم الإسلامى، راجين أن يكون ذلك خدمة لهم ولديننا الحنيف الذى يعنينا ويهمّنا كثيراً أن نعيش ونموت فى خدمته.

وربنا المسؤول- وهو أكرم الأكرمين- أن يحقق لنا هذه الأمنية الغالية.

إدارة مطبعة

دار إحياء الكتب العربية

القاهرة ١٣٥٠ ه.

ص: ۱۷

هذه النسخة

اعتمدنا فی تحقیق الکتاب علی النسخة المطبوعة فی دار إحیاء الکتاب العربی، لأصحابها عیسی البابی الحلبی وشرکاؤه، فی القاهرة عام(۱۳۵۰ ه) عن نسخة الإمام المحقق العلامة الکوثری، مع تعلیقاته الثمینة.

وقد اطلعنا علی وجود نسخة للکتاب مخطوطة فی مکتبة جستربتی بمدینة دبلن الایرلندیة برقم(۴) فی المجموعة(۳۴۰۶) کتبت عام(۸۳۰) أی بعام واحد بعد وفاة المؤلّف جاء ذکرها فی مقال(ذخائر التراث العربی) المنشور فی مجلة(المورد) البغدادیة، العدد الأول السنة الاولی.

وقد قمنا بتصحیح المطبوعة، وعرضها علی المصادر التی اعتمدها المؤلّف، مثل کتاب(دفع شُبَه التشبیه) لابن الجوزیّ الحنبلی.

الذی نقل عنه المؤلّف قسماً کبیراً من عباراته واعتمدنا النسخة المطبوعة حدیثاً فی دار الإمام النووی- فی الأردن- عمّان، بضبط فضیلة الشیخ حازم نایف أبو عزان، وتحقیق وتقدیم العلامة المحدّث السید حسن السقاف.

ص: ۱۸

وقد حاولنا تخريج ما أثبته المؤلف من الأحاديث الشريفة، حسب المتوفّر من المصادر، وتصحيح المطبوعة حسب الوارد فيها.

وكذلك تصويب العبارات التى وقع الخطأ فى طباعتها، ومنها عبارة الصلاة البتراء التى وقعت فى الكتاب، بعد ذكر الرسول، حيث أثبتناها مع ذكر(آله) حذراً من ذلك البتر، واتّباعاً للسنّة المطهّرة التى علّمتنا الصلاة والسلام على نبيّنا الأكرم، بذكر آله معه فى ذلك التكريم.

ثم وضعنا عناوين لما جاء فى الكتاب مستخدمين المعقوفات لتمييزها عما جاء من العناوين فى الأصل المطبوع.

وقدّمنا الكتاب بتقديم احتوى على التعريف بالمؤلّف، حسب المصادر التى ترجمت لحياته.

والتعريف بالكتاب وذكر سبب تأليفه وبيان موضوعه، وعن نسخته هذه.

ونسأل اللّه أن يوفق المسلمين لقراءته والتزوّد مما أثبته المؤلّف فيه من حقائق، وأن يجزيه وإيانا على العمل الصالح، ويغفر لنا سيّئات أعمالنا آمين.

ونحمد اللّه على إحسانه وإفضاله، ونسأله الرضا عنا بجلاله وإكرامه، إنّه ذوالجلال والإكرام.

وآخر دعوانا أنّ الحمد للّه‌ربّ العالمين.

ص: ۱۹

مقدمة المؤلف و سبب التأليف

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

الحمد للَّه‌ربّ العالمين: وصلّى اللَّه على سيّد الأوّلين والآخرين، وأكرم السابقين واللاحقين، وسلّم ومجّد وكرّم.

سبحان من بيده الضرّ والنفع، والوصل والقطع، والتفرقة والجمع، والعطاء والمنع، وفّق من أحبّ لتنزيهه، فحمى موضع نظره منه، وكذا السمع، وخذل من أبغض، فجرى لشقاوته على ما اعتاده وأِلفه من ردىء الطبع، فهبّ على الأوّل نسيمُ إسعاده، وعلى الثانى ريحُ إبعاده، لصدع قلبه بتمويه العدّو، فياله من صَدْعِ.

تقدّس وتمجّد بعزّ كبريائه وجلاله، وتفرّد بأوصاف عظمته وكماله، كما عمّ بجوده و إفضاله و نَواله. تقدّس و تبارك عن مشابهة العبيد، و تنزّه عن صفات الحدوث.

فمن شبّه فقد شابه السامرة وأبا جهل والوليد، ومن عطّل ما ثبت له من صفاته بالأدلة القاطعة فهو عن الحقّ مائل ومُحيد (۱)، وكلا القسمين سفيه وشقّى وغير

۱- كان ينبغى أن يقول: «حائد»، ولعلّه اختار ذلك مراعاة للسجع. انتهى. مصحّحه.

ص: ۲۰

رشيد، ومن ورائهما عذاب شديد.

ونال خِلَع الرضوان فى دار الأمان من نزّه، مع تزايد الكرامات ولديه مزيد.

فشتّان بين من هو راتع فى رياض السلامة، ونُزُل الكرامة، فى دار المقامة، وبين المطرود المبعود (۱)، وقد حقّ عليه الوعيد.

وبعدُ: فإنّ سبب وضعى لهذه الأحرف اليسيرة، ما دهمنى من الحَيْرة من أقوام أخباث السريرة؛ يُظهرون الانتماء الى مذهب السيّد الجليل الإمام أحمد؛ وهم على خلاف ذلك والفرد الصمد.

والعجب أنّهم يُعظّمونه فى الملأ، ويتكاتمون إضلاله مع بقيّة الأئمة!

وهم أكفر مّمن تمرّد وجحد، ويضلّون عقول العوامّ وضعفاء الطلبة بالتمويه الشيطانى، وإظهار التعبّد والتقشّف، وقراءة الأحاديث، ويعتنون بالمُسنَد.

كلّ ذلك خُزَعْبَلات منهم وتمويه.

وقد انكشف أمرهم حتّى لبعض العوامّ، وبهذه الأحرف يظهر الأمر- إن شاء اللّه تعالى- لكلّ أحد، إلّالمن أراد عزّ وجلّ إضلاله وإبقاءه فى العذاب السرمد.

ومن قال بنفى ذلك- أى بنفى خلود العذاب وسرمديّته، وهو ابن تيميّة وأتباعه- فد تجرّأ على كلام الغفور، قال تعالى والّذين كَفَرُوا لَهمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضى عَلَيْهِمْ فَيمُوتُوا ولا يُخَفَّفُ عَنْهم مِنْ عَذابِهْا كذلك نجزى كلَّ كَفُور (۲)

.

وعلى العليم الحكيم فى قوله تعالى: يُرِيدونَ أن يخرجوا مِن النّار وما هُمْ بخارجين منها ولهم عذابٌ مُقيم (۳)

.

والآيات فى ذلك كثيرة عموماً وخصوصاً.

۱- اسم المفعول «مُبَعد»، فيقال فيه كما قيل فيما قبله. انتهى. مصحِّحه.

۲- سورة فاطر: ۳۶.

۳- سورة المائدة: ۳۷.

ص: ۲۱

ومنها قوله تعالى: رَبّنا اصرفْ عَنّا عَذَاب جَهنم إنّ عذابها كان غراما (۱)

والغرام المستمّر الذى لا ينقطع، فلو انقطع قدر نَفَسٍ لا يسمى غراماً.

ومن ذلك قوله تعالى: وجاء رَبُّك (۲)

.

قال الإمام أحمد: معناه جاء أمر ربك. قال القاضى أبو يعلى: قال الإمام أحمد:

المراد به قدرته وأمره، وقد بيّنه فى قوله تعالى: أو يأتى أمر رَبِّكَ (۳)

.

يُشير إلى حمل المُطلق على المُقيَّد، وهو كثير فى القرآن والسنّة والإجماع وفى كلام علماء الأُمـة، لأنّه لا يجوز عليه الانتقال سبحانه وتعالى.

ومثله حديث النزول.

ومّمن صرّح بذلك الإمام الأوزاعى والإمام مالك؛ لأنّ الانتقال والحركة من صفات الحَدَث، واللّه عزّ وجلّ قد نزّه نفسه عن ذلك.

ومن ذلك قوله تعالى إستوى على العرش (۴)

.

فإذا سأل العامّى عن ذلك فيقال له: الاستواء معلوم، والكَيْف مجهول (۵)، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة (۶).

۱- سورة الفرقان: ۶۵.

۲- سورة الفجر: ۲۲.

۳- سورة النحل: ۳۳.

۴- سورة الأعراف: ۵۴.

۵- فى(دفع شبه التشبيه) لابن الجوزى: والكيف غير معقول.

۶- قاله ابن الجوزى فى(دفع شبه التشبيه) ص ۱۱۰.

ص: ۲۲

وسنوضّح ذلك إن شاء اللّه تعالى.

وإنّما أجاب الإمام ربيعة بذلك، وتبعه تلميذه مالك؛ لأنّ الاستواء الذى يفهمه العوامّ من صفات الحدث، وهو سبحانه وتعالى- نزّه نفسه عن ذلك بقوله تعالى ليس كمثله شىء (۱)

، فمتى وقع التشبيه ولو بزنة ذَرّة جاء الكفر بالقرآن.

قال الأئمة: وإنّما قيل: السؤال بِدعة؛ لأنّ كثيراً مّمن يُنسب الى الفقه والعلم، لا يُدركون الغوامض فى غير المتشابه، فكيف بالمتشابه؟!

فآيات المتشابه وأحاديثه لا يعلمها إلّااللّه سبحانه، والقرآن والسُنّة طافحان بتنزيهه عزّ وجلّ.

ومن أسمائه القُدّوس، وفى ذلك المبالغة فى التنزيه ونفى خيال التشبيه.

وكذا فى قوله تعالى: قُلْ هُو اللّه أحد... الى آخره (۲)

لما فيها من نفى الجنسيّة والبعضيّة، وغير ذلك مّما فيه مبالغة فى تنزيهه سبحانه وتعالى.

وكان الإمام أحمد رضى الله عنه يقول: أمِرّوا الأحاديث كما جاءت (۳).

وعلى ما قال جرى كبار أصحابه كإبراهيم الحربى وأبى داود والأثرم، ومن كبار أتباعه أبو الحسين المنادى، وكان من المحقّقين، وكذلك أبو الحسن التميمى، وأبو محمد رزق اللّه بن عبدالوهاب، وغيرهم من أساطين الأئمة فى مذهب الإمام أحمد (۴).

وجروا على ما قاله فى حالة العافية وفى حالة الابتلاء.

فقال تحت السياط: «فكيف أقول ما لم يقل».

۱- سورة الشورى: ۱۱.

۲- سورة الأخلاص: ۱.

۳- سنن الترمذى ۴/ ۶۹۲، لاحظ دفع شبه التشبيه ص ۱۱۱.

۴- نفس المصدر والموضع.

ص: ۲۳

وقال فی آیة الاستواء: «هو کما أراد».

فمن قال عنه: إنّه من صفات الذات، أو صفات الفعل، أو إنّه قال: إنّ ظاهره مراد، فقد افتری علیه، وحسیبه اللّه تعالی فیما نسب إلیه مّما فیه إلحاقه- عزّ وجلّ- بخلقه الذی هو کفر صراح؛ لمخالفته کلامه فیما نزّه نفسه به سبحانه وتعالی عمّا یقولون.

القائلون بالتجسیم من أئمة الحنابلة

ومنهم ابن حامد (۱) والقاضی تلمیذه (۲) وابن الزاغونی (۳)، وهؤلاء مّمن ینتمی الی الإمام، ویتبعهم علی ذلک الجهلة بالإمام أحمد وبما هو معتمده مّما ذکرت بعضه، وبالغوا فی الافتراء؛ إمّا لجهلهم، وإمّا لضغینة فی قلوبهم، کالمغیرة بن سعید وأبی محمّد عبداللّه الکرامی؛ لأنهم أفراخ السامرة فی التشبیه ویهود فی التجسیم.

۱- الحسن بن حامد البغدادی الورّاق(توفی ۴۰۳) کان من أکبر مصنفی الحنابلة وشیخهم، لهشرح اصول الدین، ردّ علیه ابن الجوزی فی(دفع شبه التشبیه) ترجم له الذهبی فی سیر أعلام النبلاء ج ۱۷.

۲- هو القاضی أبو یعلی، محمد بن الحسین بن الفرّاء الحنبلی(توفی ۴۵۸) هو صاحب کتاب الصفات نقل ابن الأثیر فی الکامل ۱۰/ ۵۲ قول التمیمی فیه: لقد شان أبو یعلی الحنابلة شیناً لا یغسله ماء البحار. وقال فی حوادث عام(۴۲۹) فیها أنکر العلماء علی ابن الفرّاء ما ضمنه کتابه من الصفات المشعرة بأنه یعتقد التجسیم.

۳- علی بن عبیداللّه بن نصر الحنبلی(توفی ۵۲۷) صاحب کتاب الإیضاح، وهو من کتب التجسیم.

ص: ۲۴

وحُرِق المغيرة ومعه خمسة من أتباعه، كما أذكره من بعد.

قال ابن حامد فى قوله تعالى: ويبقى وجه ربّكَ (۱)

، وفى قوله تعالى: كُلُّ شىء هالك إلّاوجههُ (۲)

: «نُثبت للّهوجهاً، ولا نثبت له رأساً»، وقال غيره:

«يموت إلّاوجهه».

وذكروا أشياء يَقْشَعِرُّ الجسد من ذكر بعضها.

قال أبو الفرج بن الجوزى (۳): رأيت من تكلّم من أصحابنا فى الأُصول بما لا يصلح وانتدب للتصنيف، وهم ثلاثة: ابن حامد، وصاحبه القاضى، وابن الزاغونى، صنّفوا كُتباً شانوا بها المذهب.

وقد رأيتهم نزلوا الى مرتبة العوامّ، فحملوا الصفات على مقتضى الحسّ.

فسمعوا أنّ اللّه- سبحانه وتعالى- خلق آدم على صورته، فأثبتوا له صورة ووجهاً زائداً على الذات، وعينين وفماً ولهوات وأضراساً ويدين وأصابع وكفّاً وخنصراً وإبهاماً وصدراً وفَخِذاً وساقين ورِجلين.

وقالوا: ما سمعنا بذكر الرأس.

وقالوا: يجوز أن يُمَسّ ويَمُسّ ويُدنى العبد من ذاته.

وقال بعضهم: ويتنفّس.

ثمّ إنّهم يُرضُون العوامّ بقولهم: لا كما يُعقل.

وقد أخذوا بالظواهر فى الأسماء والإضافات، فسمّوا الصفات تسمية مُبتدعة؛ لا دليل لهم فى ذلك من النقل ولا من العقل.

۱- سورة الرحمن: ۲۷.

۲- سورة القصص: ۸۸.

۳- دفع شبه التشبيه بأكفّ التنزيه ص ۹۷- ۱۰۴.

ص: ۲۵

ولم يلتفتوا الى النصوص الصارفة عن الظواهر الى المعانى الواجبة للّه سبحانه وتعالى، ولا الى إلغاء ما توجبه الظواهر من سِمات الحَدَث.

ولم يقنعوا أن يقولوا: صفة فعل؛ حتّى قالوا: صفة ذات.

ثمّ لمّا أثبتوا أنّها صفات [ذات] قالوا: لا نحملها على ما توجبه اللغة، مثل اليد على النعمة أو القدرة، ولا المجيء على معنى البِرّ واللطف، ولا الساق على الشدّة، ونحو ذلك.

بل قالوا: نحملها على ظواهرها المتعارفة.

والظاهر هو المعهود من نعوت الآدميّين، والشيء إنّما يُحمل على حقيقته إذا أمكن، فإن صرف صارف حُمل على المجاز.

وهم يتحرّجون من التشبيه، ويأنفون من إضافته إليهم، ويقولون: نحن أهل السُّنّة وكلامهم صريح فى التشبيه.

وقد تبعهم خلق من العوامّ على ذلك لجهلهم ونقص عقولهم، وكفروا تقليداً، وقد نصحتُ للتابع والمتبوع.

عتاب المؤلف مع الحنابلة

ثمّ أقول لهم على وجه التوبيخ: ياأصحابنا أنتم أصحاب نقل وأتباع، وإمامكم الأكبر أحمد بن حنبل يقول [وهو تحت السياط]: «كيف أقول ما لم يقل؟!».

هل بلغكم أنّه قال: إنّ الاستواء من صفة الذات المقدّسة، أو صفة الفعل؟

فمن أين أقدمتم على هذه الأشياء؟!

وهذا كلّه ابتداع قبيح بمن ينكر البِدْعة؟

ثمّ قلتم: إنّ الأحاديث تُحمل على ظاهرها، وظاهر القدم الجارحة.

وإنّما يقال: تُمرّ كما جاءت، ولا تقاس بشيء.

ص: ۲۶

فمن قال: «استوى بذاته»، فقد أجراه مجرى الحسّيّات، وذلك عين التشبيه.

فاصرفوا بالعقول الصحيحة عنه سبحانه ما لا يليق به من تشبيه أو تجسيم.

وأمِرّوا الأحاديث كما جاءت من غير زيادة ولا نقص.

فلو أنكم قلتم: نقرأ الأحاديث ونسكت، لما أنكر عليكم أحد.

ولا تُدخِلوا فی مذهب هذا الرجل الصالح السلفی- أعنی الإمام أحمد- ما لیس منه، فلقد کسوتم هذا المذهب شیناً قبیحاً؛ حتّی لا یقال عن حنبلیّ إلّامجسّم.

ثمّ زیّنتم مذهبکم بالعصبیّة ل «یزید بن معاویة»، وقد علمتم أنّ صاحب المذهب أجاز لعنته.

وقد کان أبو محمّد التمیمی یقول فی بعض أئمتکم: لقد شان المذهبَ شیناً قبیحاً لا یُغسل الی یوم القیامة (۱).

فالحاصل من کلام ابن حامد والقاضی وابن الزاغونی- من التشبیه والصفات التی لا تلیق بجناب الحقّ- سبحانه وتعالی- هی نَزْعة سامریة فی التجسیم، ونزعة یهودیة فی التشبیه، وکذا نزعة نصرانیة.

فإنّه لمّا قیل عن عیسی علیه السلام: إنّه روح اللَّه سبحانه وتعالی، اعتقدت النصاری أنّ للَّهصفة هی روح ولجت فی مریم علیها السلام.

وهؤلاء وقع لهم الغلط من سوء فهمهم، وما ذاک إلّاأنّهم سمّوا الأخبار أخبار صفات، وإنّما هی إضافات، ولیس کلّ مضاف صفة.

فإنّه- سبحانهوتعالی- قال: ونَفَخْتُ فیه مِنروحی (۲)

، ولیسللَّهصفة تسمّی روحاً، فقد ابتدع من سمّی المضاف صفة، ونادی علی نفسه بالجهل وسوء الفهم.

۱- إلی هنا المنقول عن ابن الجوزی فی(دفع شبه التشبیه) وبین المنقول والمطبوع هناک اختلاف، أثبتنا بعضه بین المعقوفات.

۲- سورة الحجر: ۲۹، سورة ص: ۷۲.

ص: ۲۷

تأرجح الحنابلة مع الهوى فى التجسيم والتأويل

ثمّ إنّهم فى مواضع يؤوّلون بالتشهّى.

وفى مواضع أغراضِهم الفاسدة يُجرون الأحاديث على مقتضى العرف والحسّ، ويقولون ينزل بذاته، وينتقل ويتحرّك، ويجلس على العرش بذاته.

ثم يقولون: لا كما يُعقل، يغالطون بذلك من يسمع من عامّى وسيّء الفهم.

وذلك عين التناقض، ومكابرة فى الحسّ والعقل؛ لأنّه كلام متهافت يدفع آخره أوّله وأوّلُه آخره.

وفى كلامهم: «نُنزّهه غير أنّنا لا ننفى عنه حقيقة النزول».

وهذا كلام من لا يعقل ما يقول.

ومثل قول بعضهم: المفهوم من قوله: هُو اللَّهُ الحىّ القيُّومُ (۱)

فى حقه هو المفهوم فى حقّنا إلّاأنّه ليس كمثله شىء.

فانظر- أرشدك اللَّه- كيف حكم بالتشبيه المساوى، ثمّ عقّبه بهذا التناقض الصريح؟!

وهذا لا يرضى أن يقوله من له أدنى رَويّة.

ولهم من مثل هذه التناقضات ما لا يحصى.

تناقض دعواهم

ومن التناقض الواضح فى دعواهم فى قوله تعالى: الرحمنُ على العرشِ استوى (۲)

أنّه مستقرّ على العرش.

۱- البقرة: ۲۵۵، آل عمران: ۲.

۲- سورة طه: ۵.

ص: ۲۸

مع قولهم فى قوله تعالى: أأمِنتُم مَنْ فى السماءِ (۱)

إنّ من قال: إنّه ليس فى السماءِ فهو كافر. ومن المحال أن يكون الشىء الواحد فى حيِّزينِ فى آن واحد وفى زمن واحد، ومن المعلوم أنّ «فى» للظرفية، ويلزم أنّه- سبحانه وتعالى- مظروف تعالى عن ذلك.

وفى البخارى (۲) من حديث أنس:(أنّه عليه السلام رأى نُخامة فى القبلة، فشقّ ذلك عليه حتّى رُؤى فى وجهه، فقال فحكّها بيده، فقال: إنّ أحدكم إذا قام فى صلاته، فإنّه يُناجى ربّه، أو إنّ ربّه بينه وبين القبلة) (۳).

وفيه من حديث ابن عمر رضى الله عنه: أنّه عليه السلام رأى نخامة فى جدار الكعبة فحكّها، ثمّ أقبل على الناس، فقال: إذا كان أحدكم يصلّى فلا يبصق قِبَل وجهه، فإنّ اللّه قِبَل وجهه إذا صلى».

وفى «صحيح مسلم» (۴) وغيره من حديث أبى هريرة رضى الله عنه: أنّه عليه السلام رأى نُخامة فى القبلة فقال:(ما بال أحدكم يستقبل ربّه فيتنخّع أمامه، أيُحبّ أحدكم أن يستقبل فيُنخَّع فى وجهه).

وفى الصحيحين (۵) من حديث أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه: أنّه عليه السلام قال:(يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم؛ إنّكم ليس تدعون أصمّ ولا غائباً؛ إنّكم تدعون سميعاً قريباً، وهو معكم).

۱- سورة الملك: ۱۶.

۲- صحيح البخارى: ۱/ ۱۵۹ ح ۳۹۷ كتاب الصلاة/ أبواب المساجد. ولاحظ فتح البارى(۱/ ۵۰۸)، وقال: فيه الردّ على من زعم أنّه على العرش بذاته.

۳- نفس المصدر السابق ح ۳۹۸. ولاحظ فتح البارى(۱/ ۵۰۹).

۴- صحيح مسلم: ۲/ ۷۶ كتاب الصلاة.

۵- صحيح البخارى: ۴/ ۵۴۱ ح ۳۹۸۶ كتاب المغازى، صحيح مسلم: ۸/ ۷۳ كتاب الذكروالدعاء والتوبة.

ص: ۲۹

وفی روایة:(والذی تدعون أقرب الی أحدکم من عُنُق راحلته) (۱).

وفی الصحیح (۲):(أنا عند ظنّ عبدی بی، وأنا معه یذکرنی).

وحدیث المریض (۳):(أما لو عدته لَوَجدتنی عنده).

وقال تعالی: وناديناهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأيمنِ (۴).

وقال تعالی: ونودیَ مِنْ شاطیء الوادی الأیمنِ فی البقعة المبارکةِ مِنَ الشجرةِ أنْ یاموسی إنّی أنا اللّه ربُّ العالمینَ (۵)

.

وقال تعالی: فأینما تُوَلّوا فَثَمَّ وجهُ اللَّهِ (۶)

.

وفی الترمذی (۷) فی حدیث العنان، وفیه ذکر الأرضین السبع؛ وأنّ بین کلّ أرض والأُخری کما بین السماء والأرض، قال علیه السلام:(والذی نفسی بیده لو دلّی أحدکم بحبل لوقع علی اللّه سبحانه وتعالی).

ومثل هذه الأدلّة کثیر، وکلّها قاضیة بالکون السُّفلی دون العُلوی.

الاستواء لغة و تأویلا

واعلم (۸) أنّ الاستواء فی اللغة علی وجوه، وأصله افتعال من السواء،

۱- مسند أحمد: ۴/ ۴۰۲، وهو فی الجامع الصحیح للربیع بن حبیب ۳/ ۳۵.

۲- صحیح البخاری: ۶/ ۲۶۹۴ ح ۶۹۷۰ کتاب التوحید. [وصحیح مسلم ۸/ ۹۱ کتاب التوبة] والنص بلفظ مسلم.

۳- کنز العمال: ۱۵/ ۸۲۴ ح ۴۳۲۷۷.

۴- سورة مریم: ۵۲.

۵- سورة القصص: ۳۰.

۶- سورة البقرة: ۱۱۵.

۷- سنن الترمذی: ۵/ ۳۷۶- ۳۷۷ ح ۳۲۹۸ کتاب التفسیر.

۸- من هنا ذکره ابن الجوزی فی دفع شبه التشبیه ص ۱۲۱ وانظر هامش ص ۱۲۳.

ص: ۳۰

ومعناه- أی السواء- العدل والوسط، وله وجوه فی الاستعمال:

منها: الاعتدال، قال بعض بنی تمیم: استوی ظالم العشیرة والمظلوم؛ أی اعتدلًا.

ومنها: إتمام الشیء، ومنه قوله تعالی: وَلَمّا بَلَغَ أشُدَّه واستوی (۱)

.

ومنها: القصد الی الشیء، ومنه قوله تعالی: ثُمَّ استوی الی السَّماء (۲)؛ أی قصد خلقها.

ومنها: الاستیلاء علی الشیء، ومنه قول الشاعر:

ثمّ استوی بِشرٌ علی العراقِ من غیر سیفٍ ودمٍ مُهراقِ

وقال آخر:

إذا ما غزا قوماً أباح حریمَهم وأضحی علی ما ملّکوه قد استوی (۳)

ومنها: بمعنی استقرّ، ومنه قوله تعالی: واستوت علی الجُودیّ (۴)

.

وهذه صفة المخلوق الحادث، کقوله تعالی: وجَعَلَ لکُم مِن الفلکِ والأنعامِ ما ترکبُون لتستوُوا علی ظُهورهِ (۵)

.

وهو نزّه نفسه سبحانه عن ذلک فی کتابه العزیز فی غیر ما موضع، وقطع المادّة فی ذلک أنّ المسألة علمیّة وکفی اللّه المؤمنین القتال والجدال.

۱- القصص: ۱۴.

۲- سورة البقرة: ۲۹.

۳- إلی هنا عن(دفع شبه التشبیه) ص ۱۲۱.

۴- سورة هود: ۴۴.

۵- سورة الزخرف: ۱۲.

ص: ۳۱

كلام ابن الجوزى الحنبلى فى الرد على المجسمة

قال أبو الفرج بن الجوزى: وجميع السلف على إمرار هذه الآية كما جاءت من غير تفسير ولا تأويل.

قال عبداللَّه بن وهب: كنّا عند مالك بن أنس ودخل رجل، فقال: يا أبا عبداللَّه الرحمن على العرشِ استوى (۱)

، كيف استواؤه؟

فأطرق مالك وأخذته الرُّحَضاء (۲)، ثمّ رفع رأسه فقال: الرحمنُ على العرشِ استوى، كما وصف نفسه، ولا يقال له: كيف، و «كيف» عنه مرفوع، وأنت رجل سوء صاحب بِدعة أخرجوه، فأُخرج (۳).

كان ابن حامد يقول: المراد بالاستواء القعود (۴).

وزاد بعضهم: استوى على العرش بذاته، فزاد هذه الزيادة، وهى جُرأة على اللَّه بما لم يقل.

قال أبو الفرج: وقد ذهب طائفة من أصحابنا الى أنّ اللَّه- عزّ وجلّ- على عرشه ما ملأه، وأنّه يُقعِد نبيّه معه على العرش (۵).

ثمّ قال: والعجب من قول هذا: ما نحن مجسّمة!

وهو تشبيه محض، تعالى اللَّه- عزّ وجلّ- عن المحلّ والحيّز؛ لاستغنائه عنهما، ولأنّ ذلك مستحيل فى حقّه- عزّ وجلّ- ولأنّ المحلّ والحيّز من لوازم الأجرام، ولانزاع فى ذلك، وهو- سبحانه وتعالى- منزّه عن ذلك؛ لأنّ الأجرام من صفات

۱- سورة طه: ۵.

۲- العرق الكثير يغسل الجلد.

۳- دفع شبه التشبيه ص ۱۲۲ وأنظر تعليقه.

۴- دفع شبه التشبيه ص ۱۲۸.

۵- دفع شبه التشبيه ص ۱۲۸.

ص: ۳۲

الحدث، وهو عزّ وجلّ منزّه عن ذلك شرعاً وعقلًا، بل هو أزلىّ لم يسبق بعدم؛ بخلاف الحادث.

ومن المعلوم أنّ الاستواء إذا كان بمعنى الاستقرار والقعود لابدّ فيه من المماسة، والمماسّة إنّما تقع بين جسمين أو جُرمين.

والقائل بهذا شبّه وجسّم، وما أبقى فى التجسيم والتشبيه بقيّة، كما أبطل دلالة ليس كمثله شىء (۱).

ومن المعلوم فى قوله تعالى لتستووا على ظهورهِ (۲)

أنّه الاستقرار على الأنعام والسفن، وذلك من صفات الآدميين.

فمن جعل الاستواء على العرش بمعنى الاستقرار والتمكّن، فقد ساوى بينه- عزّ وجلّ- وبين خلقه.

وذلك من الأمور الواضحة التى لا يقف فى تصوّرها بليد، فضلًا عمّن هو حسن التصوّر جيّد الفهم والذوق، وحينئذٍ فلا يقف فى تكذيبه ليس كمِثله شىء وذلك كفر محقّق.

ثمّ من المعلوم أنّ(الاستواء) من الألفاظ الموضوعة بالاشتراك، وهو من قبيل المجمل، فدعواه أنّه بمعنى الاستقرار فى غاية الجهل؛ لجعله المشترك دليلًا على أحد أقسامه خاصّة.

فالحمار مع بلادته لا يرضى لنفسه أن يكون ضُحكة؛ لجعله القسم قسيماً.

فمن تأمّل هؤلاء الحمقى وجدهم على جهل مركّب؛ يحتجّون بالأدلّة المجملة التى لا دليل فيها قطعاً عند أهل العلم.

ويتركون الأدلّة التى ظاهرها فى غاية الظهور فى الدليل على خلاف دعواهم،

۱- سورة الشورى: ۱۱.

۲- سورة الزخرف: ۱۳.

ص: ۳۳

بل بعضها نصوص، كما قدّمته فى حديث النخامة وغيرها. فتنبّه لذلك لتبقى على بصيرة من جهل أولئك.

ومن المعلوم أنّه- عزّ وجلّ- واجب الوجود كان، ولا زمان ولا مكان، وهما- أعنى الزمان والمكان- مخلوقان.

وبالضرورة أنّ من هو فى مكان فهو مقهور محاط به، ويكون مقدّراً ومحدوداً.

وهو- سبحانه وتعالى- منزّه عن التقدير والتحديد، وعن أن يحويه شىء، أو يحدث له صفة، تعالى اللَّه عمّا يصفون وعمّا يقولون عُلوّاً كبيراً.

فإن قيل: ففى الصحيحين (۱) من حديث شريك بن أبى نمر، عن أنس رضى الله عنه: أنّه ذكر المعراج، وفيه:(فعلا بى الجبّار تعالى، فقال وهو فى مكانه: ياربّ خفّف عنّا) الحديث.

فالجواب: أنّ الحافظ أبا سليمان الخطابى قال: إنّ هذه لفظة تفرّد بها شريك، ولم يذكرها غيره، وهو كثير التفرّد بمناكير الألفاظ.

والمكان لا يضاف إلى اللَّه سبحانه وتعالى، إنّما هو مكان النبى صلى الله عليه و آله و سلم مقامه الأوّل الذى أُقيم فيه.

وفى الحديث:(فأستأذن على ربّى وهو فى داره) (۲).

يوهم مكاناً، وإنّما المعنى فى داره التى دوّرها لأوليائه.

وقد قال القاضى أبو يعلى فى كتابه «المعتمد»: إنّ اللَّه سبحانه وتعالى وتقدّس لا يوصف بمكان.

فإن قيل: يلزم من كلامكم نفى الجهات، ونفيها يحيل وجوده.

۱- صحيح البخارى: ۶/ ۲۷۳۲ ح ۷۰۷۹ كتاب التوحيد، وفى طبعة رقم ۶۹۶۳ صحيح مسلم: كتاب الايمان رقم ۲۳۴ و ۲۳۵ و ۲۳۶ والصلاة ۶۰۷.

۲- رواه البخارى لاحظ فتح البارى ۱۳/ ۴۲۲.

ص: ۳۴

فالجواب: أنّ هذا السؤال ساقط فيه تمويه على الأغبياء، يجرون الجهات المتعلّقة بالآدميّين بالنسبة الى اللّه عزّ وجلّ عن ذلك.

وأيضاً إن كان الموجود يقبل الاتصال والانفصال فمسلم، فأمّا اذا لم يقبلهما فليس خُلوّه من طرفى النقيض بمحال.

ويوضّح هذا: أنّك لو قلت: كلّ موجود لا يخلو أن يكون عالماً أو جاهلًا.

قلنا: إنْ كان ذلك الموجود يقبل الضدّين فنعم، فأمّا إذا لم يقبلهما كالحائط- مثلًا- فإنّه لا يقبل العلم ولا الجهل.

ونحن ننزّه الذى ليس كمثله شىء- سبحانه وتعالى- كما نَزَّهَ نفسه عن كلّ ما يدلّ على الحَدَث، وما ليس كمثله شىء لا يتصوره وهم، ولا يتخيّله خيال، والتصوّر والخيال إنّما هما من نتائج المحسوسات والمخلوقات تعالى عن ذلك.

ومن هنا وقع الغلط واستدراج العدوّ، فأهلك خلقاً، وقد تنبّه خلق لهذه الغائلة فسلّموا، وصرفوا عنه عقولهم الى تنزيهه سبحانه وتعالى فسَلِموا.

مجموعة من الأحاديث المتشابهة

ومن الأحاديث التى يحتجّون بها حديث عبدالرحمن بن عائش (۱)، عن النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم أنّه قال: «رأيت ربّى فى أحسن صورة، فقال لى: فيم يختصم الملأ الأعلى يا محمد؟ قلت: أنت أعلم ياربّ فوضع كفّيه بين كتفى، فوجدت بردها بين ثديى، فعلمت ما فى السموات وما فى الأرض» (۲).

۱- سنن الدارمى: ۲/ ۱۲۶، مسند أحمد: ۴/ ۶۶ و ۵/ ۳۷۸.

۲- سنن الترمذى ۵/ ۳۶۹، تاريخ بغداد ۸/ ۱۵۲، والطبرانى فى الكبير ۱/ ۳۱۷، وابن الجوزى فى الموضوعات ۱/ ۱۲۵، واللآلىء المصنوعة ۱/ ۳۱، وسير أعلام النبلاء ۱۰/ ۱۱۳، وقال: وهو خبر منكر. وانظر الأسماء والصفات للبيهقى ص ۳۰ ودفع شبه التشبيه لابن الجوزى ص ۱۴۸.

ص: ۳۵

وهـذا الحـديث قال الإمام أحمد فيه: إنّ طرقه مضـطربة، وقال الدارقطنى: كلّ أسانيده مضـطربة ليس فيها صـحيح، وقال البيهقى: رُوى من أوجُه كلّها ضعيفة.

وأحسن طرقه يـدلّ على أنّ ذلك كان فى النوم، ويـدلّ على ذلك أنّه رُوى من حديث أبى هريرة رضـى الله عنه، أنّه صـلى الله عليه و آله و سـلم قال: (۱)(أتـانى آتٍ فى أحسن صورة، فقـال: فيم يختصم الملأ الأـعلى؟ قلت: لا أدرى، فوضع كفّيه بين كتفى، فوجـدت بردها بين ثديى، فعرفت كلّ شىء يسألنى عنه).

وروى من حـديث ثوبان رضـى الله عنه قال (۲):(خرج علينا رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله و سـلم بعـد صـلاة الصـبح، فقال: إنّ ربّى أتانى الليلة فى أحسن صورة، فقال لى: يا محمّد فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت لا أعلم ياربّ، فوضع كفّه بين كتفى حتّى وجدت برد أنامله فى صدرى، فتجلى لى ما بين السماء والأرض) (۳).

ورُوى من وجوه كثيرة، فهى أحاديث مختلفة، وليس فيها ما يثبت.

مع أنّ عبدالرحمن لم يسمعه من النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم.

وعلى وجه التنزّل فالمعنى راجع الى رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله و سـلم، فالمعنى رأيته على أحسن صـفاته؛ أى من الإقبال والرضـا ونحو ذلك؛ لأنّ الصورة يعبّر بها ويراد الصفة.

كما فى حديث(خلق اللَّه آدم على صورته) (۴).

تقول: هذه صورة هذا الأمر؛ أى صفته، فيكون المعنى خلق اللَّه آدم على

۱- كنز العمال: ۱۵/ ۸۹۷ ح ۴۳۵۴۴ عن ابن عبّاس، و ۱۵/ ۸۹۸ ح ۴۳۵۴۵ عن معاذ، و ۱۶/ ۲۴۵ ح ۴۴۳۲۱ عن أنس.

۲- نفس المصدر السابق.

۳- فى مجمع الزوائد ۷/ ۱۷۷ عن البزار فى كشف الأستار ۳/ ۱۳ رقم ۲۱۲۸.

۴- البخارى: كما فى فتح البارى ۱۱/ ۳، صحيح مسلم ۴/ ۲۰۱۷ رقم ۱۱۵، وانظر مسند أحمد ۲/ ۴۳۴، وفتح البارى ۵/ ۱۸۳، وانظر دفع شبه التشبيه لابن الجوزى ص ۱۴۶.

ص: ۳۶

صفته من الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والإرادة.

مع أنّ هذا الحديث فيه علل:

منها: أنّ الثورى والأعمش كانا يدلِّسان ولم يذكرا أنّهما سمعا الحديث من حبيب بن أبى ثابت.

ومنها: أنّ حبيباً كان يدلّس، ولم يعلم أنّه سمعه من عطاء.

وهذا كلّه يوجب وهناً فى الحديث.

ومع ذلك فالضمير يصحّ عوده الى آدم عليه السلام، فالمعنى أنّ اللَّه- عزّ وجلّ- خلق آدم على صورته التى خلقه عليها؛ تامّاً لم ينقله من نطفة الى علقة كبنيه.

قال الإمام أبو سليمان الخطابى: وذكره تغلب فى أماليه.

وقيل: إنّ الضمير يعود الى بعض بنى آدم.

وخَلْق من العلماء سكتوا عن تفسير هذا الحديث.

فالمشبِّه لامُتمسَّك له بهذه الأحاديث لما ذكرناه، وتمسّكه بها يدلّ على جهله وزندقته عافانا اللَّه- عزّ وجلّ- من ذلك.

ومن ذلك حديث القَدَم:(لا تزال جهنّم تقول: هل من مزيد؛ حتّى يضع ربّ العزّة فيها قدمه) الحديث (۱)

.

وهذا يرجع الى الُمحْكم، قال اللَّه تعالى: وبَشّر الّذين آمنوا أنَّ لهم قَدَمَ صِدقٍ عند ربِّهم (۲)

.

وقال الحسن البصرى: القدم فى الحديث هم الذين قدّمهم اللَّه من شرار خلقه وأثبتهم لها.

۱- البخارى: كما فى، فتح البارى ۸/ ۵۹۴، وصحيح مسلم ۴/ ۲۱۸۸، وانظر دفع شبه التشبيه ص ۱۷۰.

۲- سورة يونس: ۲.

ص: ۳۷

وقال البيهقى: عن النضر بن شميل: القدم هنا الكفّار الذين سبق فى علم اللّه أنّهم من أهل النار.

وقال الأزهرى: القدم الذين تقدّم القول بتخليدهم فى النار.

وقال ابن الاعرابى: القدم المتقدّم، وكلّ قادم عليها يسمى قدماً، والقدم جمع قادم، كما يقال: عيب وعائب.

وروى الدارقطنى:(حتّى يضع قدمه أو رِجله) وفى هذه دلالة على تغيير الرواية بالظنّ.

مع أنّ الرِّجْل فى اللغة هى الجماعة؛ ألا تراهم يقولون: رجل من جراد، فيكون المعنى يدخلها جماعة يُشبهون الجراد فى الكثرة.

قال ابن عقيل: تعالى اللّه أن يكون له صفة تشغل الأمكنة، وهذا عين التجسيم، وليس الحقّ بذى أجزاء وأبعاض، فما أسخف هذا الاعتقاد وأبعده عن المكوّن تعالى اللّه عن تخايل الجسمية.

وذكر كلاماً مُطوّلًا بالغاً فى التنزيه وتعظيم اللّه تعالى.

وقد تمسّك بهذا الحديث ابن حامد المشبّه، فأثبت للّهسبحانه وتعالى صفات.

وزاد، فروى من حديث ابن عباس رضى الله عنه أنّه عليه السلام قال:(لمّا اسرى بى رأيت الرحمن على صورة شابّ أمرد نوره يتلألأ، وقد نُهيتُ عن صفته لكم، فسألت ربّى أن يُكرمنى بُرؤيته، فإذا كأنّه عروس حين كشف عنه حجابه مستوٍ على عرشه).

وهذا من وضعه وافترائه وجرأته على اللّه- عزّ وجلّ- وعلى رسوله صلى الله عليه و آله و سلم.

ومَنْ أعظم فريةً ممّن شبّه اللّه- عزّ وجلّ- بأمرد وعروس؟

وكان بعض أئمة الحنابلة يتوجّع، ويقول: ليت ابن حامد هذا ومن ضاهاه لم ينسبوا الى أنّهم من أتباع الإمام أحمد، فقد أدخلوا بأقوالهم المفتراة الشينَ على المذهب، والتعرّض الى الإمام أحمد بالتشبيه والتجسيم، وحاشاه من ذلك، بل هو

ص: ۳۸

من أعظم المنزّهة للّهعزّ وجلّ، وقد خاب من افترى.

وقال بعض أئمة الحنابلة المنزِّهين: مَنْ أثبت للّهتعالى هذه الصفات بالمعنى المحسوس، فما عنده من الإسلام خبر. تقدّس اللّه- عزّ وجلّ- عمّا يقولون عُلوّاً كبيراً.

وخوضهم فى ذلك كلام من لا يعرف اللّه عزّ وجلّ.

وكذا خوضهم فى الأحاديث خوض من لايعرف كلام اللّه تعالى ولا كلام أهل اللغة، فيُجرونها على المتعارف عند الخلق، فيقعون فى الكفر.

ونوضّح ذلك إيضاحاً مُبيناً يدركه أبلد العوامّ، فضلًا عن أذكياء الطلبة والعلماء الأخيار، الذين جعل اللّه- عزّ وجلّ- قلوبهم معادن المعانى المرادة وكنوزها.

فمن ذلك ما فى الصحيحين (۱) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه فى حديث الضيف، فيه:(لقد عجب اللّه من صنيعكما الليلة).

وفى أفراد البخارى (۲) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه:(عجب ربّك من قوم جىء بهم فى السلاسل حتّى يُدخلهم الجنّة).

قال ابن الأنبارى: معنى «عجب ربّك» زادهم إنعاماً وإحساناً فعبّر بالعجب عن ذلك.

قال الأئمة: لأنّ العجب إنّما يكون من شىء يدهم الإنسان، فيستعظمه ممّا لا

۱- بهذا اللفظ فى صحيح مسلم فى الأشربة رقم ۳۸۳۰ وأنظر رقم ۳۸۲۹، وفى البخارى كتاب‌المناقب رقم ۳۵۱۴ بفظ: ضحك اللّه الليلة أو عجب من فعالكما، ومثله فى تفسير القرآن رقم ۴۵۱۰، وانظر شرح النووى لمسلم ۱۴/ ۱۲، وفتح البارى لان حجر ۷/ ۱۱۹، وسنن الترمذى ۵/ ۴۰۹ رقم ۳۳۰۴، وعارضه الأحوذى ۱۲/ ۱۹۰.

۲- رواه البخارى فى الجهاد والسير رقم ۲۷۸۸، بلفظ: «من قوم يدخلون الجنة فى السلاسل» وهو فى أبى داود، الجهاد رقم ۲۳۰۲، ومسند أحمد بلفظ: عجب ربنا.

ص: ۳۹

يعلمه، وذلك إنّما يكون فى المخلوق، وأمّا الخالق فلا يليق به ذلك، فمعناه عظم قدر ذلك الشىء عنده؛ لأنّ المتعجّب من الشىء يعظم قدره عنده.

فالمعنى فى حديث الضيف: عظم قدره وقدر زوجته عنده حتّى نوّه بذكرهما فى أعظم كتبه، وعظم قدر المجىء بهم فى السلاسل حتّى أدخلهم الجنّة، وجعلهم من أوليائه وأنصار دينه.

ومن ذلك حديث:(لَلّهُ أفرح بتوبة عبده) (۱)، ومعناه أرضى بها.

ومنه (۲) قوله كُلُّ حِزبٍ بما لديهم فرحون (۳)

؛ أى راضون، ونحو ذلك مما هو كثير فى القرآن، وكذا الأحاديث:

ومنها حديث النزول.

وهو فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه و آله و سلم قال:(ينزل ربّنا كلّ ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثُلُث الليل الآخر؛ يقول: من يدعونى فأستجب له....) الى آخره.

وهذا الحديث رواه عشرون نفساً من الصحابة رضى اللّه عنهم.

وقد تقدّم أنّه يستحيل على اللّه- عزّ وجلّ- الحركة والتنقل والتغيّر، لأنّ ذلك من صفات الحدث، فمن قال ذلك فى حقّه تعالى فقد ألحقه بالمخلوق، وذلك كفر صريح لمخالفة القرآن فى تنزيهه لنفسه سبحانه وتعالى.

ومن العجب العجيب أن يقرأ أحدهم قوله تعالى: وأنزلنا الحديد مع أنّ معدنه فى الأرض.

وقوله تعالى: وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج.

۱- مسلم ۸/ ۹۱ كتاب التوبة.

۲- أى من هذا الاستعمال ا ه مصححه.

۳- سورة المؤمنون: ۵۳.

ص: ۴۰

فياللّه العجب، من شخص لم يعرف نزول الجمل، كيف يتكلّم فى تفصيلها.

وقد قال تعالى: وأنزلنا إليك الكتاب.

وقال تعالى: قد أنزل اللّه إليكم ذِكراً، فنسب الإنزال الى هاتين الغايتين إليه سبحانه وتعالى.

وقد قال تعالى: مَن يُضلل اللّهُ أى ببدعته فلا هادى له ونذرهم فى طغيانهم يعمهون، والعَمَهُ فى البصيرة، كما أنّ العمى فى البصر، والعَمَه فى البصيرة منه الهلكة أعاذنا اللّه من ذلك.

وروى أبو عيسى الترمذى عن مالك بن أنس وسفيان بن عُيينة وابن المبارك:

أنّهم قالوا: أمّروا هذه الأحاديث بلا كيف (۱).

قال الأئمة: فواجب على الخلق اعتقاد التنزيه وامتناع تجويز النُّقلة والحركة.

فإنّ النزول- الذى هو انتقال من مكان الى آخر- يفتقر الى الجسمية والمكان العالى والمكان السافل ضرورة.

كما فى قوله تعالى: يخافون ربّهم من فوقهم فإنّ الفوقية باعتبار المكان لا تكون بالضرورة إلّافى الأجرام والاجسام مركّبة كانت أو بسيطة، والربّ- سبحانه وتعالى- منزّه عن ذلك، إذ هو من صفات الحدث.

وقال ابن حامد الراسم نفسه بالحنبلى: هو فوق العرش بذاته، وينزل من مكانه الذى هو فيه، فينزل وينتقل.

ولمّا سمع تلميذه القاضى منه هذا استبشعه، فقال: النزول صفة ذاتية، ولا نقول: نزوله انتقال.

أراد أنْ يغالط الأغبياء بذلك.

۱- سنن الترمذى ۲/ ۸۷ ذيل حديث ۰۶۵۹ و ۴/ ۶۹۲، وقال: وهذا الذى اختاره أهل الحديث أن يروى هذه الأشياء كما جاءت ونؤمن بها ولا تفسّر ولا تتوهّم ولا يقال: كيف.

ص: ۴۱

وقال غيره: يتحرّك إذا نزل.

وحكوا هذه المقالة عن الإمام أحمد، فجوراً منهم، بل هو كذب محض على السيد الجليل السلفى المنزّه.

فإنّ النزول إذا كان صفة لذاته لزم تجدّدها كلّ ليلة وتعدّدها، والأجماع منعقد على أنّ صفاته قديمة، فلا تجدّد ولا تعدّد تعالى اللّه عمّا يصفون.

وقد بالغ فى الكفر من ألحق صفة الحقّ بالخلق، وأدرج نفسه فى جريدة السامرة واليهود الذين هم أشدّ عداوة للذين آمنوا.

ومنها: حديث الأصابع.

وهو فى الصحيحين من حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال:(جاء حَبْر الى رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم فقال: يا محمّد إنّ اللّه يضع السماء على أصبع، والجبال على أصبع، والشجر على أصبع، والأنهار على أصبع، وسائر الخلق على أصبع- وفى لفظ- والماء والثرى على أصبع، ثمّ يهزّهنّ.

فضحك رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم، وقال: وما قَدَروا اللّه حَقَّ قَدره وفى لفظ:

(فضحك رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم تعجّباً وتصديقاً له) (۱).

قال الأئمة- منهم أبو سليمان الخطابى-: لا نثبت للّه صفة إلّابالكتاب، أو خبر مقطوع بصحّته مستند الى أصل فى الكتاب أو السُّنّة المقطوع بصحّتها (۲)، وما كان بخلاف ذلك فالواجب التوقّف عن إطلاق ذلك، ويتأوَّل على ما يليق بمعانى الأُصول المتّفق عليها من أقوال أهل العلم مع نفى التشبيه.

۱- صحيح البخارى ۶/ ۳۳، وانظر ۸/ ۱۷۴ و ۱۸۷ و ۲۰۲- دار الفكر-، وفتح البارى ۱۳/ ۳۹۳ و ۳۹۸، وصحيح مسلم ۸/ ۲۵- دار الفكر-.

۲- لو لاحظ المتكلمون فى هذه المواضيع هذا الأصل لاستراحوا وأراحوا أنتهى. مصحِّحه.

ص: ۴۲

وقال غيره: قد نفى اللَّه تعالى التشبيه عنه فى قوله تعالى: وما قدروا اللَّه حقّ قدره والأرض جميعاً قبضته يومَ القيامةِ والسمواتُ مطوياتٌ بيمينهِ سُبحانه وتعالى دفعاً لما يتبادر إليه الفهم باعتبار المحسوسات.

قال الأئمة: معناه ما عرفوه حقّ معرفته.

وقال المبّرد: ما عظّموه حقّ عظمته.

وقبضة اللَّه- عزّوجلّ- عبارة عن قدرته وإحاطته بجميع مخلوقاته.

واليمين- فى كلام العرب- بمعنى الملك والقدرة، كما قال تعالى: لأخذنا منه باليمين أى بالقوة والقدرة.

وأشعار العرب فى ذلك أكثر جدّاً من أن تُذكر، وأشهر من أن تُنشد وتُبرز وتُظهر.

وفى الحديث(الحجرُ الأسودُ يمينُ اللَّه تعالى).

وقال تعالى يدُ اللَّه فوق أيديهم.

وقال أبو الوفاء بن عقيل- من أصحاب الإمام أحمد-: ما قدروا اللَّه حقّ قدره إذ جعلوا صفاته تتساعد وتتعاضد على حمل مخلوقاته، وإنّما ذكر الشرك فى الآية ردّاً عليهم.

وفى معنى هذا الحديث قوله صلى الله عليه و آله و سلم:(إنّ قلوب بنى آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن يُقلّبها كيف شاء) (۱).

وفى ذلك إشارة الى أنّ القلوب مقهورة لمُقلِّبها.

قال الخطابى: واليهود مشبّهة، ونزول الآية دليل على إنكار الرسول عليهم، ولهذا ضحك صلى الله عليه و آله و سلم على وجه الإنكار.

۱- رواه مسلم ۴/ ۲۰۴۵ رقم ۱۷، ومسند أحمد ۲/ ۱۶۸، والترمذى ۴/ ۴۴۹ برقم ۲۱۴۱، ومستدرك الحاكم ۲/ ۲۸۸.

ص: ۴۳

وليس معنى الأصابع معنى الجارحة لعدم ثبوته، بل يُطلق الاسم فى ذلك على ما جاء به الكتاب من غير تكييف ولا تشبيه!

وقال غيره من حمل الأصابع على الجارحة فقد ردّ على اللَّه- سبحانه وتعالى- فى قوله: سبحانه وأدخل نفسه فى أهل الشرك؛ لقوله تعالى: سبحانه وتعالى عمَّا يشركون.

وهو- عزّ وجلّ- يذكر فى كتابه المبين التحرّس عمّا لا يليق؛ دفعاً ورداً لأعدائه، كقوله تعالى: وقالوا اتخذ اللَّه ولداً، سبحانه وقال تعالى: وخَرقوا له بَنين وبناتٍ بغير علم، سبحانه ونحو ذلك، وآكد من ذلك قوله: وأنّه تعالى جدُّ ربِّنا ما اتخذ صاحبةً ولا ولداً قدّم تنزيهه- عزّ وجلّ- أوّلًا فى هذه الآية.

والقرآن طافح بذلك.

ومنها: ما رواه الشيخان من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أنّه صلى الله عليه و آله و سلم قال:(لمّا قضى اللَّه الخلق كتب فى كتاب، فهو عنده فوق العرش: أنّ رحمتى غلبت غضبى) وفى لفظ: «سبقت».

قال القاضى المشبِّه- تلميذ ابن حامد-: ظاهر قوله: «عنده» التقرب‌من الذات.

وما قاله يستدعى القرب والمساحة، وذلك من صفات الأجسام، وقد عمى عن قوله تعالى: مسومة عند ربِّكَ.

ومن المعلوم أنّك تقول: عندى فوق الغرفة كتاب كذا، وهو فى موضع شاسع نازل عن الغرفة بمسافة بعيدة.

ثمّ إنّ هذا القاضى روى عن الشعبى أنّه قال: إنّ اللَّه قد ملأ العرش حتّى أنّ له أطيطاً كأطيط الرَّحْل، وهو كذب على الشعبى (۱).

۱- دفع شبه التشبيه ص ۲۴۹.

ص: ۴۴

وقال بعضهم: ثم استوى على العرش قعد عليه.

وقال ابن الزاغونى: خرج عن الاستواء بأربع أصابع (۱).

ولهم ولأتباعهم مثل ذلك خبائث كلّها صريحة فى التشبيه والتجسيم، لا سيما فى مسألة الأستواء.

وهو- سبحانه وتعالى- متنزه عمّا لا يليق به من صفات الحَدَث.

ثمّ إنّ هؤلاء الجمادات وأعالى الجهلة، يلزمهم أن يقولوا فى الحديث الذى رواه مسلم وغيره ما لم يمكن القول به من أجهل الناس:(ولا يزال عبدى يتقرّب الىّ بالنوافل حتّى أُحبه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يُبصر به، ويده التى يَبطش بها، ورجله التى يمشى بها...) الى آخره.

وبالضرورة لا يكون سبحانه جارحةً لعبده، ومع هذا يلزم التعدّد بحسب المتقرّبين والتجزئة والتفرقة، وغير ذلك مّما لا يقوله حمار، بل ولا جماد، تعالى اللّه وتقدّس عن ذلك.

قال ابن الجوزى: وهؤلاء وأتباعهم جهلوا معرفة ما يجوز على اللّه وما يستحيل عليه.

ومن أعجب ما رأيت لهم، ما ذكروا عن ابن أبى شيبة أنّه قال فى كتاب العرش: إنّ اللّه قد أخبرنا: أنّه صار من الأرض الى السماء، ومن السماء الى العرش، فاستوى على العرش.

ثمّ قال: ونبرأ من أقوام شانوا مذهبنا، فعابنا الناس بكلامهم.

ولو فهموا أنّ اللّه- سبحانه وتعالى- لا يوصف بما يوصف به الخلق، لما بنوا أمورهم وقواعدهم على المحسوسات التى بها المساواة بينه وبين خلقه، وفى ذلك

۱- دفع شبه التشبيه ص ۲۴۸.

ص: ۴۵

تکذیبه فی تنزیهِهِ وتقدیسِهِ نفسَهُ عزّ وجلّ.

وقال أبو الوفاء بن عقیل: تحسب الجهلهٔ أنّ الکمال فی نسبهٔ النقائص إلیه فیما نزّه نفسه عنه عزّ وجلّ، والذی أوقعهم فی ذلک القیاسُ المظنون، وکیف یکون له حکم الدلیل وقد قضی علیه دلیل العقل بالردّ؟!

اختلاف الناس فی هذه الأخبار

قال أبو الفرج بن الجوزی: والناس فی أخبار الصفات علی ثلاث مراتب:

إحداها: إمرارها علی ماجاءت من غیر تفسیر ولا- تأویل إلّاأن تقع ضرورهٔ، کقوله تعالی: وجاء ربُّکَ أی جاء أمره، وهذا مذهب السلف.

المرتبهٔ الثانیهٔ: التأویل وهو مقام خطر.

المرتبهٔ الثالثهٔ: القول فیها بمقتضی الحسّ، وقد عمّ جهله الناقلین؛ إذ لیس لهم علوم المعقولات التی بها یعرف ما یجوز علی اللّه- عزّ وجلّ- وما یستحیل.

فإنّ علم المعقولات یصرف ظواهر المنقولات عن التشبیه، فإذ عدموها تصرّفوا فی النقل بمقتضی الحسّ.

ولو فهموا أنّ اللّه- عزّ وجلّ- لا یوصف بحرکهٔ ولا انتقال ولا جارحهٔ ولا تغیر، لما بقوا علی الحسّیات التی فیها عین التشبیه وهو کفر بالقرآن أعاذنا اللّه من ذلک.

ولا شکّ أنّ مذهب السکوت أسلم وقد ندم خلق من أکابر المتکلّمین علی الخوض فی ذلک.

قال أبو المعالی الجوینی فی آخر عمره: «خلیتُ أهل الإسلام وعلومهم، ورکبتُ البحر الأعظم، وغُصْتُ فی الذی نهوا عنه، والآن رجعتُ الی قولهم:

علیکم بدین العجائز، فإن لم یُدرکنی الحقّ بلطفه وأموت علی دین العجائز، وإلّا

ص: ۴۶

فالويل لابن الجوينى».

قال أبو الوفاء بن عقيل: معنى دين العجائز أنّ المدقّقين بالغوا فى البحث والنظر، ولم يشهدوا ما يشفى العقل من التعليل، فوقفوا مع المراسم واستطرحوا، وقالوا: لاندرى.

وسئل الإمام أحمد- قدس اللّه روحه- عن الاستواء، فقال «هو كما أخبر، لا كما يخطر بالبشر».

فانظر- وفقك اللّه وارشدك الى الحقّ- الى هذه العبارة ما أرشقها وعلى اتباعه ما أشققها (۱)، اعتقاد قويم ومنهاج سليم.

اتهام الإمام أحمد بالتجسيم

قال الحافظ أبو الفرج بن الجوزى- واسمه عبدالرحمن بن على-: لمّا رأى الحُسّاد للإمام أحمد ما حصل له من الرفعة ونفاسة مذهبه؛ لتشييده بالكتاب والسُّنّة، انتموا الى مذهبه ليُدخلوا عليه النقص والخلل وصرف الناس عنه؛ حسداً من أنفسهم، فصرّحوا بالتشبيه والتجسيم، ولم يستحيوا من الخبير العليم، ونسبوه إليه افتراء عليه.

ومن نظمه فى ذلك:

ولمّا نظرتُ فى المذاهبِ كلّها طلبتُ الأسدَّ فى الصواب وماأغلو

فألفيتُ عند السير قول ابن حنبلٍ يزيد على كلّ المذاهب بل يعلو

۱- لعله «ماأشقها» بحذف إحدى القافين، أو بإبدال إحداهما فاء. انتهى. مصحِّحه.

ص: ۴۷

وكلّ الذى قد قاله فمشيَّد بنقل صحيح والحديث هو الأصلُ

وكان بنقل العلم أعرف من روى بِقوم من السادات ما شانهم عظم (۱)

ومذهبه أن لا يشبّه ربّه و يتبع فى التسليم من قد مضى قبلُ

يشير الى صاحبه الإمام الشافعى وغيره من علماء السلف كما أذكر.

فقام له الحُسّاد من كلّ جانب فقام على رِجْل الثبات وهم زلّوا

وكان له أتباعُ صدقٍ تتابعوا فكم أرشدوا نحو الهدى وَلَكم دلّوا

وجاءك قوم يدّعون تمذهباً بمذهبه ما كلّ زرع له أُكلُ

ومالوا الى التشبيه أخذاً بصورة ال ذى نقلوه فى الصفات وهم غُفلُ

وقالوا: الذى قلناهُ مذهبُ أحمدٍ فمال الى تصديقهم من به جهلُ

فصار الأعادى قائلين لكلّنا: مشبِّهة قد ضرّنا الصحبُ والخلُ

۱- الشطر الثانى، لم يرد فى المطبوعة فى مصر، وأخذناه من المصدر.

ص: ۴۸

فقد فضحوا ذاک الإمام لجهلهم ومذهبُهُ التنزیهُ لکن هُمُ اختلّوا

لَعمری لقد أدرکتُ منهم مشایخاً وأکثر ما أدرکته ماله عقلُ (۱)

وحذفت أبیاتاً من هذه القصیدة؛ لأنّی فی هذه الورقات علی سبیل الاقتصاد والرمز الی منهج الحقّ والرشاد.

کلام الإمام الشافعی و أبی حنیفة و مالک، فی التأویل

وسُئِل الإمام الشافعی- قدّس اللّه روحه- عن الاستواء؟ فقال: «آمنتُ بلا تشبیه، وصدّقت بلا تمثیل، واتهمتُ نفسی فی الإدراک، وأمسکتُ عن الخوض فیه کلّ الإمساک».

وهذا شأن الأئمّة، یُمسکون أعنّة الخوض فی هذا الشأن، مع أنّهم أعلم الناس به، ولا یخوض فیه إلّاأجهل الناس به.

وسئل الإمام أبو حنیفة- قدّس اللّه روحه- عن ذلک؟ فقال: «من قال: لا أعرف اللّه أفی السماء أم فی الارض فقد کفر؛ لأنّ هذا القول یؤذن أنّ للّهسبحانه وتعالی مکاناً، ومن توهّم أنّ للّهمکاناً فهو مُشبِّه».

وسئل الإمام مالک عن الاستواء؟ فقال: «الاستواء معلوم، والکیف مجهول، والإیمان به واجب، والسؤال عنه بِدعة».

فنفی العلم بالکیف، فمن استدلّ بکلامه علی أنّه- سبحانه وتعالی- فوق عرشه، فهو لجهله وسوء فهمه.

۱- أورد القصیدة کاملة ابن الجوزی فی(دفع شبه التشبیه) ص ۲۷۵- ۲۷۷.

ص: ۴۹

وقال الإمام مالک عند قوله: فلا تَضربوا للّهالأمثالَ من وصف شیئاً من ذاته سبحانه وتعالی، مثل قوله تعالی: قالتِ الیهودُ یدُ اللّه مغلولةٌ غُلّت أیدیهم(فأشار بیده الی عنقه) قُطعت، وکذا السمع والبصر یقطع ذلک منه؛ لأنّه شبّه اللّه بنفسه.

وقال مالک رضی الله عنه: «الاستواء معلوم» یعنی عند أهل اللغة.

وقوله: «والکیف مجهول» أی بالنسبة الی اللّه عزّ وجلّ؛ لأنّ الکیف من صفات الحدث، وکلّ ما کان من صفات الحدث فاللّه- عزّ وجلّ- مُنزّه عنه، فإثباته له سبحانه کفر محقّق عند جمیع أهل السُّنة والجماعة.

وقوله: «والإیمان به واجب» أی علی الوجه اللائق بعظمته وکبریائه.

وقوله: «والسؤال عنه بِدعة» لأنّ الصحابة- رضی اللّه عنهم- کانوا عالمین به وبمعناه اللائق بحسب اللغة، فلم یحتاجوا الی السؤال عنه فلّما ذهب العالمون به، وحدث من لم یعلم أوضاع لغتهم، ولا له نور کنورهم، شرع یسأل الجهلة بما یجوز علی اللّه عزّ وجلّ، وفرح بذلک أهل الزیغ، فشرعوا یُدخلون الشُّبَهَ علی الناس، ولذلک تعّین علی أهل العلم أن یبیّنوا للناس، وأن لا یهملوا البیان؛ لقوله تعالی: وإذ أخذ اللّه میثاق الذینَ أُتوا الکتابَ لتبیِّنُنَه للنَّاس ولا تکتُمُونهُ.

فهذه (۱) الأئمّة التی (۲) مدار الأمّة علیهم فی دینهم، متّفقون فی العقیدة، فمن زعم أنّ بینهم اختلافاً فی ذلک، فقد افتری علی أئمّة الإسلام والمسلمین، واللّه حسبه، وسیجزی اللّه المفترین.

وفی الصحیحین من حدیث ابن عبّاس رضی اللّه عنهما: أنّه صلی الله علیه و آله و سلم قال:(من فارق الجماعة شبراً فمات، مات میتةً جاهلیّة).

۱- لعله فهؤلاء انتهی. مصححه.

۲- لعله الذین انتهی. مصححه.

ص: ۵۰

وقال صلى الله عليه و آله و سلم:(إنّ الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم؛ يأخذ القاصية والنافرة والشاذّة، إياكم والشِّعاب، وعليكم بالعامّة والجماعة والمساجد). رواه الطبرانى وغيره من حديث معاذ رضى الله عنه، ورواه الإمام أحمد، ورجاله ثقات (۱).

وسُئِل الإمام أحمد عن الشافعى؟ فقال: «ماالذى أقول فيه، وهو الذى أخرج من قشور التشبيه لبابها، وأطلع على معارفها أربابها، وجمع مذهبه أكنافها وأطنابها، فالمحدّثون صيادلة والشافعى طبيبهم، والفقهاء أكابر والشافعى كبيرهم، وما وضع أحد قلمه فى محبرة إلّاوللشافعى عليه منّة».

وكان كثير الدعاء للشافعى، قال له ابنه عبداللّه: أىَّ شىء كان الشافعى، فإنّى أسمعك تُكثر الدعاء له؟ قال: «يابُنَىّ كان الشافعى كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فانظر هل لهذين من خلف أو عوض؟».

كلام السلف فى التأويل

وسئل بعض أئمّة السلف عن قوله تعالى الرحمن على العرشِ استوى؟

فقال: الرحمن- جلّ وعلا- لم يزل والعرش مُحدَث بالرحمن استوى، ثمّ قال:

كلّ ما ميّزتموه بأذهانكم وأدركتموه فى أتمّ عقولكم، فهو مصروف إليكم ومردود عليكم، محدث ومصنوع مثلكم؛ لأنّ حقيقته عالية عن أن تلحقه عبارة، أو يدركه وهم، أو يُحيط به علم، كلّا، كيف يُحيط به علم وقد اتّفق فيه الأضداد بقوله سبحانه وتعالى: هو الأوّل والآخرُ والظّاهر والباطنُ؟!

أىّ عبارة تُخبر عنه؟! حقيقة الألفاظ كلام، قصرت عنه العبارات، وخرست عنه الألسنة بقوله: ليس كمثله شىء تعالى اللّه وتقدّس عن المجانسة والمماثلة.

۱- فى مجمع الزوائد للهيثمى ۲/ ۲۳ عن أحمد وفى ۵/ ۲۱۹ عن أحمد والطبرانى، وكنز العمال ۱/ ۲۰۶ رقم ۱۰۲۶ و ۱۰۲۷ و ۷/ ۵۸۱ رقم ۲۰۳۵۵.

ص: ۵۱

قال ابن عباس رضى اللَّه عنهما فى هذه الآية: معناها ليس له نظير.

وقال أهل التحقيق: ذكر العرش إظهاراً لقدرته، لا مكاناً لذاته؛ إذ الذات ممتنعة عن الإحاطة بها والوقوف عليها، كما أشار الى ذلك فى قوله تعالى: اللَّه لا إله إلّاهو ربُّ العرشِ العظيم.

فسبحانه هو المنزّه عن الشبيه، القدّوس المبرّأ عن الآفات، والمُسبَّح بجميع اللغات، السلام السالم من نقائص المخلوقات، الصمد السيّد الذى لا يُشبهه شىء من المصنوعات والمخلوقات، الغنىّ عن الأغيار، تبارك وتعالى عن أن تحويه الجهات، الفرد الذى لا نظير له، المنفرد بصفات الكمال والقدرة، ومن بعض مقدوراته الكرسىّ والعرش والأرضون والسموات، شهد لنفسه بالوحدانية، ونزّهها بالآيات البيّنات، فصفاته لا يوصف بها غيره.

ومن تعرّض لذلك فقد طعن فى كلامه، وضاهى أهل العناد، فاستوجب اللعن وأشدّ العقوبات.

قول البغدادين فى التأويل

قال البغداديّون فى قوله تعالى: بديع السمواتِ والأرضِ وإذا قضى أمراً فإنّما يقولُ له كن فيكونُ (۱)

: كلّ صُنع صنعه ولا علّة لصنعته، ليس لذاته مكان؛ لأنّه قبل الكون والمكان، وأوجد الأكوان بقوله: كُنْ أزال العلل عن ذاته بالدرك (۲) وبالعبارة عنه وبالاشارة، فلا يبلغ أحد شيئاً من كنه معرفته؛ لأنّه لا يعلم أحد ما هو إلّاهو، حىّ قيّوم لا أوّل لحياته، ولا أمد لبقائه، احتجب عن

۱- البقرة: ۱۱۷.

۲- قوله «بالدرك» متعلق بمحذوف فيما يظهر، تقديره: وأعجز الخلقَ عن أن يحيطوا بهبالدرك... الى آخره. والدرك: الإدراك. انتهى مصحّحه.

ص: ۵۲

العقول والأفهام، كما احتجب عن الأبصار فعجز العقل عن الدرك، والدرك عن الاستنباط، وانتهى المخلوق الى مثله، وأسنده الطلب الى شكله. انتهى.

وقولهم: «كلّ صنع» عبّروا بالمصدر عن اسم المفعول، كقوله تعالى: هذا خلقُ اللّه (۱).

ومن الجهل البيّن أن يطلب العبد المقهور ب «كُنْ» درك ما لا يُدرك، كيف؟ وقد تنزّه عن أن يُدرك بالحواسّ، أو يتصوّر بالعقل الحادث والقياس، مَنْ لا يدركه العقل من جهة التمثيل، ويُدركه من جهة الدليل.

فكلّ ما يتوهّمه العقل لنفسه فهو جسم، وله نهاية فى جسمه وجنسه ونوعه وحركته وسكونه، مع ما يلزمه من الحدود والمساحة؛ من الطول والعرض وغير ذلك من صفات الحدث، تعالى عن ذلك.

فهو الكائن قبل الزمان والمكان، و هوالأوّل قبل سوابق العدم، الأبدى بعد لواحق القِدَم، ليس كذاته ذات، ولا كصفاته صفات، جلّت ذاته القديمة- التى لم تُسبق بعدم- أن يكون لها صفة حادثة، كما يستحيل أن يكون للذات الحادثة صفة قديمة.

قال تعالى: أولا يذكُرُ الإنسانُ أنَّا خلقناهُ مِنْ قبلُ ولم يكُ شيئاً (۲).

كلام يحيى بن معاذ فى التأويل

وسأل بعض المخبثين (۳) الطوية للإمام العالم العلامة الجامع بين العلوم السَّنّية

۱- لقمان: ۱۱.

۲- مريم: ۳۷.

۳- لعله «خبيثى...» الى آخره، وقوله «للإمام» لعلّ اللام الأولى من تصّرفات النُّساخ، وهذاظنّنا فى كلّ ما تقدّم أو يجىء فى هذا الكتاب من الألفاظ التى تخالف اللغة؛ لأنّ الإمام الحصنى أجلّ من أن يخفى عليه مثل ذلك. انتهى. مصحّحه.

ص: ۵۳

والمناهج العَلِيهٔ؛ يحيى بن معاذ الرازى، فقال له: أخبرنا عن اللّه؟ فقال: إله واحد.

فقال له كيف هو؟ قال: إله قادر. قال: فأين هو؟ قال: بالمرصاد.

فقال السائل: لم أسألك عن هذا. فقال: ما كان غير هذا فهو صفهٔ المخلوق، فأمّا صفته فالذى أخبرتك عنه.

فالسائل سأل عن الذات والكيفيهٔ، فأجابه هذا الحَبْر بالصفات الجلاليّهٔ القُدسيّهٔ.

وهذا أخذه من قصهٔ سيّدنا موسى عليه السلام مع فرعون اللعين لمّا قال له موسى عليه السلام:

إنّى رسول ربِّ العالمينَ فسأله فرعون وما ربُّ العالمينَ (۱)

فقال موسى ربُّ السمواتِ والأرضِ وما بينهما إنْ كنتم موقنين (۲)

.

فضمّن الجواب العدول عمّا سأل؛ لأنّه عدل فيه عن مطابقهٔ السؤال؛ لأنّ فرعون سأل عن ماهيّته سبحانه وتعالى، وموسى أجابه عن قدرته وصفاته، فجاز له- حين خلط فى السؤال وأخطأ، وسأل عمّا لا يمكن إدراكه- العدولُ عن سؤاله.

فقال فرعون: ألا تستمعونَ (۳)

أنا أسأله عن شىء، فيجيب عن غيره.

فقال موسى عليه السلام ربُّكم وربُّ آبائِكم الأولينَ (۴)

.

فلما قال موسى عليه السلام ذلك استشعر فرعون أنّه أخطأ فى السؤال، فخشى أن يدرك ذلك جلساؤه، فقال: إنَّ رسولَكُم الذى أُرسل إليكم لمجنونٌ رماه بذلك حتّى يتخلص ويصير موسى عليه السلام فى مقام لا يُلتفت الى قوله، ولا يؤخذ به.

۱- الزخرف: ۴۶.

۲- الدخان: ۷.

۳- الشعراء: ۲۵.

۴- الدخان: ۸.

ص: ۵۴

فتأمّل- أرشدك اللّه عزّ وجلّ وهداك الى الحقّ- كيف أنّ ذلك معلوم عند الانبياء- عليهم الصلاة والسلام- وغيرهم عدم العلم بالذات والكيف؟

فلا أجهل ولا أعمى بصيرة ممّن فرعون أهدى منه فى معرفته بالعجز عن درك ذاته!

قول أهل التحقيق من أهل السنة والجماعة بالتأويل

قال الإمام الحافظ محمّد بن على الترمذى- صاحب التصانيف المشهورة-:

«من جهل أوصاف العبودية فهو بنعت الربوبيّة أجهل».

وقال أهل التحقيق من أهل السُّنّة والجماعة: «من اعتقد فى اللّه- عزّ وجلّ- ما يليق بطبعه كالعامّى، فهو مشبّه.

فإنّه- عزّ وجلّ- منزّه عن كلّ ما يصفه الآدمى أو يتخيّله؛ لأنّ ذلك من صفات الحدَث تعالى وتقدّس عن ذلك».

فإيمان العامىّ لضعف علمه وعقله يقبل التشكيك (۱).

مجموعة من تأويلات ابن عباس

قال ابن عبّاس رضى اللّه عنهما فى قوله تعالى وما يؤمن أكثرهم باللّه إلّاوهم مشركون: هم الذين شبّهوا اللّه سبحانه وتعالى بخلقه، يؤمنون به مُجملًا، ويكفرون به مفصّلًا، حملهم على ذلك زُخرفُ العدوّ وإغواؤه، بدسيسة عدم علمهم بغوائل النفس الأمّارة بالسوء وعدم تأمّلهم قوله تعالى: ما أشهدتهم خلق

۱- هذا الكلام ليس على عمومه، فإنّ من العامّة من يندهش العالم لِمبلغ كمال إيمانه باللّه عزّ وجلّ، وقد يصدق ذلك فى بعض العوامّ الذين لم ينشأوا فى حجور أهل الدين، ولم يختلطوا بهم، وهم أندر من الكبريت الأحمر بين طبقات العوّام. انتهى. مصحّحه.

ص: ۵۵

السمواتِ والأرضِ ولا خلقَ أنفسِهم (۱)

، وفی ذلک إشارة الی عجز الخلیقة أن تدرک بعض صفات ذواتها فی ذاتها، أو تدری کیف کُنهها فی أنفسها، بعدم شهودهم خلق السموات والأرض وخلق أنفسها، فلم تملک أن تحتوی علم أنفسها فی أنفسها، فکیف تدری أو تدرک شیئاً من صفات مُوجدها من العدم وبارئها ومالکها؟!

وقال تعالی: ومن کلِّ شیءٍ خلقنا زوجین (۲) سُبحانَ الذی خلق الأزواج کُلَّها (۳)

، وفی ذلک إشارة ظاهرة الی عجزک عن إدراک کُنه بعض المخلوقات علی اختلاف ذواتها وصفاتها، وفی بعضها ما لا یخطر علی قلب بشر، فکیف بالخالق الذی نزّه نفسه بقوله تعالی: لیس کمثله شیء؟!

وهو- سبحانه وتعالی- مباین لخلقه من کلّ وجه لا یسعه غیره ولا یحجبه سواه، تقدّس أن یدرکه حادث أو یتخیّله وَهم أو یتصوّره خیال، کل ذلک محال.

فهو الملک القُدّوس المنزّه فی ذاته وصفاته عن مشابهة مخلوتاته، وأنت من مخلوقاته؛ رکّبک علی منوال عجیب، وجعلک فی أحسن صورة وأعجب ترتیب، مع تنقّل تارات من ماء مهین، فقال عزّ وجلّ: ولقد خلقنا الإنسانَ من سلالة من طین* ثمَّ جعلناه نطفةً فی قرار مکین* ثمّ خلقنا النُّطفةَ علقةً فخلقنا العلقة مضغةً فخلقنا المضغة عظاماً فکسونا العظام لحماً ثمَّ أنشأناه خلقاً آخر فتبارک اللَّه أحسن الخالقین (۴)

.

الإنسان هنا هو آدم علیه السلام وسلالته؛ لأنّه سلّةٌ من کلّ تربة، وکان علیه السلام یتکلم

۱- الکهف: ۵۱.

۲- الذاریات: ۴۹.

۳- یس: ۳۶.

۴- المؤمنون: ۱۲- ۱۴.

ص: ۵۶

بسبعمائة ألف لغة.

وقوله تعالى: ثمّ جعلناه أى الإنسان نطفةً فى قرار مكين أى حرز منيع، وهو الرحم ثم خلقناه علقةً أى دماً فخلقنا العلقة مضغةً أى قدر ما يُمضغ فخلقنا المضغة عظاماً وبين كل خلقتين أربعون يوماً فكسونا العظام لحماً ثمَّ أنشأناه خلقاً آخر وهو نفخ الروح فيه.

قاله ابن عبّاس ومجاهد والشعبى وغيرهم.

وقيل: نبات الأسنان والشعر، قاله قتادة.

وقيل: ذكراً أو أنثى، قاله الحسن، وقيل غير ذلك.

فتبارك اللّه أحسن الخالقينَ أى المصوّرين والمقدّرين.

تنزّه سبحانه وتعالى بعد ذكر هذه الأطوار. المعنى: أنّ مَن هذه مِّن بعض مقدوراته، يستحقّ التعظيم والتنزيه؛ لأنّ هذه التارات والتنقّلات إنشاء بعد إنشاء، فى غاية الدلالة على كمال القدرة ووصف الألوهية، ثمّ الإنشاء الآخر أن شقّ الشقوق وخرق الخروق، وأخرج العصب وجعل العروق كالأنهار الجارية، وركّبها على منوال غريب، مع كونه خلقاً سويّاً، فأظهر يد القدرة والآيات الظاهرة، وكمال الصنع والحكمة الباهرة، وأودع فيه الروح والحركة والسكون والإدراك والتمييز، ولغات الكلام والعلم والمعرفة والفهم والفطنة والفراسة، وغير ذلك ممّا يليق بهذا النوع الإنسانى الحيوانى الى غير ذلك ممّا يطول عدّه، ويعسر تقديره وحدّه فتبارك اللّه أحسنُ الخالقين.

ولو قيل لك: أخبرنى عن قدر عروقك رقّة وثخانة وطولًا وقصراً، أو عن حقيقة بعض ما فى باطنك من أى نوع كان، لعجزت عن بيان ذلك ولخرست، وأنت وجميع هذا النوع الإنسانى نُتفة تراب جعله بشراً منتشراً.

فتعالى اللّه وتبارك أن يخوض فى ذاته وصفاته إلّامن عَدِم الرشاد، وسلك

ص: ۵۷

سبيل الفساد والعناد، وصيّر نفسه أخسّ العباد.

فمن حقّق نظره واستعمل فكره، وجد نفسه أجهل الجاهلين بعظمة هذا العظيم.

فلا يقدّره أحد قدره ولا يعرفه سواه، وإن قرّبه وأدناه فسبحانه ما اثنى عليه حقّ ثنائه غيرُه، ولا وصفه بماغ يليق به سواه عجز الأنبياء والمرسلون عن ذلك، قال أجلّهم قدراً وأرفعهم محلًا وأبلغهم نُطقاً، مع ما أُعطى من جوامع الكَلِم: «لا أحصى ثناءً عليك، أنت كما أثنيتَ على نفسك».

ومن تأمل كلام اللّه- عزّ وجلّ- وجده محشواً بتنزيهه تارةً بالتصريح؛ وتارة بالتلويح، وتارة بالإشارات، وتارة بما تقصر عنه العبارات.

وهؤلاء (۱) العلماءُ ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، الذين قربوا من درجة النبوّة، لأنّهم دلّوا الناس على ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلا، ويرجح مدادهم على دم الشهداء، ويستغفر لهم من فى السموات والأرض حتّى الحيتان فى الماء، وهم أمناء اللّه- عزّ وجلّ- فى أرضه، وأحدهم على الشيطان أشدّ من ألف عابد.

وقد قيل فى قوله تعالى: ربِّ زدنى علماً (۲)

: أى زدنى علماً بالقرآن ومعانيه.

وهؤلاء لهم علم لَدُنىّ يرد على قلوبهم من غيب الهدى، لها جَوَلان فى الملكوت، فترجع الى صاحبها بطرائف الحكمة من غير أن يلقى إليها عالم علمه.

۱- معطوف على الأنبياء أى عجزوا كما عجز الأنبياء عن وصف ربّنا- عزّ وجلّ- كما ينبغى لهويليق به، ولولا ما علّمهم اللّه تعالى فى دينه ما عرفوا ما عرفوا من وحيه، وإنّما قلنا بذلك العطف؛ لأنّه لم يجىء بعدهم حديث عنهم، فليعلم. انتهى. مصحّحه.

۲- الكهف: ۱۱۴.

ص: ۵۸

ومن ثمرة ذلك حصول الخشية وتزايد الخوف، والعمل بالإخلاص والصدق والزهد وصون النفس عن مواطن الهلكة، وإلّا هلك وأهلك غيره.

ومثل العالم كمثل السفينة إذا انخرقت غرقت وغرق أهلها، فواجب على العالم أن يحترز لئلا يَهلك ويُهلك غيره، فيلقى اللّه بذنوبه وذنوب غيره، فيضاعف عليه العذاب.

قول محمد بن المنكدر بالتأويل

قال محمد بن المنكدر- وهو من سادة التابعين، وكانت عائشة رضى اللّه عنها تحبّه وتُكرمه وتَبره: الفقيه يدخل بين اللّه- عزّ وجلّ- وبين عباده، فلينظر كيف يدخل؟

وصدق ونصح قدّس اللّه روحه.

وهذا شأن السلف بذلوا النصيحة للإسلام والمسلمين، وكانوا شديدين على من خالف، ولا سيّما لما ظهر أهل الزيغ، وتظاهروا بالتنويه بذكر آيات المتشابه وأحاديثه، بالغوا فى التحذير منهم ومن مجالستهم، وكانوا يقولون: هم الذين عنى اللّه- عزّ وجلّ- فى قوله تعالى: فأمّا الذين فى قلوبهم زيغٌ فيتبعون ما تشابه منهُ ابتغاء الفتنةِ (۱)

الآية.

وكذا قالت عائشة رضى اللّه عنها.

وكانوا يقولون- إذا جلس أحد للوعظ والتذكير-: تفقدوا منه أموراً، ولا تغترّوا بكلّ واعظ، فإنّ الواعظ إذا لم يكن صادقاً ناصحاً سليم السريرة من الطمع والهوى هلك وأهلك.

وذكروا أشياء ببعضها تنطفىء نار الشبه التى بها يموّه أهل الزيغ.

۱- آل عمران: ۷.

ص: ۵۹

ومن لا یقبلها فما ذاک إلّاأنّ اللَّه- عزّ وجلّ- یرید إهلاکه وحشره فی زمرة السامرة والیهود والزنادقة، ومن یرد اللَّه- عزّ وجلّ- إضلاله فلا هادی له واللَّه یحکم لا معقب لحکمه لا یُسأل عمّا یفعل قسّم الخلق الی شقیّ وسعید، فهو الفعّال لما یرید، فمن اتبع هداه فلا یضلّ ولا یشقی، ومن اتبع هوی نفسه الأمّارة وأهل الزیغ والضلالة، وحاد عن سبیل من بهم یُقتدی هلک فی المرقی.

ولنرجع الی قول السلف رضی اللَّه عنهم: إذا جلس شخص للوعظ فتفقدوا منه أُموراً إن کانت فیه، وإلّا فاهربوا منه، وإیاکم والجلوس إلیه، وإلّا هلکتم من حیث طلبتم النجاة.

قالوا ذلک حین ظهر أهل الزیغ والبدع، وکثرت المقالات، وذلک بعد وفاة عمر رضی اللَّه عنه وحدیث حذیفة رضی اللَّه عنه یدلّ لذلک واللفظ لمسلم.

حدیث حذیفة فی الفتن و نبوغ الأهواء

قال حذیفة:(کنّا عند عمر رضی اللَّه عنه، فقال: أیّکم سمع رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم یذکر الفتن؟ فقال قوم: نحن سمعناه. فقال: لعلّکم تعنون فتنة الرجل فی أهله وجاره، قالوا: أجل. قال: تلک تُکفّرها الصلاة والصیام والصدقة، ولکن أیّکم سمع النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم یذکر التی تموج موج البحر؟ قال حذیفة رضی اللَّه عنه: فأسکت القومُ، فقلت: أنا. قال: أنت للَّهأبوک.

قال حذیفة رضی اللَّه عنه: سمعت رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم یقول: تُعرض الفتنُ علی القلوب کالحصیر، فأیّ قلب أُشرِبَها نُکِت فیه نُکتة سوداء، وأیّ قلب أنکرها نُکِت فیه نُکتة بیضاء؛ حتّی یصیر علی قلبین: علی أبیض مثل الصفاة، فلا تضرّه فتنة مادامت السموات والأرض، والآخر أسود مرباداً کالکوز مجْخیّاً؛ لا یعرف معروفاً، ولا ینکر منکراً، إلّاما أُشرب من هواه.

ص: ۶۰

قال حذیفة رضی الله عنه: وحدّثته: أنّ بینک وبینها باباً مُغلقاً یوشک أن یُکسر.

قال: قال عمر رضی الله عنه: أکسر لا أبا لک، فلو أنّه فتح لعلّه کان یعاد. قال: لا، بل یُکسر.

وحدّثته: أنّ ذلک الباب رجل یُقتل أو یموت حدیثاً لیس بالأغالیط.

قال أبو خالد: فقلت لسعید: یا أبا مالک ما «أسود مرباداً»؟

قال: شدة البیاض فی السواد.

قال قلت: فما «الکوز مجخیّاً»؟ قال: منکوساً (۱).

فقوله: «لیس بالأغالیط» یعنی أنّه عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم.

والفتن کلّ أمر کشفه الأختبار عن أمر سوء، وأصله فی اللغة الاختبار، وشُبّهت بموج البحر؛ لاضطرابها ودفع بعضها ببعض وشدّة عظمها وشیوعها.

وقوله: «تعرض الفتن علی القلوب» أی تلصق بعرض القلوب؛ أی بجانبها کالحصیر تلصق بجنب النائم، وتؤثر فیه لشدة التصاقها.

وهذا شأن المشبّهة تلصق فتنة التشبیه فی قلوبهم وتؤثّر، وتحسن لعقولهم ذلک حتّی یعتقدوا ذلک دیناً وقرباناً من اللّه عزّ وجلّ، وما یقنع أحدهم حتّی یبقی داعیة وحریصاً علی (۲) إفتان من یقدر علی إفتانه، کما هو مشاهد منهم.

وإلی مثل ذلک قوله «أُشرِبها» أی دخلت فیه دخولًا تامّاً وألزمها وحلّت منه محلّ الشراب ومنه قوله تعالی: وأُشربوا فی قلوبهم العجلَ (۳)

أی حبّه.

۱- صحیح مسلم: کتاب الإیمان الحدیث ۲۰۷، والبخاری فی مواقیت الصلاة رقم ۴۹۴ وفی الزکاة ۱۳۴۵ وفی الصوم ۱۷۶۲ وفی المناقب ۳۳۲۱ وفی الفتن ۶۵۶۷، والترمذی فی الفتن ۲۱۸۴، وابن ماجة فی الفتن ۳۹۴۵، وأحمد فی المسند رقم ۲۲۳۲۲.

۲- یرید: فتنة من یقدر علی فتنته أو فتن أو فتون... الی آخره. أنتهی. مصحّحه.

۳- البقرة: ۶۳.

ص: ۶۱

فقوله: «إنّ بينك وبينها باباً مُغلقاً» معناه أنّ تلك الفتن لا تفتح، ولا يخرج منها شيء فی حياتك.

وقوله: يُوشك- هو بضم الياء وكسر الشين- معناه أنّه يكسر عن قرب، والرجل هو عمر، وقد جاء مبيّناً فی الصحيح.

والحاصل: أنّ الحائل بين الناس وبين الفتن هو عمر رضی الله عنه ما دام حيّاً، فإذا مات دخلت.

ومبدأ الفتن هو الذين شَرِقوا (۱) بالنبی صلی الله عليه و آله و سلم وبأبی بكر وعمر رضی اللَّه عنهما؛ لعلمهم أنّ الدين لا يتمّ إلّابهما؛ لأنّ عندهم علماً بذلك، وكانوا يُظهرون الإسلام ويقرؤون شيئاً من القرآن، وكانوا يرمزون الی التعرّض بالنقص حتّی فی النبیّ صلی الله عليه و آله و سلم حتّی أنّ منهم من كان يؤمّ الناس ولا يقرأ فی الجهرية إلّابعبس؛ لما فيها من العتاب مع النبیّ صلی الله عليه و آله و سلم لأجل ابن أُمّ مكتوم، وهمّ رضی الله عنه علی (۲) قتاله.

وتظاهر شخص بسؤال: ماالذاريات ذَرْواً؟ فقال عمر رضی الله عنه: اللّهمّ أمكنی منه، فمرّ يوماً، فقيل له: هوذا، واسم الرجل صبيغ، فشمّر عمر رضی الله عنه عن ذراعيه وأوجعه جلداً. ثمّ قال: أرحِلوه، فاركبوه علی راحلته، فقال: طيفوا به فی حيّه ليعلم الناس بذلك (۳).

وكان رضی الله عنه شديداً فی دين اللَّه- عزّ وجلّ- لا تأخذه فی اللَّه لومة لائم، وقد ذكرت نبذة يسيرة من سيرته فی كتاب «قمع النفوس».

ولما كان أواخر القرن الأوّل اتّسع الأمر من القُصّاص.

۱- أی غَصّوا به صلی الله عليه و آله و سلم وبصاحبيه، فلم يستطيعوا أن ينفذوا ما يضمرون من الكيد للإسلام فی‌وجودهم؛ لعلمهم... الی آخره. انتهی.

۲- «علی» موضع الباء. انتهی. مصحّحه.

۳- ونفاه بعد ذلك رضی الله عنه، ولم يرجعه حتّی صدقت توبته. انتهی. مصحّحه.

ص: ۶۲

وتظاهر شخص يقال له المغيرة بن سعيد، وكان ساحراً، واشتهر بالوصّاف، وجمع بين الإلحاد والتنجيم، ويقول: إنّ ربه على صورة رجل على رأسه تاج، وإن أعضاءه على عدد حروف الهجاء، ويقول ما لا ينطق به، ويقول: إنّ الأمانة فى قول اللَّه تعالى: إنّا عرضنا الأمانةَ على السمواتِ والأرضِ والجبالِ (۱)

، هى أن لا يُمنع عليٌّ الخلافة، وقوله تعالى: وحَمَلَها الإنسانُ إنّه كانَ ظلوماً جَهولًا (۲)

هو أبو بكر رضى الله عنه، وقال عمر رضى الله عنه لأبى بكر أن يحملها ويمنع عليّاً منها، وضمن عمر أنّه يعيّن أبا بكر بشرط أن يجعل أبو بكر الخلافة له بعده، فقبل أبو بكر منه، وأقدما على المنع متظاهرين.

ثمّ وصفهما بالظلم والجهل، فقال: وحملها أبو بكر إنّه كان ظلوماً جهولًا، وزعم أنّه نزل فى حقّ عمر رضى الله عنه كمثلِ الشيطانِ إذ قال للإنسانِ أكفرْ... (۳)

الآية، وكان يقول بتكفير سائر الصحابة رضى اللَّه عنهم إلّالمن ثبت مع علىّ رضى الله عنه.

وكان يقول: إنّ الانبياء- عليهم الصلاة والسلام- لم يختلفوا فى شىء من الشرائع، وكان يقول بتحريم إنكار المنكر قبل خروج الإمام.

وقال لمحمّد الباقر: أقِرّ أنّك تعلم الغيب حتّى أجبى لك العراق، فانتهره وطرده.

وكذا فعل بجعفر الصادق- ولد محمّد الباقر- فقال: أعوذ باللَّه.

وكان يقول: انتظروا محمد بن عبداللَّه الإمام، فإنّه يرجع ومعه ميكائيل وجبريل يتبعانه من الركن والمقام.

وكان له خبائث، فلمّا كان فى السنة التاسعة عشرة والمائة ظفر به خالد بن

۱- الاحزاب: ۷۲.

۲- الاحزاب: ۷۲.

۳- الحشر: ۱۶.

ص: ۶۳

عبداللّه القسری، فأحرقه وأحرق معه خمسة من أتباعه (۱).

فهذا شأن أهل الزيغ.

واستمرّ الأمر على ذلك، إلّاأنّهم سلكوا مسلك المكر والحيلة بإظهار الكبّ (۲) على سماع الحديث، ويكثرون من ذكر أحاديث المتشابه ويجمعونها ويسردونها على الناس والعوامّ.

ثم كثرت المقالات فی زمن الإمام أحمد وكثر القُصّاص، وتوجّع هو وابن عُيينة وغيرهما منهم، وكان الإمام أحمد يقول: كنت أودّ لو كان قصّاصاً صادقاً نصوحاً طيّب السريرة.

بدعة الكرامية والحنابلة

ونبغ فی زمنه محمّد بن كرام السجستانی، وترافق مع الإمام أحمد، وأظهر حسن الطريقة حتّی وثقه هو وابن عيينة، وسمع الحديث الكثير، ووقف على التفاسير، وأظهر التقشّف مع العفّة ولين الجانب، وكان ملبوسه جلد ضأن غير مخيط، وعلى رأسه قَلَنسُوة بيضاء، ثم أخذ حانوتاً يبيع فيه لبناً، واتّخذ قطعة فَرْوٍ يجلس عليها، ويعظ ويذكّر ويحدّث ويتخشّع.

حتّی أخذ بقلوب العوامّ والضعفاء من الطلبة لوعظه وبزهده؛ حتّی حصر من

۱- جمع المؤلّف فی الحديث عن المغيرة بن سعيد بين هذه الخرافات وخلط فيها بين الحقّ والباطل نقلًا عن أعداء آل محمد صلى الله عليه و آله تشويهاً لسمعتهم وإبعاداً للناس عنهم وعن مآثرهم ومكارمهم ومعارفهم، فليتروّ القارىء فی أكثر هذه المنقولات، وليقرأها بحذَر!

۲- يريد «الإكباب». انتهى. مصحّحه.

ص: ۶۴

تبعه من النـاس فـإذا هم سـبعون الفـاً، وكـان من غلاة المشـبهة، وصار يُلقى على العوامّ الآيات المتشابهـة والأخبار التى ظواهرها يوافق عقول العوامّ وما ألفوه.

ففطن الحُذّاق من العلماء، فأخذوه ووضعوه فى السجن، فلبث فى سجن نيسابور ثمانىَ سنين.

ثمّ لم يزل أتباعه يسـعون فيه حتّى خرج من السـجن، وارتحل الى الشام، ومات بها فى زعر، ولم يعلم به إلّاخاصّة من أصحابه، فحملوه ودفنوه فى القدس الشريف، وكان اتباعه فى القدس أكثر من عشرين ألفاً على التعبّد والتقشّف، وقد زيّن لهم الشيطان ما هم عليه وهم من الهالكين وهم لا يشعرون، واستمرّ على ما هم عليه خَلق شأنهم حمل الناس على ما هم عليه إلى وقتك هذا.

قال اللّه تعالى: أفمن زُيِّنَ له سوءُ عمله فرآه حسناً (۱)

قال سعيد بن جبير:

هذه الآية نزلت فى أصحاب الاهواء والبدع. المعنى: أنّه ركض فى ميادين الباطل، وهو يظنّها حقّاً.

وكان ابن عبّاس- رضى اللّه عنهما- يقول عند هذه الآية: إنّ الضلالة لها حلاوة فى قلوب أهلها.

والبدعة هى استحسان ما يسوق إليه الهوى والشبهة مع الظنّ بكونها حقّاً.

وهؤلاء يُنزع من قلوبهم نور المعرفة، وسراج التوحيد من أسرارهم، ووُكلوا الى ما أختاروا، فضلّوا وأضلّوا ويحسبون أنّهم على شىء ألا إنّهم همُ الكاذبونَ (۲)

حتّى ينكشف لهم الأمر.

كما قال اللّه تعالى: وبدا لهم من اللّه ما لم يكونوا يحتسبونَ (۳)

قيل: عملوا

۱- فاطر: ۸.

۲- المجادلة: ۱۸.

۳- الزمر: ۴۷.

ص: ۶۵

أعمالًا ظنّوا أنّها فی کفّة الحسنات، فإذا هی فی کفة السیئات.

وهـذه الآیة قیل: إنّها فی أهل البدع، یتصوّر (۱) ویعتقـد- مع تمام الورع والزهـد وتمام الأعمال الصالحة وفعل الطاعات والقُرُبات- ما عاقبته خطرة، ومن ذلک أن یعتقد فی ذات اللّه وصفاته وأفعاله ما هو خلاف الحقّ، ویعتقده علی خلاف ما هو علیه؛ إمّا برأیه ومعقوله الـذی یُحاکی به الخصوم، وعلیه یُعوّل وبه یغترّ، قـد زیّن له العـدّو وحلّاه له حتّی اعتقده دیناً ونعمة، وإمّا أخذاً بالتقلید ممّن هذه حاله.

وهذا التقلید کثیر فی العوامّ، لا سیّما من یعضد بدعته واعتقاده بظاهر آیة أو خبر، وهو علی وفق الطبع والعادة.

وقد أهلک اللعین بمثل هذا خلقاً لا یُحصون حتّی إنّهم یعتقدون أنّ الحقّ فی مثال ماهم علیه، وأنّ غیرهم علی ضلالة.

ومثل هؤلاء ومن اتّبعوهم إذا بدا لهم ناصیة مَلَک الموت، انکشف لهم (۲)- ما اعتقدوه حقّاً- باطلًا وجهلًا، وخُتم لهم بالسوء، خرجت أرواحهم علی ذلک، وتعذّر علیهم التدارک، وکذا کلّ اعتقاد باطل.

ولا یفید زوال ذلک کثرة التعبّد وشدّة الزهد وکثرة الصوم والحجّ، وغیر ذلک من أنواع الطاعات والقربات، لأنّها تبع لأمر باطل.

ولا ینجو أحد إلّابالاعتقاد الحقّ وقد قال تعالی: فماذا بعد الحقِّ إلّا الضَّلالُ (۳)

وهذه الآیة صریحة فی أنّه لیس بین الحقّ والباطل واسطة.

والباطل هو الذهاب عن الحقّ، مأخوذ من ضلّ الطریق، وهو العدول

۱- أی أحدهم انتهی. مصحّحه.

۲- فی الأصل: انکشف لهم بطلان ما اعتقدوه...» وهو من سهو القلم، والصحیح حذف کلمة «بطلان». ولعلّ «بطلان» من زیادة النسّاخ. انتهی. مصحّحه.

۳- یونس: ۳۲.

ص: ۶۶

عن سمته.

والحقّ هو الصراط المستقيم الذى فى قوله تعالى: وأنّ هذا صراطى مُستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السُّبلَ فتَفرقَ بكم عن سبيلِهِ ذلكم وصَّاكم به لعلّكم تتّقون (۱)

وصف اللَّه تعالى صراطه- وهو دينه- بالاستقامة، وأمر باتّباعه.

والمستقيم هو الذى لا اعوجاج فيه، فمن اتّبعه أوصله الى مقعد صدق عند مليك مقتدر.

قال سهل: الصراط المستقيم هو الاقتداء والأتّباع وترك الهوى والابتداع.

ثمّ إنّه تعالى نهى عن اتّباع السُّبل؛ لما فيها من الحِيَدَة عن طريق الاستقامة، فقال: ولا تَتّبِعُوا السُّبلَ فتفرَّقَ بِكم عن سبيله أى تميل بكم عن طريقه- التى ارتضى، وبه (۲) أوصى- الى سُبُل الضلالات من الأهواء، فتهلكوا.

قيل لعبداللَّه بن مسعود رضى الله عنه: ما الصراط المستقيم؟ فقال: «ما تركنا محمّد صلى الله عليه و آله و سلم فى أدناه وطرفه فى الجنّة، وعن يمينه جوادّ، وعن يساره جوادّ، وثَمّ رجال يدعون من مرّ بهم، فمن أخذ فى تلك الجوادّ انتهت به الى النار، ومن أخذ على الصراط انتهى به الى الجنّة، ثمّ تلا: وأنَّ هذا صراطى مُستقيماً الآية.

فأشار رضى الله عنه بالرجال الذين على الجوادّ الى علماء السوء وأهل البدع، وأشار بقوله: «يدعون من مرّ بهم» الى الوعّاظ الذين هم سبب هلاك من قعد إليهم.

ولهذا بالغ السلف رضى اللَّه عنهم فى التحذير من مجالسة كلّ أحد، وقالوا: إذا جلس للوعظ فتفقدّوا منه أموراً، فإن كانت فيه فأهربوا منه، وإلّا هلكتم من حيث ظننتم النجاة.

۱- الانعام: ۱۵۳.

۲- راعى فى وصف الطريق ب «التى» جواز تأنيثها، وراعى فى رجوع الضمير إليها «به» جواز تذكيره، فليعلم. انتهى. مصحّحه.

ص: ۶۷

منها: إن كان مبتدعاً فاحذروه واجتنبوه، فانه على (۱) لسان الشيطان ينطق، ومن نطق على لسان الشيطان فلا شكّ ولا ريب فى إغوائه، فيهلك الإنسان من حيث يظنّ السلامة.

وأيضاً ففى المشى إليه ومجالسته تعظيم له وتوقير.

روى ابن عدى من حديث عائشة رضى اللّه عنها:(من وقّر صاحب بِدْعةٍ فقد أعان على هدم الإسلام)، ورواه الطبرانى فى مُعجمه الأوسط، ورواه الحافظ أبو نعيم من حديث عبداللّه بن بشر، وبهذا وغيره يجب التبرّى من أهل البدع والتباعد.

قال بعض السلف: «من بشّ فى وجه مبتدع أو صافحه فقد حلّ عُرى الإسلام عروة عروة».

وقال شخص من أهل الأهواء لأيّوب السختيانى رضى الله عنه: أكلّمك كلمة. فقال: لا واللّه ولا نصف كلمة.

وكان يقول: ما ازداد صاحب بدعة اجتهاداً إلّاازداد من اللّه بُعداً.

قال رضى الله عنه: كنّا ندخل على أيّوب السختيانى، فإذا ذكرنا له حديثاً عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم يبكى حتّى نرحمه.

وكان يقول: إذا بلغنى موت أحد من أهل السُّنّة فكأنّما يسقط عضو من أعضائى.

وكان يقول: واللّه ما صدق عبد إلّاسرّه ألّا يراه أحد (۲).

وكان يونس بن عبيد يقول: احفظوا عنّى ثلاثاً متُّ أو عشتُ: لا يدخلنّ أحد

۱- «على» بمعنى عن أو الباء. انتهى. مصحّحة.

۲- أى وهو يعمل الصالحات، وهو كلام جليل، فليفكّر فيه القارىء طويلًا لعله يتحقق به. انتهى. مصحّحه.

ص: ۶۸

على سلطان يعظه أو يعلّمه، ولا يخلونّ بأمرأة شابة وإن أقرأها القرآن، ولا يمكّن سمعه من ذى هوىً، وأشدها الثالثة؛ لما فيها من الزيغ أعاذنا اللّه من ذلك.

وكان يقول: ما يزال العبد بخير ماأبصر ما يفسد عمله.

ويونس هذا تابعى من أصحاب الحسن البصرى.

وكان أبو عبداللّه الأصبهانى من عباد اللّه الصالحين ومن البكّائين، ولم يكن بأصبهان أزهد منه ولا أورع منه، قال: وقفت على على بن ماشاذة، وهو يتكلّم على الناس.

فلمّا جاء الليل رأيت ربّ العزة فى النوم، فقال لى: وقفت على مبتدع وسمعت كلامه لأحرمنّك النظر فى الدنيا، فاستيقظ وعيناه مفتوحتان لا يبصر بهما شيئاً.

وقال الحميدى: سمعت الفضيل يقول: من وقرّ صاحب بدعة أورثه اللّه عمًى قبل موته.

قيل: أراد أيضاً عمى البصيرة.

البدعة و أسبابها

وأعلم: أنّ الكلام على البدعة وأهلها فيه طول جدّاً، وقد ذكرت جملة منه فى «تنبيه السالك على مظانّ المهالك».

ومنها: أن يكون الواعظ سيء الطعمة، فإنّه إنّما ينطق بالهوى؛ لأنّ مثل هذا يوقع الناس فى الحرام، أو ربّما اعتقدوا حلّه؛ لأنّهم يقتدون به فى فعله بواسطة قوله.

ومنها: أن يكون ردىء العقل أحمق، فانه يفسد بحمقه أكثر مما يصلح، والأحمق هو الذى يضع الشيء فى غير موضعه ويعتقد أنّه يصيب.

قال عيسى عليه السلام: «أبرأت الأكمه والأبرص وأعيانى الأحمق».

ص: ۶۹

فالأحمق مقصوده صحيح، ولكن سلوكه للطريق فاسد، فلا يكون له رؤية صحيحة فى طريق الوصول الى الغرض، ويختار ما لاينبغى أن يختار، وهذا واجب الاجتناب.

بخلاف صاحب العقل الصحيح، فإنّه يُثمر حسن النظر وجودة التدبير وثقافة الرأى وإصابة الظنّ، والتفطن لدقائق الأدلّة والأعمال وخفايا النفس الأمّارة وغرور الشيطان.

ومنها: أن يذكر الأدّلة التى هى رجاء وتوسعة على النفوس، ويسكت عن آيات الخوف والرهبة وكذا الأخبار والآثار؛ لأنه بذلك يحلّ من القلوب الزواجر، ويسهل ارتكاب المعاصى، لا سيّما إذا علم منه ارتكاب شىء ولو كان مكروهاً، فانه يوقع الناس فى ورطة عظيمة.

قال: «إذا عبث العلماء بالمكروه عبث العوامّ بالحرام، وإذا عبث العلماء بالحرام كفر العوامّ»؛ معناه: أنّهم يعتقدون حلّه لارتكاب العلماء ذلك؛ لأنّهم القادة وعليهم المعوّل فى التحليل والتحريم.

ومنها: أن يتعرّض لآيات المتشابه وكذلك الأخبار، ويجمعها ويسردها ويكرّر الآية والخبر مراراً؛ لأنّه يوقع العامّى فيما اعتاده وألفه، فيُجرى صفات الخالق سبحانه وتعالى على ما ألفه وجرى عليه طبعه، ويزيّنه الشيطان له بغروره، لا سيّما إن كان الواعظ مّمن يُظهر زهداً وورعاً وشفقة على الناس، فكم من شخص حسن الظاهر خبيث الباطن، جميل الظاهر قبيح السرائر والضمائر.

والسلف رضى اللَّه عنهم لهم اعتناء بشدّة مجانبة هذا والتباعد عنه.

ومنها: أن يكون متهماً بالرفض وبسبّ الصحابة رضى اللَّه عنهم.

وهؤلاء نبّه مالك رضى الله عنه على أنّهم من سلالة المنافقين، وأوضح ذلك نوّر اللَّه تعالى قلبه، فقال: أرادوا أن يقدحوا فى النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم بشىء فلم يجدوا مساغاً،

ص: ۷۰

فقدحوا فی الصحابة؛ لأنّ القدح فی الرجل قدح فی صاحبه وخلیطه، وهؤلاء کفّار لا ستحلالهم سبّ أفضل الخلق بعد الأنبیاء علیهم أفضل الصلاة والسلام.

ومنهم: أقوام یُلبسون علی الناس بقراءة البخاری وغیره، وهم لا یعتقدون البخاری، ویسمّونه فیما بینهم بالفشاری، ولهم خبائث عدیدة کلّ واحدة کفر محقّق.

وبقی أُمور لا أطوّل بذکرها.

فمن أراد اللّه به خیراً حماه عن مجالسة هؤلاء؛ لأنّ القلب سریع الانقلاب وقبول الرخص والشبه، فإذا علقت به الشبهة والریبة فبعید أن ترتفع عن قلبه غشاوة ما وقر فیه، وأقلّ ما ینال القلب التردّد والحیرة، وذلک عین الفتنة ومراد الشیطان.

فّان کان الذی دخلت قلبه الشبهة عامیّاً، والمبتدع أدخلها علیه ب «قال اللّه عزّ وجلّ وقال رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم» فبعید أن یرجع ویتقشّع عن قلبه غشاوة الجهل والحیرة لتحکّم الشبهة بالدلیل، وهذا من الهالکین إلّاأن یتدارکه اللّه برحمته.

لأنّ عمدة الناس الکتاب والسُّنّة، والهلکة الجهلة یفهمونهما علی غیر المراد منهما علی الوجه المرضیّ.

فمن حقّ العبد الطالب للنجاة حراسة قلبه وسمعه عن خزایا خُزعبلات المبتدعة وتزویق کلامهم، وأن لا یغترّ بتقشّفهم وکثرة تعبّدهم وزهدهم ووصفهم لأنفسهم، فإنّ ذلک من أقوی حبائلهم التی یصطادون بها، وبها تتشرّب القلوب لبدعتهم، لا سیّما من قلبه مشغوف بحبّ الدنیا، إذا رأی زاهداً فیها، مع إکبابه علی الکتاب والسُّنّة، مع الورع والزهد والعفّة والقناعة، فلا شکّ ولا ریب أنّه یرغب فیه غایة الرغبة، ویمیل إلیه غایة المیل، ولا یصدّه عنه صادّ، کما هو مشاهد من العوامّ ومحبّتهم ورغبتهم لمن هو بهذه المثابة.

ص: ۷۱

فتنبّه لذلک، فقد أوضحتُ طريق السلامة والتباعد من مظانّ الهلكة.

فكم من شخص قصدُهُ صالحٌ، قد هلک بمثل هؤلاء إخوان الشياطين وهو لا يشعر.

وعليک بالاقتداء بالأطباء؛ أعنى أطباء القلوب، وهم الأنبياء عليهم السلام؛ لأنهم العالمون بأسباب الحياة الأُخرويـة، ثمّ أتباعهم الذين أخذوا عنهم، وشاهدوا منهم مالم يشاهده غيرهم. شعر:

من كان يرغب فى النجاة فما لَهُ غير اتّباع المصطفى فيما بدا

فاتْبَعْ كتاب اللَّه والسنن التى صحّت فذاک إذا اتّبعتَ هو الهدى

فالدينُ ما قال النبىُّ وصحبُهُ فإذا اقتديت بهم فنِعْم المُقتدى

فسبحان الحليم الودود، الممهل الكريم العميم الجود، العالم بخفايا الضمائر ودبيب النملة على الصخرة فى الليالى السود. ويرى جريان الماء فى العود.

القادر فكلّ ما سواه بقدرته موجود. نزّه نفسه بنفسه لعجز خلقه عن ذلک، فتعالى عن الأشكال والأمثال والجهات والحدود، صفاته قديمة ثابتة بالنقل والعقل، فمن عطّل وقع فى الجحود، وتنزيهه عن النقائص والأشباه محقّق ومعلوم، والتشبيه مذهب السامرة واليهود. وكفّ الكيف مشلولة بل مقطوعة، وباب التشبيه مردوم ومسدود، فمن فتحه هجمت عليه نار الوعيد، فأهلكته كما هلک فرعون ونمرود، وأصحاب الأخدود وعاد وثمود، فنسأل اللَّه العافية من الفتن ومن أسبابها ومن النار ذات الوقود، ونتوسّل إليک بسيّد الأوّلين والآخرين محمّد، كما توسّل به أبو البشر فقبلته، فهو أحمد المحمود، صاحب الحوض المورود، والمقام المحمود، فهو أعظم الوسائل، ولا يخيب من توسّل به ولو كان من أهل الجحود.

ص: ۷۲

التوسل بالنبی فی القرآن

قال اللّه تعالی: وکانوا أی الیهود مِنْ قَبْلُ أی بعث محمّد صلی الله علیه و آله و سلم یستفتحون أی یستنصرون علی الذین کفروا (۱) وهم مشرکو العرب، کانوا یقولون إذا حَزَبَهُمْ أمر أو دهمهم عدوّ: «اللّهمّ انصرنا بجاه النبیّ المبعوث آخر الزمان، الذی نجد صفته فی التوراة»، فکانوا یُنصرون، وکانوا یقولون لأعدائهم کغطفان وغیرها من المشرکین: «قد أطلّ زمانُ نبیٍّ یخرج بتصدیق ما قلناه، فنقتلکم معه قتل عاد وثمود».

فانظر- أرشدک اللّه- الی قدره ودُنوّ منزلته عند ربّه، کیف قبل عزّ وجلّ التوسّل به من الیهود، مع علمه سبحانه بأنهم یکفرون به، ولا یوقّرونه ولا یعظّمونه، بل یؤذونه، ولا یتّبعون النور الذی أُنزل معه؟

فمن مَنع التوسّل به فقد نادی علی نفسه، وأعلم الناس بأنّه أسوأ حالًا من الیهود.

شعر:

أنت الملاذُ لنا وأنت المرتجی وبک اللیاذُ وأنت ملجأُ مَن لَجا

یا سیّد الکونینِ یامَن قد سما معراجُه فوق السماءِ وعرَّجا

یا سیّد الثقلین والحکم الهدی والمقصد الأسنی لأبواب الرجا

یا سیّداً مَن أمَّ بابَ مقامه ألفاهُ خیر مقامِ سُؤْلٍ یُرتجی

یا سیّداً ما أمَّهُ من ضامهُ ریبُ الزمان بخَطبه إلّانجا

یا سیّداً جعل الإلهُ وجودَهُ للعالمین المرتجی والمُلتجا

یا خاتم الرُّسُل الکرامِ ومن بهِ ربُّ البریّةِ کلَّ همٍّ فرَّجا

غیره:

وکن مستجیراً بالذی نالَ رفعةً الی عزّها ذلَّ الملوکُ الأکاسرُ

نبیٌّ لهُ جاهٌ عریض ومَنصَبٌ عظیمٌ له تُعزی العُلی والمفاخرُ

جلیلٌ جمیلٌ راحمٌ مُتعطِّفٌ فصیحٌ ملیحٌ کاملُ الحُسنِ باهرُ

ألا یا رسولَ اللّه یا غایهٔ المُنی لقد نلتَ فخراً ما لأدناه آخرُ

أیا دُرهٔ الأنباء یاجوهر الوری هنیئاً لنفسٍ فی هواک تُتاجرُ

لقد ربحتْ فی بیعها وتنعّمت وقد سَعِدت یادرّها والجواهرُ

حبیبی رسولَ اللّه کُنْ لِیَ شافعاً أغِثْنی أجِرْنی یومَ تُبلی السرائرُ

بجاهک آمالُ الضعیف تعلّقتْ إذا نُصب المیزانُ والعقلُ طائرُ

فکن شافعی عند الإله فإنّه حلیمٌ کریمٌ غافرُ الذنبِ ساترُ

مضی العُمرُ فی لهوٍ وزهوٍ وغفلةٍ وإنّی عن الفعل الحمید لقاصرُ

۱- البقرة: ۸۹.

ص: ۷۳

ص: ۷۴

فیاربِّ دارِکْنا بعفوٍ ورحمةٍ فأنت جیملُ العفو للکسرِ جابرُ

وخُذْ بنواصینا وطهِّرْ قُلوبَنا ومُنَّ بعفوٍ منکَ فالعفوُ غامرُ

وصلِّ علی البدرِ الذی من جبینِهِ بَدا الشمسُ والأقمارُ والنجمُ زاهرُ

نجزتُ هـذه الأـحرف المبارکـات علی قارئهـا ومسـتمعیها، المتأسّـین بأهل الحقّ، التابعین للصـفوة من أولی المعجزات، المنزِّهین لربّ العالمین، والمعظّمین لسـیّد الأوّلین والآخرین، وسائر الأنبیاء والمرسـلین، وسـرج هـذه الأُمّـة من بعـدهم، کالصـدّیقین وسائر الصـحابة والتابعین لهم بأحسان الی یوم الدین.

ص: ۷۵

ابن تيمية الحرانى و آراؤه

وكنتُ قد عزمت على أن أقتصر على ذلك؛ لأنّ فى بعض ما ذكرته وقاية من المقت والمهالك.

ثـمّ قيـل لى وكُرِّر علىّ: إنّ أهـل التشـبيه والتجسـيم والمزدريـن بسـيّد الأـولين والآـخرين- تبعاًلسـلالة القردةوالخنـازير- لهم وجودوفيهم كثرة، وقدأخذوا بعقول كثير من الناس؛ لما يزيِّنون لهم من الأطراء على قدوتهم، ويُزخرِفون لهم بالأقوال والأفعال، ويموِّهون لهم بإظهار التنسّك، والإقبال على كثرة الصلاة والصوم والحجّ والتلاوة، وغير ذلك ممّا يحسن فى قلوب كثير من الرجال، لا سيما العوامّ المائلين مع كلّ ريح أتباع الدجّال، فانقادوا لهم بسبب ذلك، وأوقعوهم فى اسر المهالك.

فرأيت بسبب هذه المكايد والخزعبلات أن أتعرض لسوء عقيدتهم؛ قمعاً لهذا الزائغ عن طريق أهل الحقّ، وهم الأئمة الأربعة المقتدى بهم والمعوّل عليهم فى جميع الأعصار والأقطار؛ لأنّهم النجوم الذين بهم يُهتدى.

وقد بالغ جمع من الأخيار من المتعبّدين وغيرهم من العلماء، كأهل مكّة وغيرها، أن أذكر ما وقع لهذا الرجل من الحِيَدة عن طريق هذه الأئمة ولو كان أحرفاً يسيرة؛ إما بالتصريح أو بالتلويح مشيرة، فاستخرتُ اللّه- عزّ وجلّ- فى

ص: ٧۶

ذلك مدّة مديدة.

ثم قلت: لا ـ أبا لـك، وتأملت ما حصل وحـدث بسـببه من الإغواء والمهالك، فلم يسـعنى عنـد ذلك أن أكتم ما علمت، وإلّا ألجمتُ بلجام من نار ومقت.

وها أنا أذكر الرجل، وأُشير باسمه الذى شاع وذاع، واتّسع به الباع، وسار بل طار فى أهل القرى والأمصار.

وأذكر بعض ما أنطوى باطنه الخبيث عليه، وما عوّل فى الإفساد بالتصريح أو الاشارة إليه.

ولو ذكرت كثيراً مّما ذكره ودوّنه فى كتبه المختصرات، لطال جدّاً، فضلًا عن المبسوطات.

وله مصـنّفات أُخر لا ـ يمكن أن يطّلع عليهـا إلّامن تحقّق أنّه على عقيـدته الخبيثـة، ولو عصـر هو واتباعه بالعاصـرات؛ لما فيها من الزيغ والقبائح النحسات.

قـال بعض العلمـاء من الحنابلـة فى الجـامع الأُموى فى ملأ من الناس: لو اطّلع الحصـنى على ما اطّلعنا عليه من كلامه، لأخرجه من قبره وأحرقه وأكّد هؤلاء أن أتعرّض لبعض ما وقفت عليه.

وما أفتى به مخالفاً لجميع المذاهب، وما خطِىء فيه وما انتقد عليه.

وأذكر بعض ما اتّفق له من المجالس والمناظرات، وما جاءت به المراسيم العاليات.

وأتعرض لبعض ما سلكه من المكايد التى ظنّ بسببها أنّه تخلص من ضرب السياط والحبوس وغير ذلك من الإهانات، وهيهات.

انتساب ابن تيمية إلى مذهب أحمد بن حنبل

فأوّل شىء سلكه من المكر والخديعة أن انتمى الى مذهب الإمام أحمد،

ص: ۷۷

وشرع يطلب العلم ويتعبّد، فمالت إليه قلوب المشايخ، فشرعوا فى إكرامه والتوسعة عليه، فأظهر التعفّف فزادوه فى الرغبة فيه والوقوع عليه، ثمّ شرع ينظر فى كلام العلماء، ويعلّق فى مسوّداته حتّى ظنّ أنّه صار له قوّة فى التصنيف والمناظرة، وأخذ يدوّن ويذكر أن جاءه استفتاء من بلد كذا، وليس لذلك حقيقة، فيكتب عليها صورة الجواب، ويذكر مالا ينتقد عليه، وفى بعضها ما يمكن أن ينتقد، إلّاأنّه يشير إليه على وجه التلبيس؛ بحيث لا يقف على مراده إلّاحاذق عالم متفنّن، فإذا ناظر أمكنه أن يقطع من ناظره إلّاذلك المتفنّن الفطن.

خداعه لعوام الناس

ثمّ شَرَع يتلقى الناس بالأُنس وبسط الوجه ولين الكلام، ويذكر أشياء تحلو للنفوس، لاسيّما الألفاظ العذبة، مع اشتمالها على الزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة، فطلبوا منه أن يُذكّر الناس ففعل، فطار ذكره بالعلم والتعبّد والتعفف، ففزع الناس إليه بالأسئلة، فكان إذا جاءه أحد يسأله عن مسألة، قال له: عاودنى فيها، فإذا جاءه قال: هذه مسألة مشكلة، ولكن لك عندى مخرج أقوله لك بشرط، فإنى أتقلدها فى عنقى، فيقول: أنا أوفى لك، فيقول: أن تكتم علىّ، فيعطيه العهود والمواثيق على ذلك، فيفتيه بما فيه فرجه؛ حتّى صار له بذلك أتباع كثيرة يقومون بنصرته أن لو عرض له عارض.

ثمّ إنّه علم أنّ ذلك لا يخلّصه، فكان إذا كان فى بعض المجالس، قال: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، قد انفتقت فتوق من أنواع المفاسد يبعد ارتتاقها، ولو كان لى حكم لكنت أجعل فلاناً وزيراً، وفلاناً محتسباً، وفلاناً دويداراً، وفلاناً أمير البلد، فيسمع أولئك وفى قلوبهم من تلك المناصب، فكانوا يقومون فى نصرته.

ص: ۷۸

محايلته للعلماء

ثمّ اعلم: أنّ مثل هؤلاء قد لا يقدرون على مقاومة العلماء إذا قاموا فى نحره، فجعل له مَخْلصاً منهم؛ بأن ينظر الى من الأمر إليه فى ذلك المجلس، فيقول له: ما عقيدة إمامك، فإذا قال: كذا وكذا، قال: أشهد أنّها حقّ، وأنا مخطىء، واشهدوا أنى على عقيدة إمامك، وهذا كان سبب عدم إراقة دمه، فإذا انفضّ المجلس أشاع أتباعه أنّ الحقّ فى جهته ومعه، وأنّه قطع الجميع؛ ألا ترون كيف خرج سالماً حتّى حصل بسبب ذلك افتتان خلق كثير، لا سيّما من العوامّ.

فلمّا تكرر ذلك منه علموا أنّه إنّما يفعل ذلك خديعة ومكراً، فكانوا مع قوله ذلك يسجنونه، ولم يزل ينتقل من سجن الى سجن حتّى أهلكه اللّه- عزّ وجلّ- فى سجن الزندقة والكفر.

التزام ابن تيمية للتقية

ومن قواعده المقرّرة عنده، وجرى عليها أتباعه، التوقّى بكلّ ممكن حقّاً كان أو باطلًا ولو بالأيمان الفاجرة؛ سواء كانت باللّه- عزّ وجلّ- أو بغيره.

وأمّا الحلف بالطلاق فإنه لا يوقعه، ألبتّة، ولا يعتبره سواء كان بالتصريح أو الكناية أو التعليق أو التنجيز، وهذا مذهب فرقة الشيعة، فإنهم لا يرونه شيئاً، وإشاعته هو وأتباعه أنّ الطلاق الثلاث واحدة خُزَعْبَلات ومكر، وإلّا فهو لا يوقع طلاقاً على حالف به؛ ولو أتى به فى اليوم مائة مرة على أىّ وجه؛ سواء كان حثاً أو منعاً أو تحقيق خبر، فاعرف ذلك، وأنّ مسألة الثلاث إنّما يذكرونها تستّراً وخديعة وقد وقفتُ على مصنّف له فى ذلك (۱)، وكان عند شخص شريف زينبى،

۱- هذا شىء مدهش جدّاً، ولو أنّ الذى يحكيه [غير] الإمام الحصنى المعروف بشحّه على‌دينه، ما وجد ما يحكيه الى القلوب سبيلًا. انتهى. مصحّحه.

ص: ۷۹

وكـان يردّ الزوجـة الى زوجها فى كلّ واقعـة بخمسـة دراهم، وإنّما أطلعنى عليه لأنّه ظنّ أنّى منهم، فقلت له: ياهـذا أتترك قول الإمام أحمد وقول بقيّة الأئمة بقول ابن تيميّة؟!

فقال: أشهد علىّ أنّى تُبتُ.

وظهر لى أنّه كـذب فى ذلك، ولكن جرى على قاعـدتهم فى التستّر والتقيّـة، فنسأل اللّه العافية من المخادعة، فإنّها صـفة أهل الدَّرك الأسفل (۱).

تزوير ابن تيمية فى المصنفات والمصادر

ثمّ اعلم قبل الخوض فى ذكر بعض ما وقع منه وانتقد عليه: أنّه يذكر فى بعض مصـنّفاته كلام رجل من أهل الحقّ، ويدسّ فى غضونه شيئاً من معتقده الفاسد، فيجرى عليه الغبّى بمعرفة كلام أهل الحقّ فيهلك، وقد هلك بسبب ذلك خَلق كثير.

وأعمق من ذلـك أنه يـذكر: أنّ ذلـك الرجـل ذكر ذلـك فى الكتـاب الفلانـى، وليس لـذلك الكتـاب حقيقـة، وإنّما قصـده بـذلك انفضاض المجلس، ويؤكّد قوله بأن يقول:

ما يبعد أنّ هذا الكتاب عند فلان، ويسـمّى شخصاً بعيد المسافة، كلّ ذلك خديعة ومكر وتلبيس لأجل خلاص نفسه، ولا يحيق المكر السيء إلّابأهله.

ولهـذا لم يزل فيهم التعـازير والضـرب بالسـياط والحبوس وقطع الأعنـاق، مع تكتمهم مـا يعتقـدونه والمبالغـة فى التكتم؛ حتّى أنّهم لا ينطقون بشـيء من عقائـدهم الخبيثـة إلّافى الأمـاكن الخفيـة، بعـد التحرّز وغلق الأبـواب والنطق بمـا هم عليه بالمخافتـة، ويقولون: إنّ للحيطان آذاناً.

۱- لا يتردّد عاقل فى أن ما سـيحكيه الإمام الحصـنى بعـدُ فعلُ دجاجلة لا علماء، فليقرأه العاقل، وليعجب كيف يكون من هذه بلاياهم أئمة فى دين اللّه؟! انتهى. مصحّحه.

ص: ۸۰

اساليب التيمية فى خداع المسلمين

ومن جملة مكرهم وتحيّلهم: أنّ الكبير منهم المشار إليه فى هذه الخبائث، له أتباع يُظهرون له العلم والعظمة والتعبّد والتعفّف؛ يخدعون بذلك أرباب الأموال، لاسيما الغرباء، فيدفع ذلك الغريب أوغيره الى ذلك الشيخ شيئاً، فيأبى ويُظهر التعفّف، فيزداد ذلك الرجل حرصاً على الدفع، فلا يأخذ منه إلّابعد جهد، فيأخذها ذلك الخبيث، ولا عليه من أطّلاع اللّه تعالى على خبث طوّيته، ويدفع بعضها الى بعض اتباعه والى غيرهم، ويتمتّع هو وخواصّه بالباقى، ولهم يد وقدرة على ذلك.

ومن جملة مكرهم من هذا النوع أن يكسو عشرة مساكين قمصاناً أو غيرها، ثمّ يقولون: انظروا هذا الرجل كيف يجيئه الفتوح فيؤثركم بها وغيركم، ويترك نفسه وعياله وأصدقاءه، وهكذا كان السلف، ويكون قد أخذ أضعاف ما دفع، وكثير من الناس فى غفلة من هذا.

ولولا أنّ ذلك من جملة النصيحة لماذكرته ولما تعرضت له، وكان ما فى نفسى شاغلًا عن ذلك، إلّاأنّه كما قال ابن عباس- رضى اللّه عنهما- بسبب نجدة الحرورى المبتدع: «لولا أن أكتم علماً لما كتبت إليه»؛ يعنى جواب ما كتب إليه بأن يعلّمه مسائل، والقصة مشهورة حتّى فى صحيح مسلم (۱).

وقال صلى الله عليه و آله و سلم:(من سئل عن علم فكتمه أُلجم يوم القيامة بلِجام من نار) رواه غير واحد- من حديث أبى هريرة رضى الله عنه- منهم أبو داود، وكذا الترمذى، وحسنّه، والحاكم وصحّحه (۲).

۱- صحيح مسلم: فى الجهاد والسير رقم ۳۳۷۷، وانظر مسند أحمد رقم ۱۸۶۶، وسنن أبى داود فى الجهاد رقم ۲۳۵۱.

۲- سنن ابى داود فى العلم رقم ۳۱۷۳، وكذا الترمذى برقم ۲۵۷۳، والحاكم فى المستدرك ۱/ ۱۰۱.

ص: ۸۱

ثمّ إن كان المال المدفوع زكاة فلا تبرأ الذمّة بدفعه إليهم؛ لأنّهم ليسوا من أهلها، فليتنّبه لذلك فإنّه قد يخفى مع ظهوره، وقد تشكّك فى ذلك وتلاعب الشيطان به، فلنأخذه بجانب الاحتياط منه، فإنّه طريق السلامة. واللّه أعلم.

وأعلم أنى لو أردت أن أذكر ما هم عليه من التلبيسات والخديعة والمكر، لكان لى فى ذلك مزيد وكثرة وفيما ذكرته أُنموذج يتبّه بعضه على غيره، لا- سيّما لمن له أدنى فراسة وحسن نظر بموارد الشرع ومصادره، التى أشار إليها رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم، وبعضها صرّح به تصريحاً ظاهراً، لا يخفى إلّاعلى أكمه لا يعرف القمر.

وفى الصحيحين من حديث علىّ رضى الله عنه، قال: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم يقول:

(سيخرج قوم فى آخر الزمان حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يقرؤون القرآن لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإنّ فى قتلهم أجراً لمن قتلهم عند اللّه يوم القيامة).

وفى صحيح مسلم من حديث على رضى الله عنه، قال: سمعت النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم يقول:(يخرج قوم من أمّتى يقرؤون القرآن، ليس قراءتكم الى قراءتهم بشىء، وليس صلاتكم الى صلاتهم بشىء، ولا- صيامكم الى صيامهم بشىء، يقرؤون القرآن يحسبون أنّه لهم، وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميّة) (۱).

وفى الصحيحين (۲) من حديث ابن عمر رضى الله عنه، قال: سمعت النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم يقول وهو على المنبر:(ألا إنّ الفتنة هنا- ويشير الى المشرق- من حيث يطلع قرن الشيطان)،

۱- صحيح مسلم فى الزكام رقم ۱۷۷۳.

۲- البخارى فى بدء الخلق رقم ۳۰۳۷، والمناقب رقم ۳۲۴۹، ومسلم فى الفتن وأشراط الساعةرقم ۵۱۶۷- ۵۱۷۲، والترمذى فى الفتن ۳۱۹۴، ومسند أحمد رقم ۴۴۵۰.

ص: ۸۲

وفی روایة:(إنّ الفتنة ههنا) ثلاثاً، وفی روایة:(خرج رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم من بیت عائشة رضی اللّه عنها، فقال: رأس الکفر ههنا من حیث یطلع قرن الشیطان) (۱).

هذا المبتدع من حرّان الشرق؛ بلدة لا تزال یخرج منها أهل البدع، کجعد وغیره.

وفی سنن أبی داود من حدیث أبی سعید الخُدری وأنس- رضی اللّه عنهما- أنّه صلی الله علیه و آله و سلم قال:(سیکون فی أمّتی اختلاف، وفرقة یحسنون القیل ویسیئون الفعل، یقرؤون القرآن لا یجاوز تراقیهم، یمرقون من الدین کما یمرق السهم من الرمیّة، هم شرّ الخلق. طُوبی لمن قتلهم أو قتلوه، یَدْعُو الی کتاب اللّه، ولیسوا منه فی شیء، من قتلهم کان أولی باللّه منهم. قالوا: یا رسول اللّه وما سیماهم؟ قال: التحلیق والتسبید، فإذا رأیتموهم فأنیموهم) (۲) أی اقتلوهم، والتسبید هو الحلق واستئصال الشعر، وقیل: ترک التدهّن وغسل الرأس وغیر ذلک.

والأحادیث فی ذلک کثیرة، وفی واحد کفایة لمن أراد اللّه- عزّ وجلّ- به الرشد والهدایة.

فقد أوضحهم سیّد الناصحین صلی الله علیه و آله و سلم- باعتبار أوصافهم وأماکنهم- إیضاحاً جلیّاً لا خفاء فیه لا جهالة، فلا یتوقّف فی معرفتهم بعد ذلک إلّامن أراد اللّه تعالی إضلاله.

التحذیر من عقائد التیمیة أهل الزیغ

وإذا تمهّد لک هذا أیّها الراغب فی فکاک نفسک من رِبْقة عقائد أهل الزیغ

۱- صحیح البخاری ۴/ ۱۷۹ و ۶/ ۱۱۵، ۸/ ۵۲، ومسند أحمد- مسند المکثرین- رقم ۴۵۲۱، والنسائی ۷/ ۱۱۸، وصحیح مسلم ۳/ ۱۱۴، والبیهقی ۸/ ۱۷۰، والترمذی ۳/ ۳۲۶ عن عبداللّه

۲- سنن أبی داود کتاب السنة رقم ۴۱۳۷.

ص: ۸۳

الضالین المضلین، والاقتداء بأهل السلامة فی الدین.

فاعلم: أنّی نظرت فی کلام هذا الخبیث الذی فی قلبه مرض الزیغ، المتتبع ما تشابه فی الکتاب والسُّنّة ابتغاء الفتنة، وتبعه علی ذلک خَلْق من العوامّ وغیرهم ممّن أراد اللّه- عزّ وجلّ- إهلاکه، فوجدت فیه ما لا أقدر علی النطق به (۱)، ولا لی أنامل تُطاوعنی علی رسمه وتسطیره.

لما فیه من تکذیب ربّ العالمین فی تنزیهه لنفسه فی کتابه المبین.

وکذا الازدراء بأصفیائه المنتجبین وخلفائهم الراشدین وأتباعهم الموّفقین.

فعدلت عن ذلک الی ذکر ما ذکره الأئمة المتّقون، وما اتّفقوا علیه من تبدیعه وإخراجه ببعضه من الدین، فمنه ما دُوّن فی المصنّفات، ومنه ما جاءت به المراسیم العلیات، وأجمع علیه علماء عصره ممّن یرجع إلیهم فی الأمور الملمّات والقضایا المهمات، وتضمّنه الفتاوی الزکیات من دنس أهل الجهالات، ولم یختلف علیه أحد، کما اشتهر بالقراءة والمناداة علی رؤوس الأشهاد فی المجامع الجامعة؛ حتّی شاع وذاع، واتّسع به الباع حتّی فی الفوات.

المرسوم السلطانی بشأن ابن تیمیة

فمن ذلک نسخة المرسوم الشریف السلطانی (۲)، ناصر الدنیا والدین محمّد بن قلاوون- رحمه اللّه تعالی- وقُرِیء علی منبر جامع دمشق، نهار الجمعة سنة خمس وسبعمائة. صورته (۳):

۱- لیتأمل هذا جدّاً، فإنّه عجیب. انتهی. مصحّحه.

۲- لفظ «ناصر الدین» صفة لموصوف محذوف قطعاً لیستقیم الکلام، والتقدیر الصادر من السلطان ناصر الدین... الی آخره. أنتهی. مصحّحه.

۳- لاحظ الدرر الکامنة لابن حجر العسقلانی ص ۱۴۵.

ص: ۸۴

بسم اللَّه الرحمن الرحیم

الحمد للَّهالذی تنزّه عن الشبیه والنظیر، وتعالی عن المِثْل، فقال تعالی: لَیسَ کمثلِهِ شیء وهو السمیعُ البصیرُ (۱)

.

نحمده علی ما ألهمنا من العمل بالسُّنّة والکتاب، ورفع فی أیّامنا أسباب الشکّ والأرتیاب.

ونشهد أن لا إله إلّااللَّه وحده لا شریک له؛ شهادة من یرجو بإخلاصه حسن العقبی والمصیر، وینزّه خالقه عن التحیّز فی جهة؛ لقوله تعالی: وهو معکمْ أینما کنتُمْ واللَّهُ بما تعملونَ بصیرٌ (۲)

.

ونشهد أنّ سیّدنا محمّداً عبده ورسوله الذی نهج سبیل النجاة لمن سلک سبیل مرضاته، وأمر بالتفکّر فی الآیات، ونهی عن التفکر فی ذاته، صلی الله علیه و آله و سلم وأصحابه الذین علا بهم منارُ الإیمان وارتفع، وشیّد اللَّه بهم من قواعد الدین الحنیفی ما شرع، وأخمد بهم کلمة من حاد عن الحقّ ومال الی البدع.

وبعدُ:

فإنّ القواعد الشرعیة؛ وقواعد الإسلام المرعیّة، وأرکان الإیمان العلمیة، ومذاهب الدین المرضیّة، هی الأساس الذی یُبنی علیه، والموئل الذی یرجع کلّ أحد إلیه، والطریق التی من سلکها فاز فوزاً عظیماً، ومن زاغ عنها فقد استوجب عذاباً ألیماً: ولهذا یجب أن تنعقد أحکامها: ویؤکد دوامها: وتصان عقائد هذه الأُمة عن الاختلاف: وتُزان بالرحمة والعطف والائتلاف: وتُخمد ثوائر البدع، ویُفرّق من فرقها ما اجتمع.

وکان ابن تیمیّة فی هذه المدّة قد بسط لسان قلمه، ومدّ بجهله عنان کلمه،

۱- الشوری: ۱۱.

۲- الحدید: ۴.

ص: ۸۵

وتحدّث بمسائل الذات والصفات، ونصّ فی کلامه الفاسد علی أمور منکرات، وتکلّم فیما سکت عنه الصحابة والتابعون، وفاه بما اجتنبه الأئمة الأعلام الصالحون، وأتی فی ذلک بما أنکره أئمة الإسلام، وانعقد علی خلافه إجماع العلماء والحکّام، وشهر من فتاویه ما استخفّ به عقول العوامّ، وخالف فی ذلک فقهاء عصره، وأعلام علماء شامه ومصره، وبثّ به رسائله الی کلّ مکان، وسمّی فتاویه بأسماء ما أنزل اللَّه بها من سلطان.

ولمّا اتّصل بنا ذلک، وما سلک به هو ومریدوه، من هذه المسالک الخبیثة وأظهروه، من هذه الأحوال وأشاعوه، وعلمنا أنّه استخفّ قومه فأطاعوه، حتی اتّصل بنا أنّهم صرّحوا فی حقّ اللَّه سبحانه بالحرف والصوت والتشبیه والتجسیم.

فقمنا فی نصرة اللَّه، مشفقین من هذا النبأ العظیم، وأنکرنا هذه البدعة، وعزنا (۱) أن یشیع عمّن تضّمنه ممالکه هذه السمعة، وکرهنا ما فاه به المبطلون، وتلونا قوله تعالی: سبحانَ ربِّک ربِّ العزةِ عمّا یصفونَ (۲)

.

فإنّه- سبحانه وتعالی- تنزّه فی ذاته وصفاته عن العدیل والنظیر، لا تدرکه الأبصارُ وهو یدرکُ الأبصارَ وهو اللَّطیفُ الخبیرُ (۳)

.

فتقدمت مراسیمنا باستدعاء ابن تیمیّة المذکور الی أبوابنا، حین ما سارت فتاویه الباطلة فی شامنا ومصرنا، وصرّح فیها بألفاظ ما سمعها ذو فهم إلّاوتلا قوله تعالی: لقد جئت شیئاً نُکراً (۴)

.

۱- هذه الفقرة محرّفة، ومعناها لیس بظاهر، والذی یظهر أنّ أصلها: «وعُذنا» أن یشیع عمّن تضمّه ممالکه هذه السمعة» یستعیذ السلطان باللَّه أن یشیع عنه هو تلک السمعة؛ لأنّ الرجل فی مملکته. انتهی. مصحّحه.

۲- الصافات: ۱۸۰.

۳- الأنعام: ۱۰۳.

۴- الکهف: ۷۴.

ص: ۸۶

ولمّا وصل إلينا الجمع أولوا العقد والحلّ، وذوو التحقيق والنقل، وحضر قضاة الإسلام، وحكّام الأنام، وعلماء المسلمين، وأئمة الدنيا والدين، وعُقد له مجلس شرعيّ فی ملأ من الأئمة وجمع، ومن له درایة فی مجال النظر ودفع.

فثبت عندهم جميع ما نُسب إليه، بقول من يُعتمد ويُعوّل عليه، وبمقتضی خطّ قلمه الدالّ علی مُنْكَرِ معتقده (۱).

وانفصل ذلك الجمع وهم لعقيدته الخبيثة منكرون، وآخذوه بما شهد به قلمه تالين: ستُكتَبُ شهادَتُهم ويُسألوُنَ (۲)

.

وبلغنا أنّه قد استُتِيبَ مراراً فيما تقدّم، وأخّره الشرع الشريف لما تعرّض لذلك وأقدم، ثمّ عاد بعد منعه، ولم يدخل ذلك فی سمعه.

ولمّا ثبت ذلك فی مجلس الحاكم المالكی، حكم الشرع الشريف أن يُسجن هذا المذكور، ويُمنع من التصرّف والظهور.

ويكتب مرسومنا هذا بأن لا يسلك أحد ما سلكه المذكور من هذه المسالك، وينهی عن التشبيه فی اعتقاد مثل ذلك، أو يعود له فی هذا القول متّبعاً، أو لهذه الألفاظ مستمعاً، أو يسری فی مسراه، أو يفوه بجهة العلّو بما فاه، أو يتحدّث أحد بحرف أو صوت، أو يفوه بذلك الی الموت، أو ينطق بتجسيم، أو يحيد عن الطريق المستقيم، أو يخرج عن رأی الأئمة، أو ينفرد به عن علماء الأُمّة، أو يحيّز اللّه سبحانه وتعالی فی جهة، أو يتعرّض الی حيث وكيف، فليس لمعتقد هذا إلّاالسيف (۳).

فليقف كلّ واحد عند هذا الحدّ، وللّه الأمر من قبل ومن بعد.

وليلزم كلّ واحد من الحنابلة بالرجوع عن كلّ ما أنكره الأئمّة من هذه العقيدة،

۱- ليحفظ هذا، ثمّ ليحفظه المغررون. انتهی. مصحّحه.

۲- الزخرف: ۱۹.

۳- لينظر هذا كذلك. انتهی. مصحّحه.

ص: ۸۷

والرجوع عن الشبهات الذائعة الشديدة، ولزوم ما أمر اللّه تعالى به، والتمسك بمسالك أهل الإيمان الحميدة، فإنّه من خرج عن أمر اللّه فقد ضلّ سواء السبيل.

ومثل هذا ليس له إلّاالتنكيل، والسجن الطويل مستقرّه ومقيله وبئس المقيل.

وقد رسمنا بأن يُنادى فى دمشق المحروسة والبلاد الشامية، وتلك الجهات الدنيّة والقصيّة: بالنهى الشديد، والتخويف والتهديد، لمن اتّبع ابن تيميّة فى هذا الأمر الذى أوضحناه.

ومن تابعه تركناه فى مثل مكانه وأحللناه، ووضعناه من عيون الأمّة كما وضعناه، ومن أصرّ على الامتناع، وأبى إلّاالدفاع، أمرنا بعزلهم من مدارسهم ومناصبهم، وأسقطناهم من مراتبهم مع إهانتهم، وأن لا يكون لهم فى بلادنا حكم ولا ولاية، ولا شهادة ولا إمامة، بل ولا مرتبة ولا إقامة.

فإنّا أزلنا دعوة هذا المبتدع من البلاد، وأبطلنا عقيدته الخبيثة التى أضلّ بها كثيراً من العباد أو كاد، بل كم أضلّ بها من خلق، وعاثوا بها فى الأرض الفساد.

ولتثبت المحاضر الشرعية على الحنابلة بالرجوع عن ذلك، وتسيّر المحاضر بعد إثباتها على قضاء المالكية. وقد أعذرنا وحذّرنا، وأنصفنا حيث أنذرنا.

وليُقرأ مرسومنا الشريف على المنابر؛ ليكون أبلغ واعظ وزاجر، لكلّ بادٍ وحاضر.

والاعتماد على الخطّ الشريف أعلاه.

وكُتب ثامن (۱) عشرين شهر رمضان سنة خمس وسبعمائة (۲).

۱- كذا بالأصل، والمعنى ظاهر، ولعلّ الأصل فى ثامن وعشرين من شهر... الخ، وكذا ما يأتى يقال فيه ذلك. انتهى. مصحّحه.

۲- إنّ فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار. انتهى. مصحّحه.

ص: ۸۸

تاريخ ابن تيمية كما نقله المؤرخ ابن شاكر

وأزيد على ذلك ما ذكره صاحب «عيون التواريخ»، وهو ابن شاكر، ويعرف بصلاح الدين الكتبى وبالتريكى، وكان من أتباع ابن تيميّة، وضُرب الضرب البليغ؛ لكونه قال لمؤذّن فى مأذنة العروس وقت السحر: أشركت، حين قال:

ألا يارسول اللَّه أنتَ وسيلتى الى اللَّه فى غفران ذنبى وزلّتى

وأرادوا ضرب عنقه، ثمّ جدّدوا إسلامه.

وإنّما أذكر ما قاله لأنه أبلغ فى حقّ ابن تيميّة فى إقامة الحجّة عليه، مع أنّه أهمل أشياء من خبثه ولؤمه، لما فيها من المبالغة فى إهانة قدوته. والعجب أنّ ابن تيميّة ذكرها، وهو سكت عنها:

كلام ابن تيمية فى الاستواء و وثوب الناس عليه

فمن ذلك ما أخبر به ابو الحسن على الدمشقى- فى صحن الجامع الأموى- عن أبيه، قال: كنّا جلوساً فى مجلس ابن تيميّة، فذكر ووعظ وتعرّض لآيات الاستواء، ثمّ قال:(واستوى اللَّه على عرشه كاستوائى هذا).

قال: فوثب الناس عليه وثبة واحدة، وأنزلوه من الكرسى، وبادروا إليه ضرباً باللكم والنعال وغير ذلك؛ حتّى أوصلوه الى بعض الحكّام.

واجتمع فى ذلك المجلس العلماء، فشَرَع يناظرهم، فقالوا: ما الدليل على ما صدر منك؟

فقال: قوله تعالى: الرحمنُ على العرشِ استوى (۱)

.

فضحكوا منه، وعرفوا أنّه جاهل لا يجرى على قواعد العلم.

۱- طه: ۵.

ص: ۸۹

ثمّ نقلوه ليتحققوا أمره. فقالوا: ما تقول فى قوله تعالى: فأينما تُولُّوا فثمّ وجه اللَّه؟

فأجاب بأجوبة تحقّقوا أنّه من الجهلة على التحقيق، وأنّه لا يدرى ما يقول.

وكان قد غرّه بنفسه ثناء العوامّ عليه، وكذا الجامدون (۱) من الفقهاء، العارون عن العلوم التى بها يجتمع شمل الأدّلة على الوجه المرضى.

وقد رأيت فى فتاويه ما يتعلّق بمسألة الاستواء، وقد أطنب فيها، وذكر أموراً كلّها تلبيسات وتجرّيات خارجة عن قواعد أهل الحقّ، والناظر فيها إذا لم يكن ذا علوم وفطنة وحُسن رويّة، ظنّ أنّها على منوال مرضىّ.

ومن جملة ذلك بعد تقريره وتطويله: «إنّ اللَّه معنا حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة، كما جمع اللَّه بينهما فى قوله تعالى: هو الذى خلق السمواتِ والأرضَ فى ستةِ أيّام ثمّ استوى على العرشِ يعلم ما يَلِجُ فى الأرضِ وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم واللَّه بما تعملون بصيرٌ، فأخبر: أنّه فوق العرشِ يعلم كلّ شىء، وهو معنا أينما كنّا».

هذه عبارته بحروفها.

فتأمّل- أرشدك اللَّه تعالى- هذا التهافت، وهذه الجرأة بالكذب على اللَّه تعالى: أنه- سبحانه وتعالى- أخبر عن نفسه أنّه فوق العرش، ومحتجاً بلفظ الاستواء الذى هو موضوع بالاشتراك، ومن قبيل المجمل.

وهذا وغيره مما هو كثير فى كلامه يتحقّق به جهله وفساد تصوّره وبلادته.

وكان بعضهم يسمّيه: حاطب ليل، وبعضهم يسمّيه: الهدار المهذار.

وكان الإمام العلامة شيخ الاسلام فى زمانه أبو الحسن على بن إسماعيل

۱- كذا بالأصل، وليس بخفىّ أنّ لفظ «الجامدين» حقّها الجامدون، وكذا العارون. انتهى. مصحّحة.

ص: ۹۰

القونوى يصرّح بأنّه من الجهلة، بحيث لا يعقل ما يقول.

ويخبر أنه أخذ مسألة التفرقة (۱) عن شيخه، الذى تلقّاها عن أفراخ السامرة واليهود الذين أظهروا التشرّف بالاسلام.

وهو (۲) من أعظم الناس عداوة للنبى صلى الله عليه و آله و سلم، وقَتَلَ علىٌّ رضى اللّه عنه واحداً منهم، تكلّم فى مجلسه كلمة فيها ازد راء بالنبى صلى الله عليه و آله و سلم.

وقد وقفت على المسألة؛ أعنى مسألة التفرقة التى أثارها اليهود؛ ليزدروه بها، وبحثوا فيها على قواعد مأخوذة من الاشتقاق، وكانوا يقطعون بها الضعفاء من العلماء، فتصدّى لهم الجهابذة من العلماء، وأفسدوا ما قالوه بالنقل والعقل والاستعمال الشرعى والعرفى، وأبادوهم بالضرب بالسياط وضرب الأعناق، ولم يبقَ منهم إلّاالضعفاء فى العلم، ودامت فيهم مسألة التفرقة حتّى تلقّاها ابن تيميّة عن شيخه، وكنت أظنّ أنّه ابتكرها.

واتفق الحُذّاق فى زمانه من جميع المذاهب على سوء فهمه وكثرة خطئه، وعدم إدراكه للمآخذ الدقيقة وتصوّرها، عرفوا ذلك منه بالمفاوضة فى مجالس العلم.

تاريخ ابن تيمية الأسود

ولنرجع الى ما ذكره ابن شاكر فى تاريخه؛ ذكره فى الجزء العشرين.

قال: وفى سنة خمس وسبعمائة فى ثامن رجب، عُقد مجلس بالقضاة والفقهاء بحضرة نائب السلطنة بالقصر الأبلق، فسُئل ابن تيميّة عن عقيدته؟ فأملى شيئاً منها.

۱- ظاهر أنّها الفوقية، وكذا ما يأتى بعد كالسياق أو التفرقة حياة الرسول ومماته. أنتهى. مصحّحه.

۲- ظاهر أنّ اللفظ هم لا هو. أنتهى. مصحّحه.

ص: ۹۱

ثمّ أُحضرت عقيدته الواسطيّة، وقرئت فى المجلس، ووقعت بحوث كثيرة، وبقيت مواضع أُخّرت الى مجلس ثانٍ، ثمّ اجتمعوا يوم الجمعة ثانى عشر رجب.

وحضر المجلس صفى الدين الهندى، وبحثوا، ثمّ اتفقوا على أنّ كمال الدين بن الزملكانى يحاقق ابن تيميّة، ورضوا كلّهم بذلك، فأفحم كمالُ الدين ابنَ تيميّة، وخاف ابن تيميّة على نفسه، فأشهد على نفسه الحاضرين أنّه شافعىّ المذهب، ويعتقد ما يعتقده الإمام الشافعى، فرضوا منه بذلك وانصرفوا.

ثمّ إنّ أصحاب ابن تيميّة أظهروا أنّ الحقّ ظهر مع شيخهم، وأنّ الحقّ معه، فأُحضروا الى مجلس القاضى جلال الدين القزوينى، وأحضروا ابن تيميّة وصُفع ورُسم بتعزيره، فشفّع فيه، وكذلك فعل الحنفى باثنين من أصحاب ابن تيميّة.

ثمّ قال: ولمّا كان سَلخُ رجب جمعوا القضاة والفقهاء، وعُقد مجلس بالميدان أيضاً، وحضر نائب السلطنة أيضاً، وتباحثوا فى أمر العقيدة، وسلك معهم المسلك الأوّل.

فلمّا كان بعد أيّام ورد مرسوم السلطان؛ صحبة بريدىّ من الديار المصرية بطلب قاضى القضاة نجم الدين بن صصرى وبابن تيميّة، وفى الكتاب: تعرّفونا ما وقع فى سنة ثمانٍ وتسعين فى عقيدة ابن تيميّة.

فطلبوا الناس وسألوهم عمّا جرى لابن تيميّة فى أيّام نُقل عنه فيها كلام قاله، وأحضروا للقاضى جلال الدين القزوينى العقيدة التى كانت أُحضرت فى زمن قاضى القضاة إمام الدين، وتحدّثوا مع ملك الأمراء فى أن يكاتب فى هذا الأمر، فأجاب، فلمّا كان ثانى يوم وصل مملوك ملك الأمراء على البريد من مصر، وأخبر أنّ الطلب على ابن تيميّة كثير، وأنّ القاضى المالكى قائم فى قضيّته قياماً عظيماً، وأخبر بأشياء كثيرة من الحنابلة وقعت فى الديار المصرية، وأنّ بعضهم صُفع، فلمّا سمع ملك الأمراء بذلك انحلّت عزائمه عن المكاتبة، وسيّر شمس الدين بن محمّد

ص: ۹۲

المهمندار الى ابن تيميّة، وقال له:

قد رسم مولانا ملك الأمراء بأن تسافر غداً، وكذلك راح الى قاضى القضاة، فشرعوا فى التجهيز، وسافر صحبة ابن تيميّة أخواه عبداللّه وعبدالرحمن، وسافر معهم جماعة من أصحاب ابن تيميّة.

وفى سابع شوّال وصل البريدى الى دمشق، وأخبر بوصولهم الى الديار المصريّة، وأنّه عقد لهم مجلس بقلعة القاهرة بحضرة القضاة والفقهاء والعلماء والأمراء: فتكلّم الشيخ شمس الدين عدنان الشافعى وادّعى على ابن تيميّة فى أمر العقيدة، فذكر منها فصولًا.

فشرع ابن تيميّة فحمد اللّه تعالى وأثنى عليه، وتكلّم بما يقتضى الوعظ، فقيل له: ياشيخ إنّ الذى تقوله نحن نعرفه، وما لنا حاجة الى وعظك، وقد أدُّعى عليك بدعوى شرعية فأجب.

فأراد ابن تيميّة أن يعيد التحميد، فلم يمكّنوه من ذلك، بل قيل له: أجب.

فتوقّف، وكُرِّر عليه القول مراراً، فلم يزدهم على ذلك شيئاً، وطال الأمر، فعند ذلك حكم القاضى المالكى بحبسه وحبسِ أخويه معه.

فحبسوه فى بُرج من أبراج القلعة فتردّد إليه جماعة من الأمراء، فسمع القاضى بذلك، فاجتمع بالأمراء، وقال: يجب عليه التضييق إذا لم يقتل، وإلّا فقد وجب قتله، وثبت كفره.

فنقلوه الى الجُبّ بقلعة الجبل، ونقلوا أخويه معه بإهانة.

وفى سادس عشر ذى القعدة وصل من الديار المصرية قاضى القضاة نجم الدين بن صصرى، وجلس يوم الجمعة فى الشباك الكمالى، وحضروا القرّاء والمنشدون، وأُنشدت التهانى، وكان وصل معه كتب ولم يعرضها على نائب السلطنة، فلمّا كان بعد أيّام عرضها عليه، فرسم ملك الأمراء بقراءتها والعمل بما

ص: ۹۳

فيها أمتثالًا للمراسيم السلطانية.

وكانوا قد بيّتوا على الحنابلة كلّهم بأن يحضروا الى مقصورة الخطابة بالجامع الأُموى بعد الصلاة، وحضر القضاة كلّهم بالمقصورة، وحضر معهم الأمير الكبير ركن الدين بيبرس العلانى، وأحضروا تقليد القضاة نجم الدين بن صصرى، الّذى حضر معه من مصر باستمراره على قضاء القضاة وقضاء العسكر ونظر الأوقاف وزيادة المعلوم، وقرىء الكتاب الذى وصل على يديه، وفيه ما يتعلّق بمخالفة ابن تيمية عقيدته وإلزام الناس بذلك، خصوصاً الحنابلة، والوعيد الشديد عليهم، والعزل من المناصب، والحبس وأخذ المال والروح؛ لخروجهم بهذه العقيدة عن الملّة المحمّدية.

ونسخة الكتاب نحو الكتاب المتقدّم، وتولّى قراءته شمس الدين محمّد بن شهاب الدين الموقع، وبلغ عنه الناس ابن صبح المؤذّن، وقُرىء بعد تقليد الشيخ برهان الدين بالخطابة، وأحضروا بعد القراءة الحنابلة مُهانين بين يدى القاضى جمال الدين المالكى بحضور باقى القضاة، واعترفوا أنّهم يعتقدون ما يعتقده محمّد ابن إدريس الشافعى رضى الله عنه.

وفى سابع شهر صفر سنة ثمان عشرة، ورد مرسوم السلطان بالمنع من الفتوى فى مسألة الطلاق الذى يُفتى بها ابن تيميّة.

وأمر بعقد مجلس له بدار السعادة، وحضر القضاة وجماعة من الفقهاء، وحضر ابن تيميّة وسألوه عن فتاويه فى مسألة الطلاق، وكونهم نهوه وما انتهى، ولا قبل مرسوم السلطان، ولا حكم الحكام بمنعه، فأنكر.

فحضر خمسة نفر، فذكروا عنه: أنه أفتاهم بعد ذلك، فانكر وصمّم على الإنكار، فحضر ابن طليش وشهود شهدوا أنّه أفتى لحّاماً اسمه قمر مسلمانى فى بستان ابن منجا.

ص: ۹۴

فقيل لابن تيميّة: اكتب بخطك: أنك لا تُفتى بها ولا بغيرها، فكتب بخطّه: أنه لا يُفتى بها وما كتب بغيرها.

فقال القاضى نجم الدين بن صصرى: حكمتُ بحبسك واعتقالك.

فقال له: حكمك باطل؛ لأنّك عدوّى، فلم يُقبل منه، وأخذوه واعتقلوه فى قلعة دمشق.

وفى سنة إحدى وعشرين وسبعمائة يوم عاشوراء، أُفرج عن ابن تيميّة من حبسه بقلعة دمشق، وكانت مدّة اعتقاله خمسة أشهر ونصفاً.

وفى سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة فىالسادس عشر فى شعبان، قدم بريدى من الديار المصرية، ومعه مرسوم شريف باعتقال ابن تيميّة.

فاعتقل فى قلعة دمشق، وكان السبب فى اعتقاله وحبسه أنّه قال: لا تُشدّ الرحال إلّاالى ثلاثة مساجد، وإنّ زيارة قبور الأنبياء لا تُشد إليها الرواحل كغيرها، كقبر إبراهيم الخليل وقبر النبى صلى الله عليه و آله و سلم.

ثمّ إنّ الشاميّين كتبوا فُتيا أيضاً فى ابن تيميّة؛ لكونه أوّل من أحدث هذه المسألة، التى لا تصدر إلّامّمن فى قلبه ضغينة لسيّد الأولين والآخرين.

فكتب عليها الإمام العلّامة برهان الدين الفزارىّ نحو أربعين سطراً بأشياء، وآخر القول أنّه أفتى بتكفيره.

ووافقه على ذلك الشيخ شهاب الدين بن جهبل الشافعى، وكتب تحت خطّه:

كذلك المالكى.

وكذلك كتب غيرهم.

ووقع الأتّفاق على تضليله بذلك وتبديعه وزندقته.

ثمّ أراد النائب أن يعقد لهم مجلساً، ويجمع العلماء والقضاة، فرأى أنّ الأمر يتّسع فيه الكلام، ولابدّ من إعلام السلطان بما وقع، فأخذ الفتوى وجعلها فى

ص: ۹۵

مطالعه وسيّرها.

فجمع السلطان لها القضاة، فلمّا قرئت عليهم أخذها قاضى القضاة بدر الدين ابن جماعة، وكتب عليها: القائل بهذه المقالة ضالّ مبتدع.

ووافقه على ذلك الحنفى والحنبلى، فصار كفره مُجمعاً عليه (۱).

ثمّ كُتب كتاب الى دمشق بما يعتمده نائب السلطنة فى أمره.

وفى يوم الجمعة عاشر شهر شعبان حضر كتاب السلطان الى نائب البلد، وأمره أن يُقرأ على السدّة فى يوم الجمعة فقُرىء، وكان قارىء الكتاب بدر الدين ابن الأعزازى الموقع والمبلغ ابن النجيبى المؤذّن.

ومضمون الكتاب بعد البسملة: أدام اللّه تعالى نعمه، ونوضّح لعلمه الكريم ورود مكاتبته التى جهّزها بسبب ابن تيميّة، فوقفنا عليها، وعلمنا مضمونها فى أمر المذكور وإقدامه على الفتوى بعد تكرير المراسيم الشريفة بمنعه؛ حسب ما حكم به القضاة وأكابر العلماء.

وعقدنا بهذا السبب مجلساً بين أيدينا الشريفة، ورسمنا بقراءة الفتوى على القضاة والعلماء.

فذكروا جميعاً من غير خلف: أنّ الذى أفتى به ابن تيميّة فى ذلك خطأ مردود عليه، وحكموا بزجره وطول سجنه ومنعه من الفتوى مطلقاً.

وكتبوا خطوطهم بين‌ايدينا على ظاهر الفتوى المجهّزة بنسخة ما كتبه ابن تيميّة.

وقد جهّزنا الى الجناب العالى طىّ هذه المكاتبة، فيقف على حكم ما كتب به القضاة الأربعة.

ويتقدم اعتقال المذكور فى قلعة دمشق، ويُمنع من الفتوى مطلقاً، ويُمنع الناس من الاجتماع به والتردّد اليه تضييقاً عليه، لجرأته على هذه الفتوى.

۱- لينظر هذا المغرورون. انتهى. مصحّحه.

ص: ۹۶

فيحيط به علمك الكريم، ويكون اعتماده بحسب ما حكم به الأئمة الأربعة، وأفتى به العلماء فى السجن للمذكور وطول سجنه.

فإنّه فى كلّ وقت يُحدث للناس شيئاً منكراً، وزندقة يشغل خواطر الناس بها، ويُفسد على العوامّ عقولهم الضعيفة وعقلياتهم وعقائدهم.

فيمنع من ذلك، وتسدّ الذريعة منه.

فليكن عمله على هذا الحكم، ويتقدّم أمره به.

وإذا اعتمد الجناب الرفيع العالى هذا الاعتماد الذى رسمنا به فى أمر ابن تيمية، فيتقدم منع من سلك مسالكه، أو يُفتى بهذه الفتاوى، أو يعمل بها فى أمر الطلاق، أو هذه القضايا المستحدثة.

وإذا اطّلع على أحد عمل بذلك، أو أفتى به، فيعتبر حاله، فإن كان من مشايخ العلماء، فيعزّر تعزير مثله.

وإن كان من الشبّان الذين يقصدون الظهور- كما يقصده ابن تيميّة- فيؤدّبهم ويردعهم ردعاً بليغاً، ويعتمد فى أمرهم ما يُحسم به موادّ أمثاله؛ لتستقيم أحوال الناس، وتمشى على السداد، ولا يعود أحد يتجاسر على الإفتاء بما يخالف الإجماع، ويبتدع فى دين اللَّه- عزّ وجلّ- من أنواع الاقتراح ما لم يسبقه أحد إليه.

فالجناب العالى يعتمد هذه الأمور التى عرّفناه إيّاها الآن وسدّ الذرائع فيها.

وقد عجّلنا بهذا الكتاب، وبقيّة فصول مكاتبته تصل بعد هذا الكتاب إن شاء اللَّه تعالى.

وكتب فى سابع عشرين رجب سنة ستٍّ وعشرين وسبعمائة.

فتوى الأئمة الأربعة بكفر ابن تيمية

صورة الفتوى من المنقول من خطّ القضاة الأربعة بالقاهرة على ظاهر الفتوى:

ص: ۹۷

الحمد للّه، هذا المنقول باطنها جواب عن السؤال عن قوله: إنّ زيارة الأنبياء والصالحين بدعة.

وماذكره‌من‌نحوذلك، وأنّه لايرخّص بالسفر لزيارةالأنبياء، باطل‌مردود عليه.

وقد نقل جماعة من العلماء: أنّ زيارة النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم فضيلة وسُنّة مجمع عليها.

وهـذا المفتى المـذكور ينبغى أن يُزجر عن مثل هذه الفتاوى الباطلة عند الأئمة والعلماء، ويُمنع من الفتاوى الغريبة، ويحبس (۱) إذا لم يمتنع من ذلك، ويشهر أمره؛ ليحتفظ الناس من الاقتداء به.

وكتبه محمّد بن إبراهيم بن سعد اللّه بن جماعة الشافعى.

وكذلك يقول محمّد بن الجريرى الأنصارى الحنفى: لكن يُحبس الآن جزماً مطلقاً.

وكذلك يقول محمّد بن أبى بكر المالكى ويبالغ فى زجره حسبما تندفع به المفسدة وغيرها من المفاسد.

وكذلك يقول أحمد بن عمر المقدسى الحنبلى.

ووجدوا صورة فتوى أخرى يقطع فيها: بأنّ زيارة قبر النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم وقبور الأنبياء معصية بالإجماع مقطوع بها.

وهـذه الفتوى هى التى وقف عليها الحكّام، وشـهد بـذلك القاضـى جلال الدين محمّد بن عبدالرحمن القزوينى، فلمّا رأوا خطّه عليها تحققوا فتواه، فغاروا لرسول صـلى الله عليه و آله و سـلم غيرة عظيمة، وللمسـلمين الذين ندبوا الى زيارته، وللزائرين من أقطار الأرض، واتّفقوا على تبديعه وتضليله وزيغه، وأهانوه ووضعوه فى السجن.

وذكر الشـيخ الإمام العلّامـة شـمس الدين الذهبى بعض محنته، وأنّ بعضـها كان فى سـنة خمس وسـبعمائة، وكان سؤالهم عن عقيدته وعمّا ذكر فى الواسطيّة، وطلب

۱- ظاهر أنّ اللفظ «ويحبس» لا يجلس. أنتهى. مصحّحه.

ص: ۹۸

وصوّرت علیه دعوی المالکی، فسجن هو وأخواه بضعهٔ عشر شهراً، ثمّ أُخرج، ثمّ حبس فی حبس الحاکم.

وکان مّما أُدّعی علیه بمصر أن قال: الرحمن استوی علی العرش حقیقهٔ، وأنّه تکلّم بحرف وصوت.

ثمّ نودی بدمشق وغیرها من کان علی عقیدهٔ ابن تیمیّهٔ حلّ ماله ودمه (۱).

حکم ابن حیان علی ابن تیمیهٔ بالتشبیه

وذکر أبو حیّان النحوی الأندلسی فی تفسیره المسمّی ب «النهر» فی قوله تعالی: وَسِعَ کُرسِیُّهُ السَّمواتِ والأرضَ ما صورته: وقد قرأت فی کتاب لأحمد ابن تیمیّهٔ هذا الذیعاصرناه، وهو بخطّه سمّاه «کتاب العرش»: إنّ اللّه یجلس علی الکرسیّ، وقد أخلی مکاناً یقعد معه فیه رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم.

تحیّل علیه التاج محمّد بن علی بن عبدالحقّ، وکان من تحیّله علیه أنّه أظهر أنّه داعیهٔ له حتّی أخذ منه الکتاب، وقرأنا ذلک فیه.

ورأیت فی بعض فتاویه: أنّ الکرسی موضع القدمین.

وفی کتابه المسمّی ب «التدمریهٔ» ما هذا لفظه بحروفه- بعد أن قرّر ما یتعلق بالصفات المتعلّقهٔ بالخالق والمخلوق-: ثمّ من المعلوم أنّ الربّ لمّا وصف نفسه: بأنّه حیّ علیم قادر، لم یقل المسلمون: إنّ ظاهر هذا غیر مراد؛ لأنّ المفهوم ذلک فی حقّه مثل مفهومه فی حقّنا.

فکذلک لمّا وصف نفسه: أنّه خلق آدم بیدیه، لم یوجب ذلک أنّ ظاهره غیر مراد؛ لأنّ مفهوم ذلک فی حقه مثل مفهومه فی حقّنا.

هذه عبارته بحروفها، وهی صریحهٔ فی التشبیه المساوی، کما أنّه جعل الاستواء

۱- لیتأمل العاقل هذا، ثمّ لیتأمّله. انتهی. مصحّحه.

ص: ۹۹

على العرش مثل قوله تعالى: لتستووا على ظهوره تعالى اللَّه وتقدّس عن ذلك.

وقال فى كلام حديث النزول المشهور: أنّ اللَّه ينزل الى سماء الدنيا الى مَرْجة خضراء، وفى رجليه نعلان من ذهب. هذه عبارته الزائغة الركيكة.

وله من هذا النوع وأشباهه مغالاة فى التشبيه؛ حريصاً على ظاهرها واعتقادها، وإبطال ما نزّه اللَّه تعالى به نفسه فى أشرف كتبه، وأمر به عموماً وخصوصاً، وذكره إخباراً عن الملأ الأعلى والكون العُلوى والسُّفلى، ومن تأمّل القرآن وجده مشحوناً بذلك.

وهذا الخبيث لا يعرُج على ما فيه التنزيه، وإنّما يتتبع المتشابه، ويُمعن الكلام فيه، وذلك من أقوى الأدّلة على أنّه من أعظم الزائغين.

ومن له أدنى بصيرة لا يتوقّف فيما قلته؛ إذ القرائن لها اعتبار فى الكتاب والسُّنّة، وتفيد القطع، وتفيد ترتّب الأحكام الشرعية، لا سيّما فى محلّ الشُّبه.

قال بعض السلف رضى اللَّه عنهم: الإعراض عن الحقّ والتسخّط له علامة الركون الى الباطل، وطريق الحقّ دقيق وبعيد، والصبر معه شديد، والعدوّ لا يزال عنه يحيد، وأثقال الحقّ لا يحملها إلّامطايا الحقّ.

وقال بعض السلف: داعى الحقّ داعى رشد، ليس للشيطان فيه يد، ولا للنفس فيه نصيب. وداعى الباطل من نزغات الشيطان وهوى النفس، ومتّبعها هالك لا محالة؛ لأنّه عاصٍ فى صورة طائع، ومُبعِد فى صورة مُقرِّب.

وصدق ونصح رضى الله عنه، فقد هلك بسبب ذلك خلق لا يُحصون عدّاً، ولا يمكن ضبطهم حدّاً.

قال العلماء: إنّ وسوسة التشبيه من إبليس، فالردّ عليه وابطال وسوسته أن يقول فى نفسه: كلّ ما تصوّر فى صدرى فالربّ بخلافه، فإنّه لا يتصوّر فى صدرى إلّا مخلوق له كيفيّة ومِثْل، والربّ- سبحانه وتعالى- لا مِثْل له ولا كيفية، فما مثل فى

ص: ۱۰۰

صدرى فهو غير ربى، فهو- سبحانه وتعالى- موحّد الذات والصفات.

التوحيد والعدل فى كلام الأئمة

وسُئل على رضى الله عنه عن التوحيد والعدل، فقال:(التوحيد أن لا تتوهّمه، والعدل أن لا تتّهمه).

وقال يحيى بن معاذ: التوحيد فى كلمة واحدة ما تصوّر فى الأوهام فهو بخلافه.

وقال على رضى الله عنه:(ليس لصفته حدّ محدود، ولا نعت موجود).

وقال رضى الله عنه:(أوّل الدين معرفته، وكمالُ معرفته التصديق به، وكمالُ التصديق به توحيده، وكمالُ توحيده الإخلاص له، وكمالُ الإخلاص له نفى الصفات الُمحدَثة عنه، فمن وصفه بحادث فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنّاه (۱)، ومن ثنّاه فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد جهله، ومن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه) (۲).

قال المحقّقون: من اعتقد فى اللَّه- سبحانه وتعالى- ما يليق بطبعه فهو مشبّه؛ لأنه- سبحانه وتعالى- منزّه عمّا يصفه به أو يتخيّله؛ لأنّ ذلك من صفات الحَدَث.

وسُئل- أعنى عليّاً رضى الله عنه: بمَ عرفت ربّك؟ فقال:(عرفتُه بما عرّف به نفسه؛ لا يُدركُ بالحوّاس، ولا يُقاسُ بالناس، قريب فى بُعده، بعيد فى قُربه، فوق كلّ شىء ولا يقال تحته شىء وأمام كلّ شىء، ولا يقال أمامه شىء، وهو فى كلّ شىء لا كشىء فى شىء فسبحان من هو هكذا وليس هكذا غيره) (۳).

وقال أيضاً رضى الله عنه:(عرّفنا اللَّه- سبحانه وتعالى- نفسه بلا كيف، وبعث سيّدنا

۱- قوله: «ثنّاه» هى ثنّاه. انتهى. مصحّحه.

۲- نهج البلاغة، الخطبة الأولى ص ۳۹ تحقيق الدكتور صبحى الصالح.

۳- لاحظ هذا النص فى كتب الشيعة الإمامية: المحاسن للبرقى ص ۲۳۹، والكافى للكلينى ۱/ ۸۵، والتوحيد للصدوق ص ۲۸۵.

ص: ۱۰۱

محمّداً صلى الله عليه و آله و سلم بتبليغ القرآن، وبيان المفصّلات للإسلام والإيمان، وإثبات الحجّة وتقويم الناس على منهج الإخلاص، فصدّقته بما جاء به).

وقال الإمام الحافظ محمّد بن على الترمذى صاحب التصانيف المشهورة: من جهل أوصاف العبوديّة فهو بنعت الربوبيّة أجهل.

قال جعفر [الصادق] فى قوله تعالى: قل هو اللَّهُ أحدٌ:(هو الذى لم يُعطِ لأحد من معرفته غير الأسم والصفة).

وقيل: هو الذى لا يدرك حقيقة نعوته وصفاته إلّاهو.

وقوله تعالى اللَّه الصمد قيل هو الذى أيست العقول من أن تطّلع عليه، أو تُدرك ما وصف به نفسه ونسب إليه.

وقيل: هو السيّد الذى لا نهاية لسؤدده.

وقيل: هو المصمود إليه فى الحوائج.

وقيل: هو الذى لا يستغنى عنه شىء من الأشياء.

وقال ابن عبّاس رضى الله عنه: معناه الذى لا جوف له. وقيل غير ذلك.

وقوله: لم يلد ولم يُولد نفى الجنسية والبعضية.

وقوله: ولم يكنْ له كفواً أحدٌ نفى الشريك والنظير، فهو الذى لا نظير له فى ذاته ولا صفاته ولا أفعاله.

فتعالى أن تُدركه الأوهام والعقول والعلوم، بل هو كما وصف نفسه، والكيفية عن وصفه غير معقولة ولا موهومة، كيف يكون ذلك؟ وهو قديم الذات والصفات، والتخيّل إنّما يكون فى المحدثات.

وسئل الإمام العلّامة أبو الحسن الدينورى عن الاستدلال بالشاهد على الغائب، فقال: كيف يستدلّ بصفات من يشاهد ويعاين وذو مثل على من لا يُشاهد ولا يُعاين فى الدنيا ولا نظير له ولا مثل؟!

ص: ۱۰۲

هذا من جهل الجاهلين بالآيات التى قلبوا بها حقائق الأمور، فجعلوا الآيات صفات، ومعنى الآيات العلامات.

وهو كلام إمام محقّق، وقد زلّ خلق كثير بمثل ذلك.

فسبحان الأحدى الذات، العلىّ الصفات، المنزّه عن الآلات، المقدّس عن الكيفيات، المنزّه عن مشابهة المخلوقات، تعالى عمّا يقوله من الإلحاقات.

كيف يُقاس القادر بالمقدورات والصانع بالمصنوعات؟! وهى من آياته البيّنات الظاهرات.

رفع السموات، وبسط الأرض وثبتها بالأوتاد الراسيات، وأتحفها بالمُزن الماطرات، فزهت بأنواع النباتات المختلفات، كذلك يحيى الموتى. إعلموا أنّ اللّه يُحيى الأرض بعد موتِها قد بيَّنّا لكم الآياتِ.

قال أرباب البصائر وذوو التحقيقات: ليس كذاته ذات، ولا كاسمه اسم من جهة المعنى، ولا لصفته صفة من جميع الوجوه إلّامن جهة موافقة اللفظ.

وكما لم يجز أن يظهر من مخلوق صفة قديمة، كذلك يستحيل أن يظهر من الذات الذى ليس كمثله شىء صفة حديثة.

وأنّ التكرار من حدوث الصفة، جلّ ربّنا أن يحدث له صفة أو أسم؛ إذ لم يزل بجميع صفاته واحداً، ولا يزال كذلك.

وكلّ أمور التوحيد والتفريد خرجت (۱) من هذه الكلمة ليس كمثله شىء.

لأنّه ما عبّر عن الحقيقة بشىء إلّاوالعلّة مصحوبة والعبارة منقوضة؛ لأن الحقّ لا ينبعث (۲) أقداره إلّاعلى إقراره؛ لأنّ كلّ ناعت مشرف على المنعوت،

۱- أى ظهرت للمؤمنين وفهموها من هذه الكلمة. انتهى. مصحّحه.

۲- قوله: «لا ينبعث» هو لا ننعت... الى آخره. بدليل قوله بعد ذلك: «لأنّ كلّ ناعت...» الى آخره. انتهى. مصحّحه.

ص: ۱۰۳

وجلّ ربّنا أن يشرف عليه مخلوق، احتجب عن خلقه بخلقه، ثمّ عرّفهم صنعه بصنعه، وساقهم الى أمره بأمره، فلا يمكن الأوهام أن تناله، ولا العقول أن تختاله (۱)، ولا الأبصار أن تمثله، ولا الأسماع أن تشتمله (۲)، ولا الاماني أن تمتنحه.

هو الذى لا قبل له، ولا مفرّ (۳) عنه ولا معدل، ولا غايةٌ وراءه ولا مثل. ليس له أمد ولا نهايةٌ ولا غايةٌ ولا ميقات ولا انقضاء، ولا يستره حجاب، ولا يقلّه مكان ولا يحويه هواء، ولا يحتاطه (۴) فضاء، ولا يتضمّنه خلاء ليس كمثلهِ شيء وهو السميعُ البصيرُ.

قال ابن عبّاس رضى اللّه عنهما: معنى الآيةُ ليس له نظير.

وقيل: الكاف صلةٌ؛ أعنى زائدةٌ، فالمعنى: ليس مثله شيء.

وقيل: المثل صلةٌ، فالمعنى ليس كهو شيء، فأدخل المثل للتأكيد.

فمن الجهل البيّن أن يطلب العبد درك ما لا يُدرك، وأن يتصوّر ما لا يُتصوَّر.

كيف؟

وقد نزّه نفسه بنفسه عن أن يدرك بالحوّاس، أو يُتصور بالعقل الحادث والقياس، فلا يدركه العقل الصحيح من جهةُ التمثيل، ويدركه من جهةُ الدليل.

فكلّ ما يتوهّمه العقل فهو جسم، وله (۵) نهايةٌ فى جسمه وجنسه ونوعه وحركته وسكونه، مع ما يلزمه من الحدود والمساحةُ، ومن الطول والعرض، وغير ذلك من صفات الحدث، تعالى اللّه عن ذلك.

۱- يريد: أن تتخيّله. انتهى. مصحّحه.

۲- لعلّها تشمله؛ أى هو ليس من جنس الأصوات فتسمعه الاسماع. انتهى. مصحّحه.

۳- لعلّها مفرّ. أنتهى. مصحّحه.

۴- لعلّ الأصل «لا يحيط به...» الى آخره. أنتهى مصحّحه. عبارةُ المصنّف صحيحةٌ لمجيء «احتاط» بمعنى «أحاط».

۵- قوله: ولا نهايةٌ صوابه وله نهايةٌ الى آخره. كما هو ظاهر. انتهى. مصحّحه.

ص: ۱۰۴

فهو الكائن قبل الزمان والمكان المحدَثين، وهو الأوّل قبل سوابق العدم، الأبدى بعد لواحق القدم، ليس كذاته ذات، ولا كصفاته صفات، جلّت الذات القديمة الواجبة الوجود- التى لم تُسبق بعدم (۱) أن تكون كالصفة الحديثة.

قال تعالى: أو لا يَذكرُ الإنسان أنّا خلقناهُ مِن قبلُ ولم يكُ شيئاً.

فهو- سبحانه وتعالى- احتجب عن العقول والأفهام كما احتجب عن الإدراك والأبصار، فعجز الخلق عن الدَّرك، والدَّرك عن الاستنباط، وانتهى المخلوق الى مثله، وأسنده الطلب الى شكله.

قال الصدّيق رضى الله عنه: «العجز عن درْك الإدراك إدراك».

وقال رضى الله عنه: «سبحان من لم يجعل للخلق سبيلًا الى معرفته إلّابالعجز عن معرفته».

فهو سبحانه عليم قدير سميع بصير، لا يوصف علمه وقدرته وسمعه وبصره بما يوصف به المخلوق ولا حقيقته.

كذلك عُلّوه واستواؤه؛ إذ الصفة تتبع الموصوف.

فإذا كانت حقيقة الموصوف ليست من جنس حقائق سائر الموصوفات، فكذلك حقيقة صفاته.

فأجهل الناس وأحمقهم وأجحدهم للحقّ، مَن يُشبّه من ليس كمثله شىء بالمخلوق المصنوع فى شىء من صفاته وأفعاله وذاته تعالى اللَّه عمّا يقولونَ علوّاً كبيراً.

لأنّه- سبحانه وتعالى- وصفاته مصون عن الظنون الكاذبة والأوهام السخيفة.

وقيل فى قوله تعالى: وما قدروا اللَّه حقَّ قدره أى ما وصفوه حقّ وصفه.

۱- قوله: «بقدم» هو بعدم، كما هو واضح. انتهى مصحّحه.

ص: ۱۰۵

وقیل: ما عظّموه حقّ عظمته.

وقیل: ما عرفوه حقّ معرفته، وقیل غیر ذلک.

قال بعض أهل المعانی والقلوب: لا یعرف قدر الحقّ إلّاالحقّ، وکیف یقدر أحد قدره وقد عجز عن معرفة قدره الوسائط والرسل والأولیاء والصدّیقون؟

ثم قال: ومعرفة قدره أن لا تلتفت عنه الی غیره، ولا تغفل عن ذکره، ولا تفتر عن طاعته؛ إذ ذاک (۱) عرفت قدر ظاهر قدره، وأمّا حقیقة قدره فلا یقدر قدرها إلّا هو.

وصدق؛ لأنّ الخلق تعجز عن تنزیهه بما یستحقّه من کمال صفاته وعظم ذاته.

فی التسبیح

ولهذا نزّه سبحانه نفسه بقوله: سبحان ربِّک ربِّ العزّة عمَّا یصفون، وفی هذا غایة الحثّ علی کثرة التنزیه ودوامه، مع أمره لأکمل خلقه فی قوله تعالی:

سبّح اسم ربّک الأعلی، مع غیر ذلک ممّا فی أشرف الکتب ممّا أذکر بعضه.

فقوله: سبّح اسم ربِّک أی قل: سبحان ربّی الأعلی، والمعنی: نزّه اسم ربّک واذکره وأنت له معظّم.

وقیل: نزّه عن المعانی المفضِیة الی نقصه.

وقیل: نزّه اسمه عن الکذب إذا أقسمت به.

وقیل: لفظ اسم زائد، وفی الکلام حذف، المعنی: نزّه مسمّی ربّک الذی خلق فسوّی، أی مخلوقه؛ بأن خلقه مستویاً بلا تفاوت فیه وفی أعضائه، وغیر ذلک من مخلوقاته، فإنّ مَنْ هذا من بعض مصنوعاته یستحقّ التنزیه، فکیف بمخلوقات اخر یعجز الخلق عن إدراکها لعظمها؟! وکلّها علی اختلاف أجناسها وأنواعها، کلٌ

۱- أی لو کنت کما ذکر قد الخ أنتهی. مصحّحه.

ص: ۱۰۶

یسبّحه بلغته، وبما یلیق بجلاله.

قال تعالی: یسبّحُ لهُ السمواتُ السَّبعُ والأرضُ ومن فیهنَّ وإن من شیء إلّا یسبِّحُ بحمده ولکن لا تفقهون تسبیحهم.

وقال: والطیرُ صافاتٍ کلٌّ قد عَلِمَ صلاتهُ وتسبیحهُ.

قال مجاهد: تسبیح المخلوقات هو تنزیه خالقها وتوحیده بما یستحقّه؛ من کمال صفات عظم ذاته.

قیل: یفقه تسبیحهم العلماء الرّبّانیون الذین انفتحت أسماع بصائرهم والمنوّرون البصائر الذین یشاهدون کلّ شیء مرقوماً علیه بقلم القُدرة: هو الملک القُدّوس.

وقال مجاهد: کلّ الأشیاء تسبّح حیواناً وجماداً، وتسبیحها: سبحان اللّه وبحمده.

وروی ابن السنی: أنّه علیه السلام قال:(ما تستقبل الشمس فیبقی شیء من خلق اللّه تعالی إلّاسبّح اللّه تعالی وحمده، إلّاما کان من الشیطان وأغبیاء بنی آدم. فقیل: ما أغبیاء بنی آدم؟ فقال: شرار الخلق).

وقال شهیب (۱) بن حوشب: حملة العرش ثمانیة: أربعة یقولون: سبحانک اللّهم وبحمدک، لک الحمد علی حلمک بعد علمک، وأربعة یقولون: سبحانک اللّهمّ وبحمدک، لک الحمد علی عفوک بعد قدرتک.

فی التقدیس

وقال: هو اللّه الذی لا إله إلّاهو الملکُ القدّوس فالملک اسم من أسمائه تعالی، وکذا ملیک، وهو صفة مبالغة فی الملک، قال تعالی: عند ملیکٍ مقتدرٍ

۱- معروف هذا الاسم ب «شهر». انتهی. مصحّحه.

ص: ۱۰۷

فالملک هو المُستغنی عن کلّ شیء، ویفتقر إلیه کلّ شیء، ونافذ حکمه فی مملکته طوعاً أو کرهاً.

وقیل: هو القادر علی الإبداع والإنشاء والإعدام، وهذا علی الحقیقة لا یکون إلّا للّه- عزّ وجلّ- أبدع المکوّنات العُلویّات والسُّفلیّات الجلیّات والخفیّات، أبدعها بقدرته ورتّبها علی اختلاف أطوارهابحکمته، فکلّ مابرز فهو مقهور الوجود ب «کُنْ»، وکلّ ما انعدم فهو مقهور العدم ب «کُنْ».

وبهذا یُعلم أنّ إطلاق الملک علی ما سواه أمر مجازیّ، إذ المملوک لا یکون مالکاً؛ لأنّ من هو تحت قهر الأغیار فهو کالعدم.

ولهذا لمّا تحقّق أرباب القلوب أنّ الملک للّه- عزّ وجلّ- تحقّقاً قلبیّاً، سکنت أنفسهم عن وصف الإضافات، وتبرّؤوا من الحول والقوّة حتی بالإشارات، فلا یقول: منّی، ولا لی؛ حتّی قیل لبعضهم: ألک ربّ؟ فقال أنا عبد، ولیس لی نملة، ومن أنا حتّی أقول: لی.

فهذا وأمثاله صفّی نفسه عن رعونة البشریّة وهواها، وفکّ رِبقة رِقّ خیالاتها الباطلة ومُناها، ومحض رقّ العبودیة لمولاها.

فتری الملوک الجبابرة مع جبروتهم یخضعون ویتذلّلون له. ولهذا تتّمات لیس هذا المقام مقامها؛ إذ الغرض التنزیه.

والقُدُّوس من أسمائه- عزّ وجلّ- سمّی نفسه بذلک لیُرشدک الی تقدیسه، کما أشار الی ذلک بقوله تعالی: یُسبِّحونَ اللَّیل والنَّهار لا یفترونَ.

وفیه الحثّ علی دوام التقدیس.

فالقُدُّوس قیل: هو المنزّه عمّا لا یلیق به من الأضداد والأنداد.

وقیل: هو المنزّه والمطهّر من النقائص والعیوب.

وهاتان غیر مرضیّین عند المحقّقین.

ص: ۱۰۸

قال حجّة الإسلام الغوّاص الغزالی: «وهذا فی حقّ الباری- سبحانه وتعالی- یقارب ترک الأدب، کما أنّه لیس من الأدب أن یقال لملک: لیس بحائک ولا بحجّام؛ لأنّ نفی الوجود یکاد یوهم إمکان الوجود، وفی ذلک الإیهام نقص.

بل القدّوس: المنزّه عن کلّ وصف یُدرکه حِسّ، أو یتصوّره وَهْم، أو یسبق إلیه فکر، أو یهجس به سِرّ، أو یختلج به ضمیر، أو یسنح له خفیّ خیال».

وقد أجاد رضی الله عنه.

فائدة جلیلة للمنزه والمشبه

وههنا فائدة جلیلة للمنزّه والمشبِّه: وهی أنه ینبغی للعبد أن یجعل له حظّاً وافراً من تکریر هذا الاسم والإمعان فی معناه، فإن کان منزّهاً عطف ذلک علیه، وقدّس نفسه وقلبه وبدنه:

أمّا نفسه فیطهّرها من الأوهام المذمومة، کالغضب والحقد والحسد والغشّ وسوء الظنّ والکبر وحبّ الشرف والعُلوّ وحبّ الدنیا ولوازمها وغیر ذلک، ویبدلها بالأوصاف المحمودة، فیطهّرها أیضاً عن العاهات والشهوات، وما تدعو إلیه من المستحسنات والمألوفات؛ إذ هی أزّمة الشیطان یقود بها الی ارتکاب الموبقات.

وأمّا القلب فیطهّره بالعقد الصحیح المطابق الجازم، وبالمبادرة الی امتثال الأوامر واجتناب النواهی والأهواء، وتحقیق الإخلاص نیّة وقولًا وعملًا، وبالرضا بما جری، فلا یأسف علی فائت ولا یفرح بآتٍ، وذلک یرجع الی ذوق حلاوة الإیمان القلبی لا العملی، وعلامته تقدیس القلب عن ملاحظة الأکوان، ولا یری الأغیار إلّاعلی العدم الأصلی، فلا یتحرّک فی ظاهره ولا باطنه حتّی فی أنفاسه إلّا باللّه عزّ وجلّ.

ص: ۱۰۹

وأما البدن فیطهّره بماء الجوع، ویکفنّه بدوام التقشّف، ویحنّطه بالعُزلهٔ، ویطیّبه بدوام الذکر والفکر، ویدفنه فی لحد الخوف، فإذا قدّسه بذلک ذهب مغناه، وبقی معناه.

فإذا اجتمعت له هذه التقدیسات ذهبت أوصافه القواطع والموانع، ولاح له خزائن أسرار الآیات فی معارج ترداد الآیات، فأثمر له ذلک کشف أسرار الملکوتیات، فیثمر له ذلک الشوقَ إلی رؤیهٔ مطلوبه، فلاـ شیء أشهی إلیه من الموت؛ لأنّه لا سبیل الی الوصول الی محبوبه إلّابه، فمن أراد أن یجلسه فی حضرهٔ القُدس علی منابر التقدیس، فلیجرِ علی هذا التأسیس.

ومرّ إبراهیم بن أدهم- قدس اللّه روحه- بسکران مطروح علی قارعهٔ الطریق وقد تقیأ، فنظر إلیه وقال: بأی لسان أصابته هذه الآفهٔ، وطهّر فمه ومضی.

فلمّا أفاق السکران أُخبر بما فعله به إبراهیم، فخجل وتاب، وحسنت توبته.

فرأی إبراهیم فیما یری النائم کأنّ قائلًا یقول: غسلت لأجلنا فمه، فلا جرم أنّا طهّرنا لأجلک قلبه.

وأمّا المشبّه والمجسِّم فلأنّه بتکرار هذا الاسم یتعقّل معناه، فیضیء له نوره، فینکشف له حجاب الضلال، فإذا حقّق المعنی المراد منه ظهر له نوره، فأحرق حجاب الضلال، فصفا قلبه للحقّ وزاح الباطل.

وقد وقع ذلک لبعض الغُلاهٔ فی التشبیه والتجسیم، مرّ یوماً علی هذه الآیهٔ هو اللّه الذی لا إله إلّاهو الملک القُدُّوس، فکرّر هذا الاسم وتعقّل معناه، فقال:

واللّه أنا لفی ضلال مُبین بیّن.

فبادر فی الحال، وأتی بالشهادتین، وقال: واللّه لا یخلّصنی إلّااستئناف العمل.

فانظر- أرشدک اللّه تعالی- الی برکهٔ تکریر هذا الاسم العظیم فی حقّ أهل التنزیه والتشبیه، واللّه أعلم.

ص: ۱۱۰

حقيقة التوحيد فى الذات والأفعال

ثمّ تمام التقديس لا يحصل إلّابالتمكّن بعد كمال التوحيد، وحقيقة التوحيد تكون باعتبار الذات وباعتبار الفعل:

فتوحيد الذات ينفى الحدوث، وثبوت الأحديّة ينفى الأضداد، وثبوت الذات ينفى التشبيه، ويحيّر العقل فى بحر الإدراك.

وأما توحيد الأفعال فهو شهود القدرة فى المقدور، ثمّ الاستغراق فى أنوار العظمة، فيغيب بذلك عن الموجودات، وتبقى القدرة بارزة بأسرار التوحيد، ثمّ الاستغراق فى أنوار المحو، فيغيب عن رؤية القدرة بالقادر.

ومن مقدوراته- جلّ وعلا- ما ذكره فى قوله تعالى: يوم يقومُ الرُّوحُ.

قال أبو الفرج بن الجوزى: رُوى عن علىّ رضى الله عنه فى تفسيرها:(أنّ الروح مَلَكٌ عظيم، له سبعون ألف وجه، فى كلّ وجه سبعون ألف لسان، لكلّ لسان سبعون ألف لغة، يسبح اللَّه تعالى بتلك اللغات كلّها، يخلق اللَّه- عزّ وجلّ- من كلّ تسبيحة مَلَكاً يطير مع الملائكة الى يوم القيامة).

وقال ابن مسعود رضى الله عنه: «الروح مَلَكٌ عظيم؛ أعظم من السموات والأرضين والجبال والملائكة، يسبّح كلّ يوم ألف ألف تسبيحة، يخلق اللَّه- سبحانه وتعالى- من كلّ تسبيحة مَلَكاً يجىء يوم القيامة صفّاً والملائكة بأسرهم يجيئون صفاً».

قال ابن عبّاس: وهو الذى ينزل ليلة القدر زعيم الملائكة، وبيده لواء طوله ألف عام، فيغرزه فى ظهر الكعبة، ولو أذن اللَّه- عزّ وجلّ- له أن يلتقم السموات والأرض لفعل.

وقيل: الروح هنا جبريل عليه السلام.

وقيل: هو مَلَكٌ ما خلق اللَّه بعد العرش خلقاً أعظم منه، وقيل غير ذلك.

رُوى أنّه عليه السلام قال:(رأيت على كلّ ورقة من السِّدرة مَلَكاً قائماً يسبّح

ص: ۱۱۱

اللَّه عزّوجلّ).

ومراده «سدرة المنتهى» سُمّيت بذلك لأنّها لا يتجاوزها أحد من الملائكة وغيرهم، ولا يعلم ما وراءها إلّااللَّه عزّ وجلّ، وهى شجرة نَبقٍ على يمين العرش، عندها جنّة المأوى، يأوى إليها الملائكة عليهم السلام، وقيل: أرواح الشهداء، وقيل: أرواح المتّقين.

ذو الجلال والإكرام

وقال اللَّه تعالى: تبارك اسم ربِّك ذى الجلال والإكرام معنى «تبارك» جلّ وعظم، ومعنى «ذى الجلال» المستحقّ للرفعة وصفات التعالى ونعوت الكمال.

جلّ أن يعرف جلاله غيره، تنزّه وعظُم شأنه عمّا يقول فيه المبطلون؛ لأنّ كلّ شىء يُثنى عليه بقدرته، وكلّ ذاكر يذكره على قدر طاقته وطبعه وعلمه وفهمه.

والحقّ- جلّ جلاله- ذكره خارج عن أوهام الآدميّين؛ لأنّ الحادث ناقص بقهر الإيجاد والفناء، والعارف (۱) دون الغايات الجلالية.

فسبحانه ما أثنى عليه حقّ ثنائه غيره، ولا وصفه بما يليق به سواه، عجز الأنبياء والرسل بأجمعهم عن ذلك، قال أجلّهم قدراً، وأرفعهم محلّاً، وأبلغهم نطقاً، مع ما أُعطى من جوامع الكَلِم:(لا أُحصى ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك).

وأمّا (۲) «الإكرام» فمعناه: ذو الإنعام والمِنَن على العامّ والخاصّ والطائع

۱- لم يظهر لى فى هذه العبارة معنًى فلتحرّر. أنتهى. مصحّحه.

۲- «ذو الإنعام» ليس معنى «الإكرام»، بل معنى «ذو الإكرام»، فهنا لفظ «ذو» ساقط. انتهى مصحّحه. بل ليس هناك سقط فى العبارة حيث إنه يفسّر قوله تعالى: تبارك اسم ربّك ذو الجلال والأكرام والعطف بالواو أغنى عن تكرار لفظ «ذى».

ص: ۱۱۲

والعاصی.

ووصف سبحانه وتعالی نفسه ب «الکریم» فی قوله: ما غرَّک بربِّک الکریم.

قال عمر رضی الله عنه: «لو قیل لی: ما غرّک بی؟ لقلت: جهلی بک غرّنی».

والکریم: هو الذی إذا قدر عفا، وإذا وعد وفی.

وقیل: هو الذی إذا أعطی زاد علی منتهی الرجاء، ولا یبالی لمن (۱) أعطی وکم أعطی ولا یضیع من لاذ به والتجا.

وقیل: هو الذی یُغنی السائل عن الوسائل والشفعاء، واذا رُفعت الحاجهٔ إلی غیره لا یرضی.

وقیل: هو الذی إذا أبصر خَلَلًا جَبَره وما أظهره، وإذا أولی فضلًا أجزله ثمّ ستره، وقیل غیر ذلک.

فمن تأمّل القرآن الکریم وجده مشحوناً بالتقدیس والإجلال والتعظیم، وناطقاً بإضلال أهل الإلحاد والتجسیم، والحِیَدهٔ عن الصراط المستقیم، وطریقهٔ السلامهٔ فی ذلک أنّ من أشکل علیه شیء من المتشابه فی الکتاب والسُّنّهٔ، فلیقل کما أخبر سبحانه وتعالی فی کتابه المبین عن الراسخین فی العلم ومدحهم علیه فی قوله تعالی: والراسخون فی العلم یقولون آمنّا به کلٌّ من عند ربِّنا.

ویقول کما قال صلی الله علیه و آله و سلم فی الحدیث:(وما جهلتم منه فکِلوه الی عالمه) خرّجه غیر واحد منهم الإمام أحمد والنسائی وغیرهم (۲).

ویقول کما قاله الشافعی: آمنتُ باللَّه وما جاء عن اللَّه علی مراد اللَّه، وآمنتُ برسول اللَّه وما جاء عن رسول اللَّه علی مراد رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم.

والراسخ فی العلم هو من طولع علی محلّ المراد منه.

۱- لعلّه: بما أعطی... الی آخره. أنتهی. مصحّحه. عبارهٔ المصنّف صحیحهٔ.

۲- مسند أحمد، المکثرین رقم ۶۴۵۳ ولاحظ ۶۴۱۵، ولم نجده فی النسائی المطبوع.

ص: ۱۱۳

وسئل مالك عن الراسخين فى العلم؟

فقال: العالم العامل بما علم المتّبع له.

وقال عمر بن عبدالعزيز: انتهى علم الراسخين بتأويل القرآن الى أن قالوا:

آمنّا به كلٌّ من عند ربّنا.

وقال بعضهم: للقرآن تأويل استأثر اللّه تعالى بعلمه؛ لا يطّلع عليه أحد من خلقه، كما استأثر بعلم الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها ونحو ذلك، والخلق متعبَّدون بالإيمان به، ومتعبَّدون بالمحكم بالإيمان به وبالعمل به. وقيل غير ذلك.

الدعوة إلى اتباع العقل والنقل

ثمّ اعلم: أنّه حقّ على اللبيب المعتصم بكتاب اللّه وسُنّة رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم والمتمسّك بالعروة الوثقى أن يُثبت للّه-عزّ وجلّ- ما قضى العقل بجوازه ونصّ الشرع على ثبوته.

فإنّ المشبِّهة أثبتوا للّه ما لم يأذن فيه، بل نهى عنه، وهى زيغة سامريّة ويهوديّة، والمعطِّلة سلبوه ما اتّصف به وسفّهوه.

ولقد أحسن أبو الحسن الأشعرى فى جوابه عن التوحيد؟ حيث قال: إثبات ذات غير مشبِّهة بالذوات، ولا معطِّلة عن الصفات.

شعر:

أللّهُ أكبرُ أن يكون لذاتِهِ كيفيّةٌ كذواتِ مخلوقاتِهِ

أوْ أنْ تُقاسَ صفاتُنا فى كلّ ما نأتيهِ من أفعالِنا بصفاتِهِ

أبداً عقولُ ذوى العقولِ بأسرها متحيِّراتٌ فى دوام حياتِهِ

لَبديعُ صَنعتِهِ عليه شواهدٌ تبدو على صفحاتِ مصنوعاتِهِ

فكلّ ماترى عينك الباصرة فهو دلائل ظاهرة على (۱) أنّ العالم مخلوق بتقدير شامل، وتدبير كامل، وحكمة بالغة غير متناهية.

ولو جمعت عقول العقلاء عقلًا واحداً، ثمّ تفكّروا بذلك العقل فى جناح بعوضة؛ حتّى يجدوا تركيباً أحسن منه وأكمل، لَفنيتْ تلك العقول، وانقطعت تلك الأفكار، ولم تصل الى درك ذرّة من ذرّات حكمته فى تلك البعوضة على سبيل الكمال والتمام.

فما الظنّ بذى الجلال؟! تبّاً ثمّ تبّاً لأهل الضلال والجهل، وما اعتقدوه من النقص، مع تنزيه البحار وشوامخ الجبال.

فسبحان من تسبّحه البحار الصوافح والجبال الشُمّ والسُّحب السوائح، والأمطار الطوامح، والأفكار والقرائح، تقدّس عن مثل وشبيه، وتنزّه عن نقص يعتريه.

يعلم خائنة الأعين وما تُخفى الصدور من سرّ أضمرته الجوانح، تعالى عن النِّدّ المماثل والضدّ الكادح.

يفعل مايشاء، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

هلك الجاهل والمكافح.

متكلّم بكلام (۲) مسموع بالآذان (۳) بغير آلات ولا أدوات ولا جوارح، واين لهوات الحصى وحلقوم الجذع وجارحتهما؟!

فما أجهلك بقوله تعالى: فلمّا جاءَتهُمْ آياتُنا مُبصرةً نسب الإبصار الى الآيات.

۱- هنا لفظ «أنّ» محذوف كما هو ظاهر. انتهى. مصحّحه.

۲- المراد بهذا الكلام هو القرآن؛ لأنّه الذى يُسمع. أنتهى. مصحّحه.

۳- قوله: «بغير آلات» متعلّق بمتكلم، فليفهم. انتهى. مصحّحه.

ص: ۱۱۴

ص: ۱۱۵

فأين الحذق يا قامح؟!

ومن آياته إنزال القطر بقدرته، وصبغ ألوان النبات والثمار بحكمته، مع مُخالفة الطُّعوم بمشيئته، وإرسال الرياح لواقح.

موصوف بالسمع والبصر، يرى فى الدُّجُنّة كما يرى فى القمر. من شبّهه أو كيّفه طغى وكفر. هذا مذهب أهل الحقّ والسُّنّة، وإنّ دليلهم لَجليّ واضح.

من شبّهه أو مثّل أو جسّم فهو مع السامرة واليهود ومن حزبهم، يوم تظهر المخبَّآت، وتُبلى السرائر، وتبين الفضائح:

وإن قيل عنه فى الدنيا: إنّه وليّ صالح، هلك الهالكون بآرائهم؛ لأنّه عمل غير صالح، وفاز المنزّهون فيالها صفقةُ رابح.

هو الواحد المتوحّد فى صفاته الأزلى الجبّار، العظيم العزيز القهار، تبارك وتعالى وتنزّه عن دَرْك الخواطر والأفكار، وَسَم كلّ مخلوق بِميسم الافتقار، وأظهر آثار قدرته فى مخلوقاته؛ ومن أظهرها السموات والأرض والبرارى والبحار، والأعين والأنهار، وجريانها على المدرار، وتصريف السحاب المسخّر بين السماء والأرض، واختلاف الليل والنهار، إنّ فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار.

يعلم حركات الأسرار، ودبيب النملة السوداء فى الظلمة على سواد الصخور والأحجار:

نَوّع هذا العالم الإنسانى، فمنهم شقيّ، ومنهم سعيد، وربُّك يخلق ما يشاءُ ويختارُ.

وصفاته كذاته، والمشبّهة والمجسّمة أهل زيغ وكفّار، نزّه نفسه بنفسه وقدَّسها، فمن شبَّه أو عطّل فمأواه النار، ومن أناب ورجع قَبِلَهُ وإن ارتكب العظائم الكبار؛ لأنّه سبحانه وتعالى عزيز غفّار ستّار.

ومن بديع صنعته أن خلق اليوم وليلته، وقمر السماء وشمسه، وآدم عليه السلام وما

ص: ۱۱۶

مسَّه، علم ذلـك المنزَّه فنزّه قُدسَه، وجهله أعمى البصـيرة المشـبّه، فتصوّر فيه جنسه؛ لأنّه بجهله قاس الخالق- جلّ وعلا- على ما ألفهُ وأحسّه، فتراكم عليه غبار التشبيه فضاعت المحسّة.

وأمّا المعطّل فجحد صفاته، فما أغباه وما أخسّه، وإذا كان الأمر كذلك فادفع المعطّل بيديك النقيّة، وألحق بالمشبّه دفعةً ورَفسة.

مبحث الرد على ابن تيمية فى قوله بفناء النار

واعلم: أنّه انتُقد عليه: زعمه: أنّ النار تفنى، وأنّ اللَّه تعالى يُفنيها، وأنّه جعل لها أمداً تنتهى إليه وتفنى، ويزول عذابها.

وهو مُطالب أين قال اللَّه عزّ وجلّ؟ وأين قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم وصحّ عنه؟

وقد سفّه اللَّه تعالى ذكره فى كتابه العزيز، كما سفّهه فى تنزيهه لنفسه.

وأتى بأُمور إقناعية (۱)، صادم بها النصوص الصريحة فى دوام العذاب عليهم:

فمن ذلك قوله تعالى: إنّ الّذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كُلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب.

تُبدَّل فى كلّ ساعة مائة مرة.

وقال الحسن: تأكلهم النار كلّ يوم سبعين ألف مرّة.

إنّ اللَّه كان عزيزاً؛ أى شديد النقمة على من عصاه.

وقيل: العزيز الشديد القادر القوى.

وقيل: الغالب الذى لا يُغلب، والقاهر الذى لا نظير له.

وقيل: معناه المُعِز، فيكون فعيل بمعنى مُفعِل، كالأليم بمعنى المؤلم ونحوه.

۱- أىللعامّة البُله الـذين لم يخـالطوا المـؤمنين، أمّا من عرف دين اللَّه عالمـاً أو مخـالطه، فمعـاذ اللَّه أن يقتنع بغير كلاـم ربّه، فليعلم. أنتهى. مصحّحه.

ص: ۱۱۷

وقال أهل المعانى وأرباب القلوب: العزيز من ضلّت العقول فى بحار تعظيمه، وحارت الألباب دون إدراك نعته، وكلّت الألسن عن استيفاء مدح جلاله ووصف كماله، والقيام بشكر آلائه.

وقوله: حكيماً أى حكم على الأعداء بدوام العذاب، كما حكم للأولياء بدوام النعيم، فلا يعلم كنه حقيقة حكمته غيره، فلا شىء من الأشياء إلّاوفيه من حكمته على وفقه لمناسبته.

صُنعَ اللَّه الذى أتقن كلَّ شىءٍ.

وقال تعالى: فالذين كفروا قُطِّعت لهم ثيابٌ من نارٍ يُصبُّ من فوقِ رؤوسِهِمُ الحميمُ يُصهر به ما فى بطونهم والجلودُ ولهم مقامعُ من حديد كلّما أرادوا أن يخرجوا منها من غمٍّ أُعيدوا فيها وذُوقوا عذاب الحريقِ.

وقال: فلن نزيدَكُم إلّاعذاباً.

وقال تعالى: كُلّما خبت زدناهُم سعيراً.

وقال تعالى: يريدون أن يَخرجوا من النَّارِ وما هم بخارجين منها ولهم عذابٌ مُقيمٌ.

وقال تعالى إنّ عذابها كان غراماً؛ أى مقيماً ملازماً، فكلّ عذاب يُفارق صاحبه فليس بغرام. والآيات فى ذلك كثيرة جدّاً.

وأمّا السُّنّة فطافحة بذلك، وتدلّ على إخراج المؤمنين دون غيرهم؛ حتّى يخرج مَن فى قلبه مِثقال ذَرّة من الإيمان، وفى رواية: مثقال ذرّة من خير، فأقول:

ياربّ ما بقى فى النار إلّامن حبسه القران؛ أى وجب عليه الخلود.

قال اللَّه تعالى: لهم فيها دارُ الخلدِ الى غير ذلك.

ولأنّ العذاب يدوم بدوام سببه بلا شكّ ولا ريب، وهو قصد الكفر وبقاء العزم عليه، ولا شكّ أنّهم لو عاشوا أبد الآباد لاستمرّوا على كفرهم.

ص: ۱۱۸

وکذلک المؤمن یستحقّ الخلود.

وهذا معنی قوله صلی الله علیه و آله و سلم:(نیّة المؤمن خیر من عمله)، وفی معناه أقوال أُخر.

فادّعاء فناء النار بعد أمد نزعة یهودیة.

ألا تری الی قوله تعالی: وقالوا لن تَمسَّنا النارُ إلّاأیّاماً معدودةً الآیة؛ أی قدراً مقدوراً، ثمّ یذهب عنّا العذاب.

وکانت الیهود تقول: إنّ هذه الدنیا سبعة آلاف سنة، وإنّما نُعذَّب بکلّ ألف سنة یوماً، ینقطع العذاب بعد سبعة أیام، وقیل: أربعین یوماً الذی عبد آباؤنا العجل فیها.

وکانت تقول: إنّ ربّنا عتب علینا فی أمر، فأقسم لَیُعذِّبنَّا أربعین یوماً، فلن تمسّنا النار إلّاتحلة القسم أربعین یوماً. فالرجل ساعٍ خلف سلفه، کما تقدّم وکما یأتی.

مبحث الرد علیه فی القول بقدم العالم

ومّما انتُقد علیه- وهو من أقبح القبائح: ما ذکره فی مصنّفه المسمّی ب «حوادث لا أوّل لها»، وهذه التسمیة من أقوی الأدلة علی جهله، فإنّ الحادث مسبوق بالعدم (۱) والأوّل لیس کذلک.

وبنی أمره فیه علی اسم من أسماء الأفعال، ونفی المجاز فی القرآن، وهو من الجهل أیضاً، فإنّ القرآن مُعجز ومحشوّ بالمجازات والاستعارات؛ حتّی أنّ أوّل حرف فیه أحد أنواع المجاز.

وتضمّن هذا المصنّف مع صِغره شیئین عظیمین:

تکذیب اللّه- عزّ وجلّ- فی قوله: هو الأوّل فجعل معه قدیماً.

۱- لعلّه والذی لا أوّل له لیس کذلک. أنتهی. مصحّحه.

ص: ۱۱۹

وتكذيب النبى صلى الله عليه و آله و سلم فى قوله:(كان اللَّه ولا شىء معه).

وفى البخارى من رواية عمران بن حصين رضى الله عنه:(كان اللَّه ولم يكن شىء قبله).

وليس وراء ذلك [إلّا] زيغ وكفر، فإنّ الدين ما قاله عزّوجلّ وقاله رسوله صلى الله عليه و آله و سلم.

وقد قال: هو الأوّل والآخر والظّاهر والباطن وهو بكلّ شىء عليمٌ هو الأوّل قبل كلّ شىء بلا ابتداء، كان ولم يكن شىء موجوداً، والآخر بعد فناء كلّ شىء بلا انتهاء ويبقى هو.

والظاهر هو الغالب على كلّ شىء.

والباطن هو العالم بكلّ شىء. هذا معنى قول ابن عبّاس رضى اللَّه عنهما.

والأقوال فى ذلك كثيرة: ومنها قول أبى القاسم الجنيد: نفى القدم عن كلّ أوّل بأوّليّته، ونفى البقاء عن كلّ آخر بآخريّته، واضطرّ الخلق الى الإقرار بربوبيته لظاهريته، وحجب الإدرك عن إدراكه كنهه وكيفيته بباطنيّته.

وقال أيضاً: هو الأوّل بشرح القلوب، والآخر بغفران الذنوب، والظاهر بكشف الكروب، والباطن بعلم الغيوب.

وقال السيّد الجليل محمد بن الفضل: الأوّل ببرّه، والآخر بعفوه، والظاهر بإحسانه، والباطن بستره.

ومن حقّ العبد أن يجعل له حظّاً من هذا الخطاب، فيزيّن ظاهره بأنواع الخدمة، ويزّين باطنه بأنوار الهيبة، ويحقّق جميع أفعاله وحركاته وسكناته وسائر طاعاته وقُرباته بالصدق والإخلاص؛ لقوله عزّ وجلّ: واللَّه بكلّ شىء عليمٌ.

وسأل عمر رضى الله عنه كعب الأحبار عن معنى هذه الآية، فقال: إنّ علمه بالأوّل كعلمه بالآخر، وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن.

ص: ۱۲۰

تكذيب ابن تيمية للنبوة و توهينه لمقام النبى

ومّما انتُقد عليه: تكذيبه النبى صلى الله عليه و آله و سلم فيما أخبر به عن نبوّته من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

قالوا: يا رسول اللّه متى وجبت لك النبوّة؟ قال صلى الله عليه و آله و سلم:(وآدم بين الروح والجسد)، وفى رواية:(وإنّ آدم لمُنجدل فى طينته).

وتكلّم بكلامٍ لَبَّسَ فيه على العوامّ وغيرهم من سيّئى الأفهام، يقصد بذلك الازدراء برسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم والحطّ من قدره ورتبته.

وما فيه رفعه يسكت عنه، يفهم ذلك منه كلّ عالم امتلأ قلبه بعظمته صلى الله عليه و آله و سلم وتوقيره، وبما خصّه اللّه تعالى من مزايا المواهب الإلهية التى لم ينلها غيره.

وهذا الخبيث حريص على حَطّ رتبته والغضّ منه؛ تارة يقع ذلك منه قريباً من التصريح، وتارة بالإشارة القريبة، وتارة بالإشارات البعيدة التى لا يدركها إلّا أهلها:

فمن ذلك وقد سُئل- على مازعم- أيّما أفضل مكّة أو المدينة؟

فأجاب: مكة أفضل بالإجماع. وكتبه أحمد بن تيميّة الحنبلى، وعليها خطّه، وأنا أعرف خطّه.

وفى هذا الجواب دسائس وفجور ورمز بعيد.

فمن الفجور نسبته نفسه الى الإمام أحمد، والإمام أحمد وأتباعه برآء منه ومّما هم (۱) عليه.

وهو لا يلتفت إليه إلّاإذا كان له فى ذكره غرض، أمّا إذا لم يكن فلا يلوى على قوله، ويسفّهه حتّى فيما ينقله، ويكفّره فيما يعتقده إذا كان على خلاف هواه.

۱- «هم» هو. انتهى. مصحّحه.

ص: ۱۲۱

تجاسر ابن تيمية على الإمام أحمد

ومن مواضع تسفيهه الإمام أحمد مسألة الطلاق، فإنّ الإمام أحمد قال: «الذى أخبرنا بأنّ الطلاق واحدة أخبرنا بأنّ الطلاق ثلاث»، وعلى ذلك جرى الأئمة من جميع المذاهب.

فإذا كان الإمام أحمد غير ثقة فبمن يوثق؟

وقال- أعنى ابن تيميّة- فى الجواب عن المسألة المبسوطة: «والإمام أحمد أعلم الناس فى زمانه بالسُّنّة»، وبالغ فى الثناء عليه.

فياللّه العجب من هذا الأعمى البصيرة الذى لا يحسّ بتناقض كلامه، كيف يجعل الإمام أحمد فيما له فيه غرض أعلم الناس بالسُّنّة، ويسفّهه فيما لا غرض له فيه.

وهذا ونحوه- ممّا يأتى فى غير الإمام أحمد من أئمة الحديث- يعرّفك ما فى قلبه من الخبث وعمى بصيرته، وأنّه لا عليه فيما يقوله.

ادعاء ابن تيمية للاجماع، فى موارد الخلاف

ومن فجوره ادّعاء الإجماع على ما يقوله ويُفتى به كهذه الفتوى مع شهرة الخلاف فى المسألة؛ حتّى أنّه مشهور فى أشهر الكتب المتداولة بين الناس، وهو «الشفاء»، فإنّه ذكر الخلاف بين مكّة والمدينة؛ وأنّ مالكاً وأكثر أهل المدينة قائلون: بأنّ المدينة أفضل من مكّة، وقال أهل مكة والكوفة: مكّة أفضل.

ومحلّ الخلاف فى غير الموضع الذى ضمّ سيّد الأوّلين والآخرين صلى الله عليه و آله و سلم، وأمّا هو فالإجماع منعقد على أنّه أفضل من مكّة وسائر البقاع.

وممّن حكى الإجماع القاضى عياض فى «الشفاء»، بعد أن حكى الخلاف فى

ص: ۱۲۲

التفضيل بين مكّة والمدينة، فقال: «ولا خلاف فى أنّ موضع قبره أفضل بقاع الأرض».

وكذا ذكره الإمام هبة اللَّه فى كتابه(توثيق عرى الإيمان).

وذكر الإمام أبو زكريا يحيى النووى فى شرح مسلم ذلك فقال القاضى عياض أجمعوا على أن موضع قبره أفضل بقاع الأرض وأقره على ذلك.

فسكوت الخبيث عن مثل ذلك دليل على خبث فى باطنه فى حقّ سيّد الأوّلين والآخرين صلى الله عليه و آله و سلم.

وفى هذه الفتوى رمز الى عدم الاعتداد بقول عمر رضى الله عنه، فإنّه رضى الله عنه من القائلين بأنّ المدينة أفضل من مكّة.

ويدلّ على ما قلته من الرمز (۱) الى تخطئته فى الطلاق وعدم الاعتداد بذلك، كما رمز الى تكفير الصدّيق رضى الله عنه فى قوله فى بعض تصانيفه: «من قال: اللَّه ورسوله فى أمر يلحقه، فإنّه يكون مشركاً»، فإنّ الصدّيق رضى الله عنه لمّا قال النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم:(ما أبقيت لأهلك)؟ قال: أبقيت لهم اللَّه ورسوله.

ويؤيّد ما قلته ما هو مشهور فى كتبه وعند أتباعه: «لا ينبغى أن يُنسب الى غير اللَّه تعالى ضُرّ ولانفع، ولا أنّه يُغنى».

وهذا من الدسائس أيضاً فإنه يلبس به على كثير من الناس، لا سيّما الضعفاء فى العلم وأصحاب الأذهان الجامدة، فهى كلمة حقّ أُريد بها باطل.

وقد قال اللَّه تعالى فى كتابه العزيز: وما نقموا إلّاأن أغناهم اللَّه ورسولُه من فضلِهِ.

وقال تعالى: وقالوا حسبُنا اللَّه سيُؤتينا اللَّه من فضله ورسولُه وغير ذلك.

۱- هنا لفظ «الى» محذوف. انتهى. مصحّحه.

ص: ۱۲۳

فهذا نصّ القرآن العظیم علی مثل هذا القول فی الذین یقولون: إنّه شِرک.

ففی قولهم قدح فی القرآن، وفی رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم لإقراره الصدیق رضی الله عنه علی هذا القول الذی هو شرک (۱).

وهذا منهم کفر بیقین؛ لأنّه واجب وحتم لازم علی کلّ أحد بأن یؤمن بالقرآن، وبما جاء به سیّد الأوّلین والآخرین صلی الله علیه و آله و سلم عن ربّ العالمین من غیر شکّ ولا ارتیاب.

قال اللّه تعالی: ومن لم یؤمن باللّه ورسولِهِ فإنّا أعتدنا للکافرین سعیراً.

وقال تعالی: وأطیعوا اللّه واطیعوا الرسولَ.

وقال: وآمنوا باللّه ورسولِه جمع بینهما بواو العطف للشرکة، ولا یجوز هذا فی حقّ غیره صلی الله علیه و آله و سلم.

ولما خطب صلی الله علیه و آله و سلم أمّ سلمهٔ رضی اللّه عنها فاعتذرت الیه بأعذار منها: وأنا موتم مرملهٔ فی أربعهٔ من الولد، فقال لها من جملهٔ قوله: وأما ولدک فهم ولد أخی أبی سلمهٔ وهم علی اللّه وعلی رسوله، وقال: إنّما ولیُّکم اللّهُ ورسُولُهُ.

ابن تیمیهٔ رافضی و یقول بالتناسخ

واعلم: أنّ ما ذکرته من الرمز الی الصدّیق والفاروق رضی اللّه عنهما، وأنّ فیه إشعاراً بأنّه رافضیّ هو کذلک، وفی الردّ علی الرافضی أنّه رافضیّ، وهذا نبّه علیه الشیخ زین الدین القرشی والشیخ زین الدین بن رجب الحنبلی.

نعم وقفت علی مصنّف لطیف له ولم یتمّ، وفیه ما یدلّ علی ما قالاه.

۱- یعنی فی زعمهم. انتهی. مصحّحه.

ص: ۱۲۴

وفى هذا الكتاب رمز الى أنّه من القائلين بتناسخ الأرواح (۱)، وبعض أتباعه الذين هم رسل فى التبعية يقع منه (۲) ما يدلّ على ذلك، واللّه أعلم.

تجويز ابن تيمية للمكس

ومن الأمور الخبيثة التى وقفت عليها فى فتاويه ما فيه: أنّ بعض المكّاسين مثاب فى وظيفة المَكْس؛ بل أبلغ من ذلك.

وأقبض عنان الكلام فيه لما أخشى ممّا يترتّب على التصريح من أهل المكس وتجُّرئهم عليه، وقرر ما قاله بتقرير مقبول فى شق، وأهمل الآخر.

فلمّا وقفتُ على ذلك قبَّ بدنى، وهجت على الكلام فى ذلك.

وكان شخص من الحنابلة يدّعى بعلاء الدين بن اللحّام البعلبكى، وكان عندهم عظيماً وصنّف فى مذهب الإمام، فأتيته وهو فى حلقة فى الجامع الأموى وهم يقرؤون عليه فى بعض مصنّفاته، فسألته عن شىء يتعلّق بمسألة تقرأ عليه فى كتابه فما أجاب، ثم أُخرى فما أجاب ثمّ قلت: ما هذه المسألة التى ذكرها الشيخ

۱- القول بتناسخ الأرواح كفر؛ لأنّه عبارة عن اعتقاد أنّ أرواح من يموتون تتّصل بغيرهم، فقديكون روح الخواجة الذى مات اليوم، روح أكبر عالم مرشد زاهد ورع بعد ذلك والعكس، وقد يتّصل روح الخنزير الذى مات بمحمّد الذى ولد بعد ذلك ويعكس، وقد يتّصل بعد ذلك بكلب، ثم يتّصل بحمار، ثمّ يتّصل بنبىّ، وهكذا الى غير نهاية. وهذا يقتضى أن لا بعث وأن لا جزاء، فإنّ الروح لا يقف عند حدّ معلوم يجازى عليه، بل قد يكون بحال يقتضى العذاب، ويصبح بحال يقتضى النعيم، ثمّ بحال لا يقتضى عذاباً ولا نعيماً وهكذا، وهذا غير ما تنطق به الشرائع الإلهية كلّها، فهو مصادم للأنبياء ولما جاء به الأنبياء، وكيف لا يكون ما هذا حاله كافراً؟! وهذا المذهب لا دليل عليه من العقل، مع كونه مخالفاً مع الشرع كما ذكرنا، وذلك أنّ الأرواح ليست من عالم المحسوسات حتى نراها ونحكم عليها، وهى لم تخبرنا عن نفسها بشىء، فالجهالة بها مطلقة. أنتهى مصحِّحه.

۲- أى من ذلك البعض. انتهى. مصحِّحه.

ص: ۱۲۵

تقىّ الدين بن تيميّة فى المكس؟

فقال وشرع يقرّر ما قرّره ابن تيميّة، فأخذت الشقّ الآخر وقرّرته، فسكت ولم يجد جواباً.

فقلت: يلزم أحد شيئين: إمّا بطلان ما قاله، أو تكفيره، فقال: هذه المسألة ما هى فى فتاويه وأنا أختصرتها.

فهذه قاعدة من قواعدهم يبحثون مع الخصم، فإن ظفروا به فلا كلام، وإن ظفر بهم قالوا: هذه ما هى فى كلامه، فهم خَلَفُ إمامهم فى المكر والخديعة والكذب، وقد خابَ من افترى واللّه أعلم.

قول ابن تيمية بالتفرقة فى احترام النبى بين حياته و موته و تكفيره الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة

ومن الأمور المنتقدة عليه- وهو من أقبح القبائح وشرّ الأقوال وأخبثها-:

مسألة التفرقة التى أحدثها غلاة المنافقين من اليهود، وعصوا أمر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، واستمر عليها أتباعهم الذين يُظهرون الإسلام، وقلوبهم منطوية على بغض النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، ولم يقدروا أن يتوصّلوا الى الغضّ منه إلّابذلك.

وقد ذكر المسألة الأئمة الأعلام فأذكر بعض كلامهم فيها، ثمّ أعود الى تتميمه؛ مستدلًا بأُمور سمعيّة وغيرها تفيد جلالته وعظامته، وحياته فى قبره صلى الله عليه و آله و سلم، وبقاء حرمته على ما كان عليه فى حياته.

ويقطع الواقف عليها- أو على بعضها- بأنّ القائلين بالتفرقة من متغالى أهل الزيغ والزندقة.

وأنّ ابن تيميّة الذى كان يوصف بأنّه بحر فى العلم، لا يستغرب فيه ما قاله بعض الأئمة عنه: من أنّه زنديق مطلق.

ص: ۱۲۶

وسبب قوله ذلک أنّه تتبّع کلامه فلم یقف له علی اعتقاد؛ حتّی أنّه فی مواضع عدیدة یکفّر فرقة ویضلّلها، وفی آخر یعتقد ما قالته أو بعضه.

مع أنّ کتبه مشحونة بالتشبیه والتجسیم، والإشارة الی الازدراء بالنبیّ صلی الله علیه و آله و سلم والشیخین، وتکفیر عبداللّه بن عبّاس رضی الله عنه، وأنّه من الملحدین، وجعل عبداللّه بن عمر رضی اللّه عنهما من المجرمین، وأنّه ضالّ مبتدع، ذکر ذلک فی کتاب له سمّاه(الصراط المستقیم) والردّ علی أهل الجحیم.

وقد وقفت فی کلامه علی المواضع التی کفّر فیها الأئمة الأربعة (۱)، وکان بعض أتباعه یقول: إنّه أخرج زیف الأئمة الأربعة یرید بذلک إصلاح هذه الأمّة؛ لأنّها تابعة لهذه الأئمة فی جمیع الأقطار والأمصار، ولیس وراء ذلک زندقة.

اقوال الأئمة فی التوسل بالنبی

ولنرجع الی قول بعض الأئمة:

فمنهم: الإمام العلّامة شیخ شیوخ وقته أبو الحسن علی القونوی، قال بعد ذکره أشیاء لا أطوّل بذکرها، وفیها دلالة علی أنّ التوسّل بالنبیّ صلی الله علیه و آله و سلم فی الحاجات بعد وفاته کالتوسّل به فی حال حیاته.

ثمّ قال: وهذا وأمثاله یرد علی هؤلاء المبتدعة الذین نبغوا فی زماننا، ومنعوا التوسّل برسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم، وقد جمع بعضهم کلاماً یتضمّن نفی عمله صلی الله علیه و آله و سلم بعد الوفاة.

ونقل طائفة منهم التفرقة بین حیاته وحال وفاته، فقال: والتفریق بین الحیاة

۱- أحبّ أن لا یستغرب القارىء شیئاً یراه منسوباً الی هذا الرجل، بعد تصریح العلماء عنه: أنّه یستخفّ برسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم ویزدریه، ویصغّر من شأنه، فإنّ الذی یجترىء علی أسمی مقام فی الوجود لا یتهیّب ما دونه، فلیعلم. انتهی. مصحّحه.

ص: ۱۲۷

والوفاة كان ثابتاً عند الصحابة، فلهذا استسقى أمير المؤمنين عمر بالعبّاس، ولولا هذا التفريق الواضح عندهم لما عدل عمر- مع جلالته وكونه خليفة راشداً، وكان يشاور أيضاً- عن قبر رسول اللّه إلى غيره.

ثمّ قال: هذا لفظ المبتدع الجاهل الذى قامت البيّنة عليه بأشياء من هذا القبيل، وعُزِّر على ذلك التعزير البالغ بالضرب المبرّح والحبس وغير ذلك، فى شهور سنة خمس وعشرين وسبعمائة بالقاهرة.

وهذا الكلام من التفرقة بين الحالتين، والاستناد فيه الى استسقاء عمر بالعباس، ليس له، وإنّما هو لشيخه، فإنّه لمّا أظهر القول بنفى التوسل برسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم، أورد عليه حديث الاستقاء، ففزع إلى التفرقة المذكورة، ولا مُتشبَّث فى الحديث المذكور، فإنّ عمر رضى الله عنه إنّما قصد أن يقدّم العبّاس، ويباشر الدعاء بنفسه، وهذا لا يُتصور حصوله من غير الحىّ؛ أى الحياة الدنيّوية.

وأمّا التوسّل برسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم فلا نسلّم أنّ عمر رضى الله عنه تركه بعد موته، وتقديم العبّاس ليدعو للناس لا ينفى جواز التوسّل به مع ذلك.

ثمّ قال: وهذا القول الشنيع والرأى السخيف الذى أخذ به هؤلاء المبتدعة من التحاقه صلى الله عليه و آله و سلم بالعدم- حاشاه من ذلك- يلزمه أن يقال: أنّه ليس رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم اليومَ، وهو قول بعض الضُّلّال.

فرقة ابن تيمية مبتدعة

قال أبو محمّد بن حزم فى كتابه «الملل والنحل»: حدثت فرقة مبتدعة تزعم:

أنّ محمد بن عبداللّه بن عبدالمطلب بن هاشم صلى الله عليه و آله و سلم، ليس هو اليومَ رسول اللّه، لكن كان رسولًا.

ثمّ قال: «وهذه مقالة خبيثة مخالفة للّه- عزّ وجلّ- ولرسوله صلى الله عليه و آله و سلم، ولما عليه

ص: ۱۲۸

أهل الإسلام منذ كان أهل الإسلام الى يوم القيامة».

قال: «وإنّما حملهم على هذا الرأى الخبيث قولهم الآخر الخبيث: إنّ الروح عَرَض، والعَرَض يفنى أبداً، أو يحدث ولا يبقى وقتين.

قال: «فروح رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم عند هؤلاء بطل، ولا روح له الآن عند اللَّه.

وأمّا جسده ففى قبره تراب، فبطلت نبوّته ورسالته بموته عندهم.

فنعوذ باللَّه من هذا القول، فإنّه كفر صراح لا تردّد فيه، ويكفى فى بطلان هذا القول الفاحش الفظيع، أنّه مخالف لما أمر اللَّه تعالى به ورسوله صلى الله عليه و آله و سلم، واتّفق عليه أهل الإسلام من الأذان- فى الجوامع والصوامع وأبواب المساجد جهاراً فى شرق الأراضى وغربها- كلّ يوم خمس مرّات بأعلى أصواتهم، قد قرنه اللَّه تعالى بذكره:

أشهد أن لا إله إلّااللَّه. أشهد أنّ سيّدنا محمّداً رسول اللَّه. كان يجب أن يقال على قولهم: أشهد أن محمّداً كان رسول اللَّه، وكذلك كان يجب أن يقال فى ثانى الشهادتين فى الإسلام.

وقد قال تعالى: ورُسُلًا قد قصصناهُم عليكَ من قبل ورُسُلًا لم نقصصهم عليكَ.

وقال تعالى: يومَ يجمعُ اللَّه الرُّسُلَ.

وقال تعالى: وجيء بالنبيّين والشُّهداء، فسمّاهم اللَّه- عزّ وجلّ- بعد موتهم رُسلًا ونبيّين، والأصل الحقيقة.

وكذلك أجمع المسلمون وجاء به النصّ: أنّ كلّ مُصلٍّ فرضاً أو نفلًا يقول فى تشّهده: السلام عليك أيُّها النبىّ ورحمة اللَّه وبركاته، ولو كان بعد موته فى حكم العدم لمّا صحّت هذه المخاطبة». هذا معنى كلام ابن حزم.

ثمّ قال «إنّ ابن حزم أورد على نفسه إيرادات، وأجاب عنها».

قلت: وقد حذفتها أنا لأجل الإطالة، ولا تسع عقول العوامّ وكثير مّمن أُشير

ص: ۱۲۹

إليه بالعلم أن يدركها ويدرك الجواب.

ثم قال: «وإنّما أطلتُ النَّفَس فى هذه المسألة- وإن كانت فى غاية الوضوح- لقرب العهد بهذيان من أظهر الخلاف فيها، وأفسد به عقائد خَلْقٍ كثير من العوامّ، فلذلك استطرقتُ فى هذا المقام بما يتعلق بهذه المسألة هذا المقدار اليسير من الكلام، وللمقال فيها مجال واسع، لكن إشباع القول فى ذلك خارج عمّا نحن بصدده فى هذا الكتاب واللّه تعالى أعلم».

وهذا الكتاب الذى أشار إليه ومنه نقلت يقال له: «شرح التعرّف لمذهب أهل التصوف».

وأعلم أرشدنا اللّه وإياك أيها الموّفق المنزّه المعظّم لسيّد الأوّلين والآخرين صلى الله عليه و آله و سلم، ولذرّيّته الذين بهم تمّ الدين، ولسائر الصحابة رضى اللّه عنهم، والتابعين لهم بإحسان الى يوم الدين- أنّ فى هذا الذى ذكره الأئمة كفاية لمن له أدنى فهم ودراية إلّاأنّى وعدت بذكر شىء، وخلف الوعد صعب شديد، فأنا أذكر نُبذة يسيرة، وأرجو من اللّه- عزّ وجلّ- حصول البركة فيها، وقد ذكرت فى كتاب «تنبيه السالك على مظان المهالك» جملة كثيرة تتعلق بذلك وبغيره، وسُقتُ فيها فتواه المطولة والجواب عمّا قاله، ذكرته فى فضل الحجّ، واللّه أعلم.

ومن الأمور المهمة: معرفة الإنسان حاله فى التوفيق والخذلان:

فمن الخذلان عدم إيمان الإنسان بالآيات والنذر، كما قال تعالى: وما تُغنى الآياتُ والنذُرُ عن قومٍ لا يؤمنونَ. قيل: المعنى لا تصل العقول الخالية عن التوفيق الى سبيل النجاة.

وما يُغنى ضياء العقل مع الخذلان، إنّما ينفع نور العقل مؤيّداً بنور التوفيق وعناية الأزل، وإلّا فإنّه متخبّط بإدراكه بعقله.

فإذا وعيت ما قلته، ووقفت على بعض ما أذكره من الأدلة، ولم تجد قلبك

ص: ۱۳۰

مؤمناً بها، فاعلم أنّک من أهل الخذلان، ومرقوم فی حزب الشیطان، وتابع لأهل البدع عصاة الرحمن.

قال کعب الأحبار: «تجد الرجل یستکثر من أنواع البرّ، ویحتاط فی (۱) صنائع المعروف، ویکابد سهر اللیل وشدّة ظمأالهواجر، وهو مع ذلک لا یساوی عند اللّه جیفة حمار».

یشیر الی أهل البدع والتبرّی منهم؛ بحیث لا یمکن سمعه من ذی هوًی.

لما صالح عمر رضی الله عنه أهل بیت المقدس، وقدم علیه کعب الأحبار، وأسلم، وفرح به عمر رضی الله عنه وبإسلامه، قال له عمر رضی الله عنه: «هل لک أن تسیر معی الی المدینة، وتزور قبر النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم وتنتفع بزیارته؟ قال: نعم یاأمیر المؤمنین أفعل ذلک».

فهذا صریح فی الندب الی زیارة قبره صلی الله علیه و آله و سلم وشدّ الرحل وإعمال المطیّ إلیه.

والکلام علی هذا یأتی إن شاء اللّه تعالی.

فی بقاء النبی بعد موته والاستغاثة به

بیان زندقة من قال: إنّ روحه صلی الله علیه و آله و سلم فنیت، وإنّ جسده صار تراباً، وبیان زیغ ابن تیمیّة وحزبه فی جواب الفتوی التی زعم أنّه سُئل عنها:

فقال فی جوابه: «الحمد للّه ربّ العالمین. من استغاث بمیّت أو غائب من البشر، بحیث یدعوه فی الشدائد والکُرُبات، ویطلب منه قضاء الحاجات، فیقول:

«یا سیدی الشیخ فلان» أنا فی حسبک أو فی جوارک، أو یقول عند هجوم العدّو علیه: یاسیدی فلان یسترعیه أو یستغیث به، أو یقول نحو ذلک عند مرضه وفقره وغیر ذلک من حاجاته، فإنّ هذا ظالم ضالّ مشرک». وفی بعض النسخ: «کافر

۱- صائع المعروف صوابها صنائع. انتهی. مصحّحه.

ص: ۱۳۱

عاصٍ للّه‌تعالی بأتّفاق المسلمین، فإنّهم متّفقون علی أنّ المیّت لا یُسأل ولا یُدعی، ولا یُطلب منه شیء؛ سواء کان نبیّاً أو غیر ذلک».

ثمّ أکّد ما قاله بقصّة عمر والعبّاس فی الاستسقاء؛ تبعاً لشیخه الجاری خلف سلالة الیهود.

وأنت- أرشدک اللّه تعالی وبصّرک- إذا تأمّلتَ ما قاله فی هذا الجواب اقشعرّ جلدک، وقضیت العجب ممّا فیه من الخبائث والفجور، وادّعاء اتّفاق المسلمین، وما فیه من الرمز الی تکفیر الأنبیاء وتضلیلهم، والتلبیس علی الأغبیاء بقصّة عمر رضی الله عنه.

ولیت شعری! من أیّ الدلالات أنّ من توجّه الی قبر سیّد الأوّلین والآخرین صلی الله علیه و آله و سلم وتوسّل به فی حاجة الاستسقاء أو غیرها، یصیر بذلک ظالماً ضالّاً مُشرکاً کافراً؟!

هذا شیء تقشعرّ منه الأبدان، ولم نسمع أحداً فاه، بل ولا رمز إلیه فی زمن من الأزمان، ولا بلد من البلدان، قبل زندیق حرّان- قاتله اللّه عزّ وجلّ وقد فعل-.

جعل الزندیق الجاهل الجامد قصّة عمر رضی الله عنه دعامة (۱) للتوصّل بها الی خبث طویّته فی الازدراء بسیّد الأوّلین والآخرین وأکرم السابقین واللاحقین، وحطّ رتبته فی حیاته، وأن جاهه وحرمته ورسالته وغیر ذلک زال بموته.

وذلک منه کفر بیقین وزندقة محقّقة.

حرمة النبی وتعظیمه فی القرآن

فإنّه صلی الله علیه و آله و سلم حرمته وقدره ومنزلته عند ربّه ما زالت ولم تزل، وهو سیّد ولد آدم وأکرمهم علی اللّه- عزّ وجلّ- علی الدوام.

۱- قوله: «للتوصل بها الی خبث طویّته فی الازدراء...» الی آخره، الصواب أن تقدّم «فی» وتؤخّر «الی»؛ لیظهر معنی الکلام. انتهی. مصحّحه.

ص: ۱۳۲

ومن تأمّل القرآن العظیم وجده مشحوناً بذلک.

وقد ذکرت جملة من ذلک فی مولده صلی الله علیه و آله و سلم وأُشیر هنا الی نُبذة یسیرة من ذلک؛ لیتحقّق السامعُ لها خُبثَ هذا الزندیق، وما انطوی علیه باطنه من الخبث، بإبداله هذه الأنواع من التعظیم بالازدراء وما فاه به من الفجور والافتراء کما تری.

سلْ عن فضائله الزمانَ لتُخَبرا فنظیر مجدِکَ یا محمّد لا یُری

ولقد جمعتَ مناقباً ما استجمعتْ مااستعجمت یا سیّدی فتُفسّرا

ما بین مجدِکَ والمحاوِلِ نیلَه إلّا کما بین الثُّریّا والثَّری

عصمة النبی

فمن ذلک: أنّه سبحانه وتعالی تولّی عصمته بنفسه، فقال تعالی: واللَّهُ یعصمُکَ من النَّاسِ.

وحقّاً عصمه- عزّ وجلّ- فی ظاهره وباطنه؛ حفظه فی ظاهره من أن ینالوا ما همّوا به، وردّ کیدهم فی نحورهم، وحفظه فی باطنه من الناس من أن یکون منه إلیهم التفات، أو یکون له بهم اشتغال؛ صان سرّه عن موارد السکون إلیهم، وعن نزغات الشیطان وفلتات النفس.

ومنها: قوله تعالی: لا تجعلوا دُعاءَ الرَّسول بینَکم کدُعاءِ بعضِکم بعضاً.

قیل: معناه لا تدعوه باسمه، کمایدعو بعضکم بعضاً: یا محمّد، یا عبداللَّه، ولکن فخمّوه وعظموه وشرّفوه، وقولوا: یانبی اللَّه یارسول اللَّه، مع لین وتواضع.

قاله مجاهد وقتادة.

وقیل: معناه احذروا دعاء الرسول علیکم، فإنّ دعاءه مستجاب لا یردّ، لیس کدعاء غیره. قاله ابن عباس رضی اللَّه عنهما.

وقیل: معناه من ضیّع حرمة الرسول صلی الله علیه و آله و سلم فقد ضیّع حرمة اللَّه- عزّ وجلّ-

ص: ۱۳۳

ومن ضیّع حرمة اللَّه فقد دخل فی دیوان الأشقیاء، وحرمة الرسول صلی الله علیه و آله و سلم من حرمة اللَّه تعالی، بل من ضیّع حرمة الأولیاء فقد عرّض نفسه للهلکة.

ومنها: قوله تعالی: إنّا أرسلناکَ شاهداً؛ أی علیهم بالتوحید ومبشراً؛ أی لهم بالتأیید والمغفرة ونذیراً؛ أی محذراً إیّاهم الزیغ والضلالات لتؤمنوا باللَّهِ ورسولِهِ وتُعزّروهُ وتُوقّروهُ أی تعظّموه تعظیماً یلیق به وبمرتبته.

قال الأئمة: لم یؤمن بالرسول من لم یُعزّه ویُعزّ أوامره ویُوقّره ویوقّر أصحابه رضی اللَّه عنهم.

ومنها: قوله تعالی: فالذّین آمنوا بهِ؛ أی بمحمّد صلی الله علیه و آله و سلم وعزّروهُ؛ أی وقّروه ونصروهُ؛ بذلوا أنفسهم فی نصرته وأموالهم واتَّبعوا النّورَ الذی أُنزلَ معه وهو القرآن أُولئک هُم المفلحونَ؛ أیالفائزون؛ حصر الفلاح فیهم.

فهذه الآیات موجبة لتوقیره وتعظیمه وتبجیله وتعریف قدره عند ربّه.

ومنها: قوله تعالی: من یطع الرَّسولَ فقد أطاعَ اللَّهَ.

قال عمر رضی الله عنه بعد وفاة رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم- أثناء کلام طویل-: بأبی أنت وأمّی یارسول اللَّه، لقد بلغ من فضیلتک عند اللَّه أن جعل اللَّه- عزّ وجلّ- طاعتک طاعته.

وقال جعفر الصادق معناه: «من عرفک بالنبوّة والرسالة فقد عرفنی بالربوبیّة والأُلوهیّة».

وقیل: «بطاعتک یصل العبد الی الحقّ، وبمخالفتک یقطع عنه». وقیل غیر ذلک.

ومن أحسنها: «من ألزم نفسه طاعته وصحّح الاقتداء به، أوصله الی مقامات الأنبیاء والصدّیقین والشهداء؛ ألا تری قوله تعالی: ومن یطع اللَّه والرّسول فأولئک مع الذّین أنعمَ اللَّه علیهم من النبیّین والصِّدِّیقین والشهداءِ الآیة.

ومنها:- وهو أبلغ مّما تقدم- قوله تعالی: إنّ الذّین یُبایعونک؛ أی یامحمّد

ص: ۱۳۴

إنّما يبايعونَ اللَّهَ نفى سبحانه وتعالى الواسطة فى المبالغة، وقد تنبّه لذلك أرباب المعانى والقلوب، العارفون بمراتبه صلى الله عليه و آله و سلم وما وهبه اللَّه تعالى من سنىّ الأوصاف التى لا تليق بغيره، ولا يقدر على حملها إلّاهو، قالوا: إنّ البشريّة فى نبيّه صلى الله عليه و آله و سلم عارية وإضافة، دون الحقيقة» (۱) وهو كلام حكيم منوَّر القلب.

وقال بعضهم: لم يُظهر الحقُّ- سبحانه وتعالى- مقامَ الجمع على أحد بالتصريح إلّا على أخصّ نَسَمة وأشرفها، وهو المصطفى، فقال: إنّ الذين يبايعونك إنّما يبايعونَ اللَّه.

ومنها: قوله تعالى: ورَفعنا لك ذكركَ قال ابن عبّاس رضى اللَّه عنهما «المراد الأذان والإقامة والتشهّد والخطبة على المنابر، فلو أنّ عبداً عبد اللَّه وصدّقه فى كلّ شىء ولم يشهد أنّ محمداً رسول اللَّه، لم يسمع منه ولم ينتفع بشىء، وكان كافراً».

وفى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه:(أنّ النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية، فقال: قال اللَّه- عزّ وجلّ- إذا ذُكرتُ ذُكِر معى).

وقال قتادة رضى الله عنه: «رفع اللَّه ذكره فى الدنيا والآخرة».

وقيل: رفع ذكره بأخذ الميثاق على النبيّين، وألزمهم الإيمان به والإقرار به.

وقيل: ورفعنا لكَ ذِكركَ ليعرف المذنبون قدر رتبتك لدىّ ليتوسّلوا بك الىّ، فلا أردّ أحداً عن مسألته، فأُعطيه إيّاها إمّا عاجلًا وإمّا آجلًا، ولا أُخيب من

۱- قوله عارية: «وإضافة دون الحقيقة» لفظ «إضافه» بالضمير هو «إضافة» بالتاء، ومعنى هذا الكلام غامض، وكأنّ قائليه يريدون أن يقولوا: إنّ حقيقته صلى الله عليه و آله و سلم مَلَكية وإن كانت صورته بشريّة، وهو معنًى يكون مدحاً إن سُلِّم أنّ حقيقة الملكية أفضل من حقيقة البشريّة، وليس لنا قسم آخر يُراد إلحاقه صلى الله عليه و آله و سلم به إلّاالإلهية، ولا يتصوّر أن يكون مراداً للقائلين، فليعلم. انتهى مصحّحه.

ص: ۱۳۵

توّسل بک وإن کان کافراً.

ألا ترى قوله تعالى: وکانوا من قبلُ یستفتحون على الّذین کفروا وسیأتی الکلام على هذه الآیة. وقیل غیر ذلک.

ولمّا هاجر النبیّ صلى الله علیه و آله و سلم الى المدینة قیل: بکت مکّة لفقده بدموع الحرقة على الخدّ، وقالت: وا أسفاه على من أُنزل علیه: لا أُقسمُ بهذا البلدِ وهو مکّة لحلولک فیه.

ومن جعل «لا» أصلیة، فالمعنى: لا أُقسمُ بهذا البلدِ وأنت حالّ فیه، بل أُقسم بک وبحیاتک وهذا یدلّ على عُلُوّ قدره عند ربّه، ورفعته التی لم یُفزْ بها غیره.

وفی حدیث عائشة رضی اللَّه عنها:(أنّ جبریل- علیه الصلاة والسلام- قال:

قلبتُ مشارق الأرض ومغاربها، فلم أرَ رجلًا أفضل من محمّد صلى الله علیه و آله و سلم).

وقال ابن عبّاس رضی اللَّه عنهما- من روایة أبی الجوزاء رضی الله عنه-: «ما خلق اللَّه ولا ذرأ ولا برأ نفساً أکرم على اللَّه من محمّد صلى الله علیه و آله و سلم، ولا- رأیت اللَّه- عزّ وجلّ- أقسم بحیاة أحد إلّابحیاته، فقال: لَعمرُک إنّهم لَفی سکرتِهم یعمهونَ، والعمه فی البصیرة والعمى فی البصر».

وفی روایة عطاء عن ابن عبّاس رضی اللَّه عنهما: «المعنى: وعیشک یا محمّد إنّهم لفی سکرتهم یعمهون».

وقال بعضهم: أقسم بحیاة محمّد لأنّ حیاته کانت به، وهو فی قبضة الحقّ وبساط القرب وشرف الانبساط، ومقام الاتّفاق الذی لا یقوم به غیره، فبحیاتک یکون القسم، فإنّ الکلّ زاغوا وما زغتَ، وما لوا وما ملتَ؛ حتّى برأناک ونزّلناک منزلة ما نالها غیرک، ولا ینالها أحد سواک.

وقیل: المعنى وحیاتک التی خصصت بها بین الخلق، فحیوا بالأرواح، وحییت بنا.

ص: ۱۳۶

ولهذا تتمّة مهمّة ذكرتها فی المولد يتعين الوقوف عليها.

وقيل: أقسم اللَّه- عزّوجلّ- فی الأزل بحياته؛ ليظهر شرفه وعُلُوّ قدره ودُنُوّ منزلته عنده؛ ليتوسّل المتوسّلون به إليه قبل بروزه إلى الوجود، وفی حياته وبعد وفاته وفی عرصات القيامة.

ولهذا وغيره لم يزل أهل الايمان يتوسّلون به فی حياته وبعد وفاته من غير نكير.

التوسل بالنبی قبل مولده

وكان أهل الكتاب لهم علم من ذلك، فكانوا يتوسّلون به قبل وجوده، فيُستجاب لهم، كما قال اللَّه تعالى: وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا.

وقال ابن عبّاس رضی اللَّه عنهما: «كانت أهل خيبر تقاتل غطفان، كلّما التقوا هزمت غطفانُ يهود، فعاذت يهود بهذا الدعاء: «اللّهمّ إنّا نسألك بحقّ النبیّ الذی وعدتنا أن تخرجه لنا آخر الزمان إلّانصرتنا عليهم»، فكانوا إذا التقوا ودعوا بهذا الدعاء هزمت يهودُ غطفان».

ويهود غير منصرف للعلميّة والتأنيث، علم على (۱) قبيلة- فلمّا بُعث النبیّ صلى الله عليه و آله و سلم كفروا به، فأنزل اللَّه عزّوجلّ: وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا...؛ أی يدعون بك يا محمّد إلى قوله: فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ.

وإذا كان عزّوجلّ يستجيب لأعدائه بالتوسّل به صلى الله عليه و آله و سلم إليه سبحانه، مع

۱- هی أُمّة موسى عليه وعلى نبيّنا الصلاة والسلام. انتهى.

ص: ۱۳۷

علمه- عزّوجلّ- بأنّهم يكفرون به ويؤذونه، ولا يتّبعون النور الـذى أُنزل معه قبل وجوده وبروزه إلى الوجود وإرساله رحمـة للعالمين، فكيف لا يستجيب لأحبّائه إذا توسّلوا به بعد وجوده- عليه الصلاة والسلام- وبعثته رحمة للعالمين؟!

وإذا كان رحمة للعالمين، فكيف لا يتوسّل ولا يتشفّع به؟!

المنكر للتوسل: أسوأ من اليهود

ومن أنكر التوسّل به والتشـفّع به بعـد موته وأنّ حرمته زالت بموته، فقـد أعلم الناس ونادى على نفسه أنّه أسوأ حالًا من اليهود، الـذين يتوسّلون به قبل بروزه إلى الوجود، وأنّ فى قلبه نزغة هى أخبث النزغات.

توسل أبى البشر آدم بالنبى ليغفر له

وهذا آدم عليه السلام توسّل به، كما هو مشهور، ورواه غير واحد من الأئمة.

منهم الحـاكم فى «مسـتدركه على الصـحيحين» من حـديث عمر رضـى الله عنه، قـال: قـال رسول اللّه صـلى الله عليه و آله و سـلم:(لمّا اقترف آدم الخطيئة قال: يا ربّ بحقّ محمّد لمّا (۱) غفرتَ لى.

فقال اللّه: يا آدم وكيف عرفت محمّداً ولم أخلقه؟ قال: يا ربّ لأنّك لمّا خلقتَنى بيدك ونفختَ فىَّ من روحك، رفعتُ رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبـاً: لا إله إلّا اللّه محمّـد رسول اللّه، فعرفت أنك لم تضف إلى اسـمك إلّاأحبّ الخلق إليك. فقال: يا آدم إنّه لأحبّ الخلق إلىّ، وإذ سألتنى بحقّه فقد غفرتُ لك، ولولا محمّد لما خلقتُك) (۲).

۱- أى: «إلّا» انتهى.

۲- المستدرك على الصحيحين للحاكم ۲/ ۶۱۵.

ص: ۱۳۸

قال الحاكم: صحيح الإسناد (۱)، ورواه الطبرانى، وزاد:(وهو آخر الأنبياء من ذُرّيّتك).

ورواه الحاكم أيضاً من حديث ابن عبّاس رضى اللّه عنهما بزيادة بلفظ:

(أوحى اللّه إلى عيسى: يا عيسى آمن بمحمّد، ومُرْ من أدركه من أُمّتك أن يؤمنوا به، فلولا محمّد ما خلقتُ آدم، ولولا محمّد ما خلقتُ الجنّة والنار. ولقد خلقتُ العرش على الماء فاضطرب، فكتبتُ عليه لا إله إلّااللّه محمّد رسول اللّه فسكن) قال الحاكم فى «مستدركه»: هذا صحيح الإسناد، ولم يخرجاه (۲)؛ يعنى البخارى ومسلم.

فهذا الإمام الحافظ قد كفانا المؤنة وصحّح الحديث، وقد رواه غير واحد من الحفّاظ وأئمة الحديث بألفاظ:

منهم أبو محمّد مكّى، وأبو الليث السمرقندى وغيرهما:(أنّ آدم عليه السلام عند اقترافه قال: اللّهمّ بحقّ محمّد عليك اغفر لى خطيئتى).

ويروى نفيل:(فقال اللّه: من أين عرفت محمّداً؟ قال: رأيت فى كلّ موضع من الجنّة مكتوباً: لا إله إلّااللّه محمّد رسول اللّه).

ويروى:(محمّد عبدى ورسولى،

۱- لا التفات بعد هذا التصحيح من الحاكم- وهو الحاكم- إلى طعن طاعن فى هذا الحديث، وقد رأينا من يطعن فيه وفى أمثاله من الأحاديث التى يصحّحها الحاكم، وهى دالّة على سُموّ شرفه- عليه الصلاة والسلام- وعُلوّ منزلته عند ربّه، كأنّ هذا الطاعن أُوذى ممّن يستخفّون بشأنه- عليه الصلاة والسلام- فصدر منه ذلك الطعن؛ طاعة لشعوره وهو لا يشعر أو يشعر، وكأنّ هذه المسألة- مسألة عِظَم حُرمته صلى الله عليه و آله و سلم ورفعة شأنه- موضع خلاف بيننا وبين هؤلاء الناس، ونحن لا نسلّم هذا الخلاف إلّابعد أن نسمع من هذه الشِّرْذِمة: أنّ كلام اللّه تعالى مطعون فى صدقه أيضاً، فإذا قالوها سكتنا عنهم، ويكونون بذلك أراحوا واستراحوا، وحسبنا اللّه ونعم الوكيل. انتهى مصحّحه.

۲- المستدرك على الصحيحين للحاكم ۲/ ۶۱۵.

ص: ۱۳۹

فعلمت أنّه أكرم خلقك عليك، فتاب اللّه عليه وغفر له).

وفى روايـة الحافظ الآجرى:(فقال آدم: لمّا خلقتنى رفعتُ رأسـى إلى عرشك، فإذا فيه مكتوب: لا إله إلّااللّه محمّد رسول اللّه، فعلمت أنّه ليس أحـد أعظم قدراً عندك ممّن جعلتَ اسـمه مع اسـمك، فأوحى اللّه إليه: وعزّتى وجلالى إنّه لآخر النبيّين من ذُرّيّتك، ولولاه ما خلقتُك. قال: وكان آدم عليه السلام يكنّى: أبا محمّد).

بدا مجدُهُ من قبلِ نشأةِ آدمٍ وأسماؤهُ فى العرشِ من قبلُ تكتبُ (۱)

وعن ابن عبّاس رضى اللّه عنهما فى قوله تعالى: وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما قال:

«لوح من ذهب فيه مكتوب:

عجباً لمن أيقن بالقدر كيف ينصب؟!

عجباً لمن أيقن بالنار كيف يضحك؟!

عجباً لمن رأى الدنيا وتقلّبها بأهلها كيف يطمئنّ إليها؟!

أنا اللّه لا إله إلّاأنا محمّد عبدى ورسولى».

وعن ابن عبّاس رضى اللّه عنهما أيضاً قال: «على باب الجنّة مكتوب: إنّى أنا اللّه لا إله إلّاأنا محمّد رسول اللّه، ولا اعذّب من قالها».

وذكر السـميطارى: أنّه شاهـد فى بعض بلاـد خراسـان مولوداً ولـد وعلى جبينه مكتوب: لاـ إله إلّااللّه محمّـد رسول اللّه، وذلـك بقلم القدرة.

وذكر الأخباريّون: أنّ ببلاد الهند ورداً أحمر مكتوباً (۲) عليه بالأبيض: لا إله إلّا اللّه محمد رسول اللّه.

۱- أى كُتبتْ، والتعبير بالمضارع بحكاية الحال الماضية. انتهى.

۲- يتعيّن نصب لفظ مكتوب» لأنّه وصف لمنصوب. انتهى مصحّحه.

ص: ۱۴۰

وفی بعض البوادی حیوان مکتوب علی شِقّه الأیمن: لا إله إلّااللَّه، وعلی شِقّه الأیسر: محمّد رسول اللَّه، وذلک بقلم القدرة، وهو مرئیّ ظاهر لکلّ من له بصر، وذکر غیر ذلک.

فسیّد الأوّلین والآخرین عظیم عند ربه، نوّه بذکره فی الأزل وفی الکون العُلوی والسُّفلی؛ لیعلم أنّه الفاضل الکامل، وأنّه أعظم الوسائل.

مناظرة المنصور العباسی و مالک إمام المذهب

قال أبو حمید: ناظر أبو جعفر أمیر المؤمنین مالکاً فی مسجد رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم فقال له مالک: لا ترفع صوتک فی هذا المسجد.

فإنّ اللَّه- عزّوجلّ- أدّب أقواماً، فقال: لَاتَرْفَعُوا أَصْوَاتَکُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِیِّ الآیة.

ومدح قوماً، فقال: إِنَّ الَّذِینَ یَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ الآیة.

وذمّ قوماً، فقال: إِنَّ الَّذِینَ یُنَادُونَکَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَکْثَرُهُمْ لَا یَعْقِلُونَ.

وإنّ حرمته میّتاً کحرمته حیّاً.

فاستکان لها أبو جعفر، فقال: یا أبا عبداللَّه أستقبل القبلة وأدعو، أم أستقبل رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم؟

فقال: ولِمَ تصرف وجهک عنه، وهو وسیلتک ووسیلة أبیک آدم إلی یوم القیامة؟!

بل استقبله واستشفع به، فیشفعه (۱) اللَّه عزّوجلّ.

۱- قوله: «فیشفعک اللَّه» السیاق یقتضی أن یکون «فیشفعک» فیشفعه؛ لأنّه هو صلی الله علیه و آله و سلم الشافع. انتهی مصحّحه.

ص: ۱۴۱

قال اللّه تعالی: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوک فَاسْتَغْفَرُوا اللّه وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللّهَ تَوَّاباً رَحِیماً.

القصّة معروفة مشهورة، ذکرها غیر واحد من المتقدّمین والمتأخّرین بأسانید جیّدة.

ومنهم القاضی عیاض فی أشهر کتبه، وهو «الشفاء» المشهور بالحسن والإتقان فی سائر البلدان.

ومنهم الإمام العلّامة هبة اللّه فی کتابه «توثیق عری الإیمان».

وقد اشتملت هذه القصّة علی تعظیمه بعد وفاته، وأنّه حیّ، والتوسّل به، وحسن الأدب فی حقّه کما فی حیاته، وأنّ فی الآیة الحثّ علی المجیء إلیه لیستغفر له، ولیس فی الآیة تعرّض لزمن حیاته دون الوفاة، وکذا فهم العلماء مالک وغیره- کما یأتی إن شاء اللّه تعالی- العموم، واستحبّوا لمن زار قبره المکرّم أن یتلو هذه الآیة، ویستغفر ویتوسّل به ویطلب الشفاعة منه.

ولم نعلم أنّ أحداً طعن فی قصّة مالک إلّاهذا الفاجر ابن تیمیّة، فإنّه لمّا کان فیها هذه الفضائل طعن فیها، وقال: إنها مکذوبة.

فإنّ هذا شأنه؛ إذا وجد شیئاً لا مساس فیه لما ابتدعه قال به وقبله ولم یطعن، وإذا وجد شیئاً علی خلاف بدعته طعن فیه وإن اتُّفق علی صحّته، ولا یذکر شیئاً علی خلاف هواه وإن اتُّفق علی صحّته.

لا سیّما إذا کان آیة أو خبراً عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم.

ولو أمکنه أن یطعن فی الآیة لفعل (۱)، إلّاأنّه تعرّض لتخصیصها، وهی دعوی

۱- هذا المبدأ علیه أتباعه المفتونون به إلی الیوم، یعرف ذلک منهم من یلتفت لحالهم أدنی‌التفاتة، فالواجب علی المسلم أن لا یعتبر تصحیحهم لحدیث ولا تضعیفهم، فإنّهم للهوی یصحّحون ویضعّفون، واحب أن یأخذ القارىء قول الإمام الحصنی: ولو أمکنه أن یطعن فی الآیة لفعل علی ظاهره، دون أن یظنّ فیه أیّ مبالغة، ولیطّرده فی أتباعه کذلک. انتهی مصحِّحه.

ص: ۱۴۲

مجرّدة وعلی خلاف ما فهمه العلماء من العموم ووقع العمل علیه.

فمن ادّعی التخصیص بغیر دلیل سمعیّ ظاهر الدلالة قطعنا بخطئه واتّهمناه، واستدللنا بذلک علی استنقاصه سیّد الأوّلین والآخرین الکامل المکمّل، وهو کفر بإجماع أهل التوحید.

الأعرابی المتوسّل بجاه النبی

وذکر القرطبی فی تفسیره عن علی رضی الله عنه أنّه قال:(قدم علینا أعرابیّ بعدما دُفن رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه بثلاثة أیام، فرمی بنفسه علی قبر رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم، وحثا علی رأسه من ترابه، ثمّ قال: قلتَ یا رسول اللَّه فسمعنا قولک، ووعیت عن اللَّه- عزّوجلّ- فوعینا عنک، وکان فیما أنزل علیک: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوکَ الآیة، وقد ظلمتُ نفسی وجئتُک تستغفر لی، فنودی من القبر: قد غفر لک).

وهذه القصّة غیر قصّة العتبی.

قصّة العتبی فی التوسل بالنبی صلی الله علیه و آله و سلم

وقصّة العتبی مشهورة فی غایة الشهرة، وقد ذکرها الأئمّة فی کتبهم قدیماً وحدیثاً.

وکُنیة العتبی أبو عبد الرحمن، واسمه محمد بن عبداللَّه بن عمرو، وکان من أفصح الناس، وصاحب أخبار، وصاحب روایة للآثار، حدّث عن أبیه وعن

ص: ۱۴۳

ابن عُيينة.

وقد ذكر قصّته خلائق.

منهم ابن عساكر فى تاريخه.

وذكرها الحافظ أبو الفرج بن الجوزى فى كتابه مثير الغرام الساكن، وذكرها غيرهما بالأسانيد.

وممّن ذكرها الإمام العلّامة- المتّفق على علمه ودينه وزهده- أبو زكريّا يحيى ابن شرف النووى- قدّس اللّه روحه ونوّر ضريحه- قال فى زيارة قبره: إنّها من أعظم القُربات وأفضل المساعى والطلبات، وإذا انتهى إلى قبره وقف قبالة وجهه، ويتشفّع به إلى ربّه، ومن أحسن ما يقوله ما حكاه أصحابنا عن العتبى مستحسنين له.

قال العتبى: كنتُ جالساً عند قبر رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم، فجاء أعرابىّ فقال: السلام عليك يا رسول اللّه، سمعتُ اللّه يقول: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّه تَوَّاباً رَحِيماً وقد جئتُك مستغفراً من ذنبى، مستشفعاً بك إلى ربّى، ثمّ أنشأ يقول:

يا خيرَ مَنْ دُفِنَتْ بالقاعِ أعظُمُهُ فَطابَ مِن طِيبِهِنَّ القاعُ والأُكَمُ

نفسى الفداءُ لقبرٍ أنتَ ساكِنُهُ فيه العفافُ وفيه الجودُ والكَرَمُ

قال: فرأيت النبى صلى الله عليه و آله و سلم فى النوم، فقال: «يا عتبى، إلحق الأعرابى، فبشّره بأنّ اللّه قد غفر له» (۱).

وفى رواية غيره: «إلحق الأعرابى، وبشّره بأنّ اللّه قد غفر له بشفاعتى»، فخرجت فلم أجده.

۱- وهكذا رواه الماوردى فى الأحكام السلطانية ص ۱۰۹- ۱۱۰، الباب العاشر.

ص: ۱۴۴

فأفاد النووى- قدّس اللَّه تعالى روحه-: أنّ أصحاب الشافعى استحسنوا ذلك، وحكوه عن غيرهم.

وأفاد شمول الآية للحياة والممات، وأنّه يستشفع به إلى ربّه، وساق ذلك مساق ما هو متّفق عليه، ولم يتعرّض لذلك أحد بالإنكار فى سائر الأعصار، وزدتُ أنا هذين البيتين لعلّى يلحقنى نصيب من شفاعته، وهما:

وفيه كلُّ خصالِ الحمدِ قد جُمعتْ فَلذْ بِهِ فَهْوَ مَن تُرعى لَهُ الذِّمَمُ

وَهْوَ الذى يُرتجى فى كلّ مُعضلةٍ وفى المعادِ إذا زلّتْ بنا القَدم

قصة الراهبين مع أبى عبدالله الفرحى

وقال السيّد الجليل قطّاع المفاوز على قدم التوكّل أبو عبد اللَّه الفرحى- قدّس اللَّه سرّه ونوّر ضريحه-: خرجتُ مرّة أُريد الزيارة من طريق المفاوز، فوقعت فى التيه، فكنت فيه أيّاماً حتّى أشرفتُ على الموت، فبينا أنا كذلك إذ رأيت راهبين (۱) يسيران، كأنّهما خرجا من مكان قريب يريدان دَيْراً لهما بالقرب، فملتُ إليهما، فقلت: أين تريدان؟ فقالا: لا ندرى. فقلت: من أين أتيتما؟ قالا: لا ندرى. قلت:

۱- هذه القصّة فيها خبىء خفى ولعل هذين الراهبين ملكان أو وليّان للَّه‌تعالى أرسلهما سبحانه‌وتعالى للشيخ الفرحى لينتقل بحالهما من حاله إلى حال أرفع، كما ترى فى القصّة، وأمّا أنّهما راهبان حقيقة، فهذا ما لا يستطيع العقل فهمه، فإنّا لا نعرف أنّ اللَّه تعالى يُكرم إلّاالصادقين من عباده المؤمنين، فكيف يُكرم بهذه الكرامة الباهرة- التى تضمنتها القصّة- راهبين كافرين بسيّد أنبيائه، وهما يعرفانه حقّ المعرفة كما ترى من كلامهما؟! فاعرف ذلك. انتهى مصحّحه.

ص: ۱۴۵

فتـدريان أين أنتمـا؟ قالاـ: نعم، نحن فى ملكه، وبين يـديه. قال: فأقبلتُ على نفسـى أقول لها: راهبان يتحقّقان بالتوكّل دونك. ثمّ قلت لهما: أتأذنان لى فى الصحبة؟

فقالا: ذاك إليك.

قال: فسـرنا، فلمّا أمسـينا قاما إلى صلاتهما، وقمت إلى صلاة المغرب، فتيمّمتُ وصلّيتُ، فنظرا إلىّ وقد تيمّمتُ فضحكا منّى، فلمّا فرغا من صلاتهما، بحث أحدهما بيده فإذا بالماء قد ظهر، وإذا بطعام موضوع.

قال: فبقيت أتعجّب من ذلك، فقالا لى: اُدنُ وكُلْ واشرب.

قال: فأكلنا وتوضّأتُ، وقاما فلم يزالا فى صـلاتهما وأنا فى صـلاتى حتّى أصبحنا، فصلّيت الفجر، ثمّ قاما يسيران، فسرنا (۱) إلى الليل، فلمّا أمسينا تقدّم الآخر، فصلّى بصاحبه، ثمّ دعا بدعوات ثمّ بحث الأرض بيده، فنبع الماء وظهر الطعام، فقالا لى: ادنُ وكُلْ واشرب.

قال: فأكلنا وشـربنا وتوضّأت للصـلاة، ثم نضب الماء وغار حتّى لم يبقَ له أثر، فلمّا كانت الليلـة الثالثـة، قالا لى: يا مسـلم الليلة نوبتك.

قال: فاستحييت من قولهما، ودخلنى من ذلك همّ شديد.

قـال: فقلت فى نفسـى: اللّهمّ إنّى أعلم أنّ ذنوبى لم تـدعْ لى عنـدك جاهاً، ولكنّى أسألك وأتوسّل إليك بنبيّك المكرّم عنـدك: ألّا تفضحنى عندهما، ولا تُشمت (۲) بنبيّك محمد صلى الله عليه و آله و سلم.

قال: فإذا بعين خرّارة وطعام كثير، قال: فأكلنا وشربنا، ولم نزل على حالنا حتّى بلغت النوبة الثانية إلىّ، قال: فدعوتُ بمثل ما دعوتُ أوّلًا وتوسّلتُ بالنبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، فإذا بطعام اثنين وشراب اثنين دون ما كان. قال: فتقاصرتُ إلى

۱- قوله فساروا بالجمع بل الصحيح: «فسرنا»، كما هو مقتضى السياق.

۲- اى تشمتهما. انتهى مصحّحه.

ص: ۱۴۶

نفسى، وقصرتُ عن الأكل، وأريتهما أنّى آكل، فسكتا عنّى.

قال: وسرنا حتّى بلغت النوبة الثالثة إلىّ، قال: فدعوتُ بمثل ما دعوتُ وتوسّلتُ بالنبى صلى الله عليه و آله و سلم وقوى حالى فى أمر صدق توسّلى به صلى الله عليه و آله و سلم علمى بأنّه وسيلة من قبلى، فإذا بطعام اثنين والماء مثل ذلك، فغمّنى ذلك.

قال: فغلبتنى عيناى من الهمّ خوف الشماتة بديننا، فإذا بقائل يقول لى:

أدركناك بالإيثار الذى خصصنا به محمّداً من دون الأنبياء (۱)، وهى علامته وكرامة أُمّته من بعده إلى يوم القيامة.

قال: فلمّا بلغت النوبة الرابعة إلىّ قالا: بلى يا مسلم ما هذا؛ إنّا نرى فى طعامك وشرابك نقصاً، فلم ذلك؟ فقلت لهما: أو لم تعلما أنّ هذا خصّ اللَّه- عزّوجلّ- به نبيّه محمّداً صلى الله عليه و آله و سلم من بين الأنبياء، وخصّ أُمّته به من بعده، إنّ اللَّه- عزّوجلّ- يريد لى الإيثار، وقد آثرتكما اقتداء بنبى الكرم، فقالا: صدقت.

ثمّ قالا: نشهد أنْ لا إله إلّااللَّه، ونشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحقّ، صدقت فى قولك، هذا خلق محمّد فى كتب اللَّه المنزلة؛ إنّ اللَّه- عزّوجلّ- خصّ محمّداً وأُمّته بذلك. قال: وحسن إسلامهما.

قال: ثم قلت لهما فى الجمعة والجماعة، فقالا: ذلك واجب؟ قلت: نعم فاسألا اللَّه تعالى وادعوا أن يخرجنا من هذا التيه إلى أقرب الأماكن.

فدعوا، فبينا نحن نسير إذا نحن ببيوت قد أشرفنا عليها، فإذا هى بيت المقدس.

قال: فدخلنا المسجد، وأقمنا أياماً، ثمّ تجدّد لى سفر ففارقتهما، وقد مُلىء قلبى

۱- أى خصصنا به أُمّة محمّد صلى الله عليه و آله و سلم من دون أُمم الأنبياء، وإلّا فالأنبياء جميعاً أوائل أهل الإيثارصلىّ اللَّه وسلّم عليهم جميعاً. انتهى صحّحه.

ص: ۱۴۷

فرحاً بإسلامهما وبصحّة (۱) توسّلى بالنبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، وأنّه غياث الصادقين فى محبته (۲)، السالكين خلفه فى صدقه مع ربّه وصحّة الاعتماد عليه.

فانظر- أرشدك اللَّه- كيف بصدق التوسّل به جرى ما جرى؛ من حصول الكرامات من نبع الماء والطعام والاهتداء، فله عزّوجلّ المنّة على ما أكرمنا به، وعلى ما وهب الأولياء من آثار معجزاته.

قصة سفيان الثورى مع المصلى على النبى فى الطواف

وقال سفيان الثورى: بينا أن أطوف بالبيت؛ وإذا أنا برجل يرفع قدماً ولا يضع اخرى، إلّاوهو يصلّى على النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، فقلت: يا هذا إنّك تركت التسبيح والتهليل، وأقبلت على الصلاة على النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، فهل عندك من هذا شىء، فقال لى: من أنت؟ قلت: سفيان الثورى، فقال: لولا أنّك غريب فى أهل زمانك، لما أخبرتك عن حالى، ولما أطلعتك على سرّى.

ثم قال: خرجت أنا ووالدى حاجّين إلى بيت اللَّه الحرام وإلى زيارة سيّد الأنام، حتى إذا كنّا ببعض المنازل مرض والدى، فعالجته فمات، فلمّا مات اسودّ وجهه فغلبتنى عيناى من الهمّ، فنمت فإذا أنا برجل لم أرَ أجمل منه ولا أنظف ثوباً ولا أطيب رائحة منه، فدنا من والدى وكشف عن وجهه وأمرّ يده عليه، فعاد وجهه أبيض، ثمّ ذهب، فتعلّقت بثوبه وقلت له: يا عبداللَّه من أنت الذى منّ اللَّه- عزّوجلّ- علىّ وعلى والدى بك فى دار الغربة؛ لكشف هذه الكُربة؟

فقال: أو ما تعرفنى أنا محمّد بن عبداللَّه صاحب القرآن. أمّا إنّ والدك كان مسرفاً على نفسه، ولكنّه كان يُكثر الصلاة علىّ، فلمّا نزل به ما نزل استغاث بى،

۱- قوله: «وبصحبة توسّلى» صوابه: وبصحّة توسّلى... الخ. انتهى مصحّحه.

۲- قوله: «فى محبّة السالكين»، صوابه: فى محبّته، السالكين... إلى آخره. انتهى مصحّحه.

ص: ۱۴۸

وأنا غياث من أكثر الصلاة عليّ.

قال: فانتبهت فإذا وجه والدى قد ابيضّ.

فانظر أرشدك اللّه- عزّوجلّ- إلى جلاله وتعظيمه فى حياته وبعد وفاته، كيف أغاث من استغاث به حتّى فى البرزخ؟!

فهو- عليه الصلاة والسلام- كما قيل:

غياثٌ لملهوفٍ وغيثٌ لآملٍ وعينٌ لظمآنٍ وعونٌ لذى جَهْدِ

له فَوق إيوان الزمانِ مراتبٌ يُقصِّر عنها الأنبياء أولو المجْدِ

فموسى وعيسى والخليلُ ونوحُهمْ يقولون طه منتهى السُّؤْلِ والقصدِ

حوى قَصَباتِ السَّبْق من قبلِ آدمٍ وكهلًا وأيامَ الطفولة فى المهدِ

بِهِ طيبةٌ طابتْ ولاغرْو قدْ حوتْ طبيبَ قلوب الخلق من مرض الجَحْدِ

فلولاهُ ما اشْتاقتْ قُلوبٌ نفيسة إلى الشيح من أرض الحِجازِ ولا الرَّنْدِ

ولا ذُكِرتْ سَلْعٌ ونعمانُ والنّقا ولا استُعذِبتْ من شدّةِ الوجدِ للوجدِ

فسبحان من قرّبه وبجّله وعظّمه ومنحه وتوّجَهُ خِلَعَ الفضائل، وجعله أعظم ما يُتوَجّه به إليه وأعظم الوسائل:

ص: ۱۴۹

حديث عثمان بن حنيف والضرير المتوسل بالنبى

روى التِّرْمذى من حديث عثمان بن حنيف رضى الله عنه:(أنّ رجلًا ضرير البصر جاء إلى النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، فقال: ادعُ لى أن يعافينى اللَّه. فقال: إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت، فهو خير لك. قال: فادعه، فأمر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم أن يتوضّأ فيُحسن الوضوء، ويدعو بهذا الدعاء: «اللّهمّ إنّى أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك محمّد نبىّ الرحمة، يا محمّد إنى توجّهت بك إلى ربّى فى حاجتى هذه لتُقضى، اللهمّ شفّعه فىّ) (۱).

قال الترمذى: حديث حسن صحيح، ورواه النسائى بنحوه.

ورواه البيهقى، وزاد محمّد بن يونس فى روايته:(فقام وقد أبصر).

وفى رواية شعبة:(فَفَعل فبرىء).

وفى رواية:(يا محمّد إنّى توجّهتُ بك إلى ربّى فتجلى عن بصرى، اللّهمّ شفّعه فىّ وشفّعنى فى نفسى).

قال عثمان رضى الله عنه: فواللَّه ما انصرفنا ولا طال الحديث، حتّى جاء الرجل كأنّه لم يكن به ضرّ (۲).

فهذا حديث صحيح صريح فى التوسّل والاستجابة، وليس فيه: أنّه فعل ذلك فى حضرة النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، وليس فيه التقييد بزمن حياته، ولا أنّه خاصّ بذلك الرجل.

بل إطلاقه- عليه الصلاة والسلام- يدلّ على أنّ هذا التوسّل مستمرّ بعد وفاته

۱- سنن الترمذى كتاب الدعوات رقم ۳۵۰۲، ورواه ابن ماجه فى سننه كتاب إقامة الصلاة رقم ۱۳۷۵، ومسند أحمد، الشاميين رقم ۱۶۶۰۴.

۲- وفى رواية: أنّه قال- عليه الصلاة والسلام-:(وإن كان لك حاجة فمثل ذلك). انتهى مستنسخ النسخة.

ص: ۱۵۰

شفقة عليهم؛ لأنّه بهم رؤوف رحيم، ولاحتياجهم إلى ذلك فى حاجاتهم.

ويدلّ على ذلك أنّ عثمان بن حنيف- راوى الحديث- هو وغيره فهموا التعميم، ولهذا استعمله هو وغيره بعد وفاته صلى الله عليه و آله و سلم.

كما رواه الطبرانى فى «معجمه الكبير» فى ترجمة عثمان بن حنيف رضى الله عنه، ذكره فى أوّل الجزء الخمسين من مسنده:(أنّ رجلًا كان يختلف إلى عثمان بن عفّان رضى الله عنه فى حاجة له، فكان عثمان لا ينظر فى حاجته، فلقى الرجل عثمان بن حنيف، وشكا (۱) إليه ذلك.

فقال له عثمان بن حنيف رضى الله عنه: «إئتِ الميضاة فتوضّأ، ثمّ ائتِ المسجد فصلّ ركعتين، ثمّ قل: «اللّهمّ إنّى أسألك وأتوجّه إليك بنبيّنا محمّد نبيّ الرحمة يا محمّد إنّى أتوجّه إلى ربّى» فُتقضى (۲) حاجتك، وتذكر حاجتك. ورُحْ حتّى أروح معك.

فذهب الرجل، وفعل ما قاله عثمان بن حنيف له، ثمّ إنّ الرجل أتى إلى باب عثمان بن عفان رضى الله عنه، فجاء البوّاب، فأخذ بيده حتّى أدخله إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه، فأجلسه معه على الطُّنْفُسة، فقال: حاجتك، فأعلمه بها، فقضاها، وقال ما ذكرت حاجتك إلّاالساعة. ثمّ قال عثمان بن عفان رضى الله عنه: ما كان لك من حاجة فاذكرها.

ثمّ إنّ الرجل خرج من عند عثمان ابن عفانّ رضى الله عنه، فلقى عثمان بن حنيف رضى الله عنه، فقال له: جزاك اللّه خيراً؛ أما إنّه ما كان ينظر فى حاجتى، ولا يلتفت إلىّ حتّى كلّمته فىّ.

فقال عثمان بن حنيف رضى الله عنه: ما كلّمتهُ، ولكن شهدت رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم أتاه ضرير، فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له عليه الصلاة والسلام: أوَ تصبر؟ فقال يا

۱- قوله: «وشكى» يُرسم «شكا» بالألف. انتهى مصحّحه.

۲- قوله: «فتُقضى حاجتك» ليس بظاهر معناه، وقد راجعتُ الأصل، فرأيت النصّ:(فتقضى حاجتى، وتذكر حاجتك... إلى آخره، وبه يتّضح المعنى. انتهى مصحِّحه.

ص: ۱۵۱

رسول اللّه إنّه ليس لى قائد، وقد شقّ علىّ.

فقال عليه الصلاة والسلام: إئتِ الميضاة فتوضّأ، ثمّ صلّ ركعتين، ثمّ ادعُ بهذه الدعوات.

قال عثمان بن حنيف: فواللّه ما انصرفنا ولا طال الزمان؛ حتّى دخل علينا الرجل كأنّه لم يكن به ضرّ قطّ).

ورواه البيهقى بإسناده من طريقين.

فهذا من أوضح الأدلّة على الاحتجاج للتوسّل بالنبىّ صلى الله عليه و آله و سلم بعد وفاته كحياته، لفعل (۱) عثمان راوى الحديث ولفعل غيره فى حياته وبعد وفاته، وهم أعلم باللّه- عزّوجلّ- وبرسوله صلى الله عليه و آله و سلم من غيرهم، وإليهم تُرجع الأُمور فى القضايا التى شاهدوها فى زمنه وأخذوها عنه رضى اللّه عنهم (۲).

ومن عدل عن ذلك فقد أفهم عن نفسه إنّ عنده ضغينة لهم.

وهذا من الواضحات الجليّات التى لا يُنكرها إلّاصاحب دسيسة؛ أعاذنا اللّه تعالى من ذلك.

حرمة الرسول بعد وفاته

وقال القاضى عيّاض فى أشهر كتبه المتداولة بين الناس وهو «الشفاء»:

«الفصل الثانى: فى حرمته بعد وفاته، وأمّا حرمة (۳) النبى صلى الله عليه و آله و سلم بعد وفاته وتوقيره وتعظيمه، فهو لازم كما كان فى حياته.

وذلك عند ذكره- عليه الصلاة والسلام- وذكر حديثه وسُنّته وسماع اسمه

۱- الكاف فى قوله: «كعفل» لام. انتهى مصحّحه.

۲- قوله: «وأخذوها عنهم رضى الله عنه» تؤخّر فيه «عنهم»، وتقدّم «عنه» كما هو ظاهر. انتهى مصحّحه.

۳- الصواب: «وحرمة» ويُحذف الضمير. انتهى مصحّحه.

ص: ۱۵۲

وسیرته ومعاملة آله، وتعظیم أهل بیته وصحابته واجب علی کلّ مؤمن متی ذُکر عنده.

أن یخضع ویخشع ویتوقّر ویسکن من حرکته، فیأخذ فی هیبته وإجلاله بما کان یأخذ بعینه (۱) لو کان بین یدیه، ویتأدّب بما أدّبنا اللَّه- عزّوجلّ- به».

وقال ابن حبیب: إذا دخلت مسجد رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم فصلّ رکعتین بین الروضة والمنبر، ثمّ اقصد القبر من تجاه القبلة وادْنُ منه، ثمّ سلّم علی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم وأثْنِ علیه وعلیک السکینة والوقار، فإنّه- علیه الصلاة والسلام- مسلّم (۲)، ویعلم وقوفک بین یدیه.

وکذا قاله غیره من الأئمة.

قال الحافظ أبو الفرج بن الجوزی: أمّا زیارة قبره- علیه الصلاة والسلام- فأحضرْ قلبک لتعظیمه ولهیبته، وأحضر عظیم رتبته فی قلبک، واعلم أنّه عالم بحضورک وتسلیمک.

وهذا الذی قالاه معروف مشهور؛ لأنّ الصحابة رضی اللَّه عنهم کانوا یغضّون أصواتهم فی مسجده تعظیماً له وتوقیراً.

وفی البخاری: «أنّ عمر رضی الله عنه قال لرجلین من أهل الطائف: لو کُنتما من أهل البلد لأوجعتُکُما؛ ترفعان أصواتکما فی مسجد رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم».

وکانت عائشة رضی اللَّه عنها إذا سمعت دقّ الوتد أو المسمار یضرب فی بعض الدور المطنبة لمسجد رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم ترسل الیهم لا تؤذوا رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم.

وروی أنّ علیّاً رضی الله عنه لمّا عمل مِصْراعی داره، ما عملهما إلّابالمناصع

۱- قوله: «بما کان یأخذ بعینه» عبارة الشفاء: «بما کان یأخذ به نفسه...» إلی آخره. انتهی محصّحه.

۲- قوله: «مسلِّم» بتشدید اللام؛ أی رادّ علیک السلام الذی تسلّمه علیه. انتهی مصحِّحه.

ص: ۱۵۳

توقّياً لذلك.

والآثار بمثل ذلك كثيرة جدّاً.

وكذا الأخبار بعرض الصلاة عليه.

وكذا بردّ (۱) روحه الشريفة العظيمة الكريمة على اللّه- عزّوجلّ- وإذا ثبت ردّها ثبتت حياته، وإذا ثبتت حياته وجب القطع بصحّة التوسّل به.

فضيلة الصلاة على النبى

فى ابن ماجة من حديث أبى الدرداء رضى الله عنه:(أنّه- عليه الصلاة والسلام- قال:

أكثروا علىّ من الصلاة يوم الجمعة، فإنّه مشهود تشهده الملائكة، وإنّ أحداً لن يصلّى علىّ إلّاعُرضت علىّ صلاته حتّى يفر منها.

قال: قلت: يا رسول اللّه وبعد الموت؟ قال: وبعد الموت، فإنّ اللّه حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، فنبىّ اللّه حىّ يُرزق) (۲).

وقال عليه الصلاة والسلام:(إنّ للّه‌ملائكة سيّاحين فى الأرض يبلّغونى عن أُمّتى السلام) رواه النسائى، وكذا الحاكم من حديث ابن مسعود رضى الله عنه وصُحّح (۳).

وقال عليه الصلاة والسلام:(ما من أحد يسلّم علىّ إلّاردّ اللّه علىّ روحى

۱- سيأتى للمصنّف شرح الحديث الوارد بذلك، وتوضيحه: أنّ الوجود لا يخلو لحظة من‌مسلّم عليه صلى الله عليه و آله و سلم، فهو دائماً يرد السلام، فهو دائماً مردودة عليه روحه، فهو دائماً حىّ. وشرح الحديث: بأنّ جملة «ردّ ...» إلى آخره حالية تحلّ إشكال الحديث كذلك، وهناك أحاديث اخرى كثيرة تدلّ على حياة الأنبياء فى البرزخ بلا قيد ولا شرط، وهو أمر مُجمَع عليه بنين علماء الأُمّة، فليعلم. انتهى مصحّحه.

۲- سنن ابن ماجة فى الجنائز رقم ۱۶۲۷.

۳- سنن النسائى/ السهو رقم ۱۲۶۵، والمستدرك على الصحيحين للحاكم ۲/ ۴۲۱، ورواه أحمد فى المسند رقم ۳۴۸۴ و ۴۰۹۳، وسنن الدارمى فى كتاب الرقاق رقم ۲۶۵۵.

ص: ۱۵۴

حتّى أردّ عليه السلام) رواه أبو داود من حديث أبى هريرة رضى الله عنه بإسناد جيّد (۱).

قال البيهقى: معنى قوله: إلّا ردّ اللَّه عليه روحه: إلّاوقد ردّ اللَّه عليه روحه لأجل سلام من سلّم عليه، واستمرّت فى جسده؛ لأنّه لا يبلى، ولا تفتر صلاة المصلّين عليه، ولا سلام المسلّمين عليه من الثقلين وغيرهم.

وقال عليه الصلاة والسلام:(لا تجعلوا قبرى عيداً، وصلّوا علىّ، فإنّ صلاتكم تبلغنى حيثما (۲) كنتم) رواه أبو داود من حديث أبى هريرة رضى الله عنه بإسناد صحيح (۳).

والأحاديث فى ذلك كثيرة.

وقال كعب الأحبار: «ما من فجر يطلع إلّاأَنزل اللَّه سبعين ألفاً من الملائكة؛ حتّى يحفّوا بالقبر الشريف، يضربون بأجنحتهم، ويصلّون على النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم؛ حتّى إذا أمسوا عرجوا، وهبط مثلهم، وصنعوا مثل ذلك؛ حتّى إذا انشقّت الأرض خرج رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم فى سبعين ألفاً من الملائكة يوقّرونه».

وروى الحافظ أبو القاسم الأصبهانى صاحب الترغيب، عن أنس رضى الله عنه، قال:

قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم:(من صلّى علىّ فى يوم جمعة وليلة جمعة مائة من الصلاة، قضى اللَّه له مائة حاجة، سبعين من حوائج الآخرة، وثلاثين من حوائج الدنيا، ووكل بذلك ملكاً يُدخله على قبرى، كما يُدخل عليكم الهدايا؛ إنّ علمى بذلك بعد موتى كعلمى به فى حياتى).

وقال السيّد الجليل سلمان بن شحيم- قدّس اللَّه تعالى روحه-: «رأيت النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم فى المنام، فقلت: يا رسول اللَّه الذين يأتونك ويسلّمون عليك تفقه

۱- سنن أبى داود المناسك رقم ۱۷۴۵، ورواه أحمد فى المسند رقم ۱۰۳۹۵.

۲- توصل «حيث» ب «ما». انتهى مصحّحه.

۳- سنن أبى داود المناسك رقم ۱۷۴۶، ورواه أحمد فى المسند رقم ۸۴۴۹.

ص: ۱۵۵

سلامهم؟ قال: نعم وأردّ عليهم».

وقال بعض المشايخ: رأيت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم فى النوم، فقلت: استغفر لى، فأعرض عنّى. فقلت: يا رسول اللَّه استغفر لى، فأعرض عنّى. فقلت: يا رسول اللَّه إنّ سفيان بن عيينة حدّثنا عن محمّد بن المنكدر، عن جابر أنّك لم تُسأل شيئاً قطّ فقلت: لا، فأقبل علىّ، وقال: غفر اللَّه لك.

وكان موهوب ابن الجزرى الشافعى إماماً عالماً فاضلًا مفيداً، يشارك فى سائر العلوم مشاركة جيّدة، مع العقل والدين والإيثار لأهل الضرورات، وكان يتّجر فكثر ماله، فأراد الصاحب أن يتعرّض له، قال: فخفت منه خوفاً شديداً، فلمّا كان فى بعض الليالى رأيت النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم فى المنام، فقلت: يا رسول اللَّه إنى خائف من الصاحب، فقال: لا تخف منه وقل له بعلامة كذا وكذا: لا تُؤْذِنى، فرسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم يشفع فىّ.

فلمّا انتبهتُ صليتُ الصبح، وركبت دابّتى، ووقفتُ للصاحب فى الطريق وهو طالع إلى القلعة، قال: فسلمتُ عليه وصحبته، وقلت له: معى رسالة، فقال: ممّن؟

قلت: من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم، وقال: قل له بعلامة كذا وكذا، فقال: صدقت أنت، وصدق رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم، وأنا اليوم أتشفّع بك إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم، فالمولى يرسم والمملوك يمتثل، ومهما كان لك من الحوائج تعرّفنى بها، أو لأحد أصحابك.

وطلب بعض أمراء الجور رجلًا أراد منه شيئاً، وهدّده تهديداً، وتوعّده (۱) بالعقوبات، فقال له الرجل: أنا أتشفّع إليك بسيّد الأوّلين والآخرين أن لا تتعرّض لى بما لا يحلّ لك، فلم يلتفت إليه، ولا إلى قوله، فلمّا أصبح الصباح طلب الأمير الرجل، وأكرمه بعد أن فكّ عنه الطلب، فقيل للأمير فى ذلك، فقال رأيت البارحة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم، فنهرنى، وهمّ بى، وقال: يتشفّع بى إليك ولا تقبل، فواللَّه لا يتشفّع

۱- الصواب حذف ألف «تواعده». انتهى. مصحّحه.

ص: ۱۵۶

به أحد إلىّ إلّاقبلتُ شفاعته، فإنى خفتُ على نفسى الهلكة.

وعن منصور بن عبداللَّه قال: سمعت ابن الجلاء يقول: دخلت مدينة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم وبى شىء من الفاقة، فتقدّمت إلى القبر، فسلّمتُ على النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم وعلى ضجيعيه أبى بكر رضى الله عنه وعمر رضى الله عنه، ثمّ قلت: يا رسول اللَّه بى فاقة وأنا ضيفك الليلة، ثمّ تنحّيت ونمتُ بين القبر والمنبر، وإذا أنا بالنبىّ صلى الله عليه و آله و سلم قد جاءنى، ودفع إلىّ رغيف خبز، فأكلتُ نصفه، فانتهبتُ فإذا فى يدى نصف الرغيف.

ومن تتمّة القصّة: أن قال ابن الجلاء: إنّه دام بعد ذلك أربعين سنة، لم يحتج فيها إلى طعام الدنيا ولا إلى شرابها ببركة تلك الأكلة.

قال العلماء: الظاهر أنّ ما أتاه به النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم من طعام الجنّة؛ لأنّ من أكل من طعام الجنّة استغنى عن طعام الدنيا.

قالوا: وهذه رؤيا حقّ؛ لما جاء فى الحديث:

(من رآنى فى المنام فقد رآنى حقّاً، فإنّ الشيطان لا يتمثّل بى).

ومثل هذا وقع للسيّد الجليل أبى الخير الأقطع، صاحب المقامات الباهرة والكرامات الظاهرة، قال: دخلت مدينة النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم وأنا بفاقة، فأقمت خمسة أيام ما ذقت ذواقاً، فتقدّمت إلى القبر، وسلّمتُ على النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم وعلى أبى بكر وعمر رضى اللَّه عنهما، وقلت: أنا ضيفك يا رسول اللَّه، وتنحّيت ونمت خلف القبر، فرأيت فى المنام النبى صلى الله عليه و آله و سلم وأبا بكر عن يمينه وعمر عن شماله، وعلىّ بين يديه، فحرّكنى، وقال: قم قد جاء رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم، قال: فقمت إليه وقبّلتُ بين عينيه، فدفع إلىّ رغيفاً فأكلتُ نصفه، وانتبهتُ وإذا فى يدى نصف رغيف.

قال العلماء: وإنّما يبقى نصف الرغيف ليتحقّق الأمر، وتظهر الكرامة لأولياء اللَّه- عزّوجلّ- الذين سلكوا سبيله بصدق صلى الله عليه و آله و سلم، ورضى عنهم.

وقال ابن أبى ذرعة الصوفى: سافرتُ مع أبى ومع ابن حنيف إلى مكّة، وأصابتنا فاقة شديدة، فدخلنا مدينة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم، وبتنا طاوين، وكنت دون

ص: ۱۵۷

البالغ فكنت أجيء إلى أبى غير دفعة، وأقول: أنا جائع، فأتى والدى إلى الحضرة الشريفة، وقال: يا رسول اللَّه أنا ضيفك الليلة، وجلس على المراقبة، فلمّا كان بعد ساعة رفع رأسه وكان يبكى ساعة ويضحك ساعة، فقال: رأيت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم فوضع فى يدى دراهم، وفتح يده فإذا فيها دراهم، وبارك اللَّه تعالى لنا فيها إلى أن رجعنا [إلى] شيراز، فكنّا نُنفق منها.

وقال السيّد الجليل أبو العبّاس أحمد الصوفى: تهت فى البادية ثلاثة أشهر، وانسلخ جلدى، فدخلت المدينة الشريفة، وجئت إلى النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، فسلّمتُ عليه وعلى صاحبيه، ثمّ نمتُ، فرأيتُ النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم فى النوم، فقال لى: يا أحمد جئت.

قلت: نعم، وأنا جائع، وأنا فى ضيافتك. فقال لى: افتح كفّيك (۱)، ففتحهما فملأهما دراهم، فانتبهتُ وهما مملوءتان، فقمت فاشتريت لى خبزاً حوارى وفالوذجاً وأكلتُ، وقمتُ للوقت ودخلت البادية.

ومثل هذا كثير، وهؤلاء رجال صدقٍ يقطعون البوادى على قدم التوكّل، لا يعتمدون على غيره، ولا يأنسون بسواه، وتقع لهم ألطاف وأُمور عجيبة.

وقد ذكرت جملة من ذلك فى كتاب(تنبيه السالك) فى فصل الكرامات، فمن أراد أن يقف على الغرائب والعجائب، فلينظر فيه وفيما وهب لهم من الكرامات على مقدار طبقاتهم.

وخرج بعض المشايخ يريد الزيارة فى جماعة من الفقراء، قال: فلمّا وصلنا إلى شِعْب النَّعام أدركنا العطش، وبيننا وبين المدينة مراحل، قال: فاستغثتُ بالنبىّ صلى الله عليه و آله و سلم وصليتُ ونمتُ، فرأيتُ النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، فقال: مرحباً بك وبجماعتك، وضمّنى إلى صدره وقبّلنى، فقبّلتُ يده الكريمة وقدمه، وقلت له: يا سيّدى يا

۱- الصواب «ففتحتهما». انتهى. مصحّحه.

ص: ۱۵۸

رسول اللّه أنا خائف على أصحابنا من العطش، فقال: لا تخف فإنّا نسيّر لكم الماء، وها نحن نُعدّ لكم الضيافة، ورأيته- عليه الصلاة والسلام- مشمّر الأكمام، فجاءنا السيل فى تلك الليلة، وملأنا ركابنا، فلمّا قدمنا المدينة تلقّانا أحد خدّام النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، فقال لى: سلّم على النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، وأشتهى أن أجتمع بك حتى أُوفى لك بما أوصانى به النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، فلمّا سلّمتُ على النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم جئتُ إليه، فقال لغلامه: جىء بالمائدة فجاء بها وعليها كلّ خير يراد، فالتفت إلىّ، وقال: كُلْ هذا الذى أوصانى به النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم وقال لى: هذه ضيافتك يا فلان، وسمّانى باسمى.

وما يبعد أنّ النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم سمّاه.

كما وقع لغيره من الخدّام من تسمية أقوام قصدوا زيارته من أرض شاسعة، كما أخبرنى به الشيخ محمّد فولاذ فى المسجد الأقصى، وكان من الأخيار وكثير التعبّد والإيثار، وحجّ ماشياً ما يزيد على ثلاثين حجّة، قال لى: إذا جاء أوان الحجّ هاج بى الشوق إلى تلك المعاهد الشريفة وإلى زيارة سيّد الأوّلين والآخرين، فآخذ زادى على ظهرى وإناء الماء، وأسير مع الناس إلى جانب، وأنا مشغول بحالى، قال: فاتّفق أنّى تحدّثتُ أنا وخادم الضريح، وتذاكرنا مواهب اللّه- عزّوجلّ- لسيّدنا رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم، فقال لى: يا شيخ محمّد إنّى أخدم هذا الضريح ستّين سنة، فاتفق فى يوم حارّ أنّى سمعتُ السرير يصرصر، وسمعتُ صوته- عليه الصلاة والسلام- وهو يقول: «وعليك السلام يا فلان بن فلان»، وسمّى ثمانية أنفس.

قال الخادم: فقمتُ من ساعتى، وجئتُ الضريح وإذا بشخص كاد أن يموت من الهزال، جالس عند الضريح، فسلّمتُ عليه، وقلتُ: ما اسمك؟ فقال: فلان بن فلان لأحد الثمانية، فقلت له: وأين رفقتك؟ فقال: عند باب الحرم قد عجزوا عن الوصول إلى الضريح. قال: فعمدت إليهم فإذا ثلاثة من الذين سمّاهم

ص: ۱۵۹

رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم، فقلتُ: وأين بقيّتكم؟ فقالوا: فارقناهم من وراء تلك الأكمة.

قال: فأخذت ما أحملهم عليه وماءً وشيئاً من الأكل، ومضيت، فوجدتُ الأربعة قد قضوا فجهّزتهم.

ثمّ رجعتُ إلى الأربعة، فأخذتُهم وأكرمتُهم وسألتُهم: من أين ورودهم؟

فقالوا: من بلاد شاسعة تعاقدنا وتعاهدنا على زيارة سيّدنا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم، وأن لا نرجع عن ذلك ولو ذهبت أنفسنا، فأمّا نحن فقد أعطانا اللَّه- عزّوجلّ- مرادنا، وأمّا إخواننا الذين ماتوا عند الأكمة، فنرجو أنّ اللَّه- عزّوجلّ- لا يخيّب مسعاهم.

ووقع مثل ذلك كثيراً جداً وقد دوّنه الأئمّة، كابن أبى الدنيا وغيره، وعقدوا له باب الاستغاثة بالنبيّ صلى الله عليه و آله و سلم، وخرّجوه بأسانيدهم على اختلاف الوقائع، وفيها ما يتعلّق بالصدّيق والفاروق رضى اللَّه عنهما (۱).

ابن تيمية فى قبره

قلت: وبلغنى أنّه لما دُفن ابن تيميّة، قال شخص بعد ثلاثة أيام: قد اضطرب القول فى هذا الرجل، واللَّه لأنظرنّ ما صنع اللَّه به، قال: فحفر قبره، فوجد على صدره ثُعباناً عظيماً هاله منظره.

فكان الرجل يحذّر الناس من اعتقاده، ويُعلمهم بما رأى، واللَّه أعلم.

۱- لا ريب فى أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أكرم الناس على اللَّه تعالى، ولأجل عينه تكرم الآف العيون، من آله الكرام والمؤمنين من صحابته العظام، وسائر محبّيه وزواره، وذلك ثابت بالنص واليقين، من دون حاجةٍ إلى الركون إلى الأطياف والمنامات والأحاديث التى لا خطم لها ولا أزمّة، فهى لا يحتجّ بها على ما فى كثير منها من الخرافات والخزعبلات والمخالفات للشرع الأقدس، فكيف للنسب إلى ساحة الرسول المقدّس. وهى بمقدار صفحات من الأصل، فلا حاجة إلى ذكرها، فلتراجع فى الأصل ليعرف صحّة ما ذكرناه.

ص: ۱۶۰

الاستغاثة بالنبی علی طول التأریخ ولو من بعید

والمراد أن الاستغاثة بالنبیّ صلی الله علیه و آله و سلم واللواذ بقبره مع الاستعانة به، کثیر علی اختلاف الحاجات، وقد عقد الأئمة لذلک باباً، وقالوا: إنّ استعانة من لاذ بقبره وشکا إلیه فقره وضرّه، توجب کشف ذلک الضرّ بإذن اللّه تعالی:

فمن ذلک ما أخبر به یوسف بن علی قال: رکبتنی دیون، فقصدت الخروج من المدینة الشریفة، ثمّ جئتُ إلی قبر رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم، فاستغثت به فی وفاء دینی، فنمتُ فرأیتُ النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، فأشار علیّ بالجلوس، فاستیقظت فقیّض اللّه لی من وفی دینی.

وقال بعضهم: بلغنا أنّ أبا اللیث یقرأ القرآن فی المصحف؛ من غیر تعلّم سبق منه للکتابة، وکنت أنکر ذلک، قال: فدخلتُ مکّة فوجدته یقرأ القرآن فی المصحف قراءة محمودة، فسألته عن سبب ذلک؟ فقال: کنتُ فی مدینة النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم أبیتُ فی المسجد وأخلو به فتشفّعتُ إلی اللّه- عزّوجلّ- بالنبیّ صلی الله علیه و آله و سلم أن یسهّل علیّ القرآن فی المصحف. قال: وجلست فأخذتنی سِنَة، فرأیتُ النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم وهو یقول:

قد أجاب اللّه تعالی دعاءک، فافتح المصحف واقرأ القرآن. قال: فلما أصبح الصباح فتحتُ المصحف، وشرعتُ أقرأ القرآن، فکنت أقرأ فی المصحف، فربّما تتصحّف علیّ الآیة، فأنام فأری من یقول لی: الآیة التی تصفّحتْ علیک کذا وکذا.

وذکر ابن عساکر فی تاریخه: أنّ أبا القاسم ابن ثابت البغدادی، رأی رجلًا بمدینة النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، أذّن الصبح عند قبر رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم، فقال فیه: الصلاة خیر من النوم، فجاءه خادم من خَدَم المسجد فلطمه حین سمع ذلک منه، فبکی واستغاث بالنبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، وقال: یا رسول فی حضرتک یُفعل بی هذا الفعل. قال: فضربه الفالج فی الحال، وحُمل إلی داره، فمکث ثلاثة أیّام، ثمّ مات.

وقال أبو العبّاس أحمد المقری الضریر التونسی: جعتُ بالمدینة ثلاثة أیام،

ص: ۱۶۱

فجئتُ إلی القبر، وقلت: یا رسول اللَّه جعتُ. ثمّ نمتُ ضعیفاً، فلکزتنی جاریة برجلها، فقمت إلیها، فقالت: اعزم، فقمتُ معها إلی دارها فقدّمت لی خُبز بُرّ وتمراً وسمناً، وقالت: کُل أبا العباس، فقد أمرنی بهذا جدّی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم.

قال أَبو العبّاس: فرجعتُ إلی بلادی، فرأیت النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم بمصر بعد رجوعی، فقال: أَوحشتْنا یا أبا العبّاس قراءتُک، وکنت أُکثر قراءة القرآن عند ضریحه. قال الباجی: کم قرأت من ختمة عند قبره؟ قلت: ألف ختمة.

وقال أبو العباس أحمد اللواتی: کانت عندنا بمدینة فاس امرأة، وکانت إذا أصابها أَمر أو شیء یفزعها، جعلت یدها علی عینیها، واستغاثت بالنبیّ صلی الله علیه و آله و سلم فتغاث، فلمّا تُوفِّیت قال لی قریب لها: رأیتها فی النوم فقلت لها: یا عمّة أرأیتِ المَلَکینِ الفتّانین؟ فقالت: نعم جاءآنی، فعندما رأیتُهما جعلتُ یدی علی عینی، وقلت: یا محمّد، فلمّا نزعت یدی عن وجهی فلم أرَهما.

وهذه القصّة ذکرها بعض الأئمة وعزاها، وقال: إنّ الاستغاثة من بعید به صلی الله علیه و آله و سلم کالاستغاثة به عند قبره صلی الله علیه و آله و سلم.

وساق عن أبی إسحاق الحسین، قال: کنت بین مدینة النبی صلی الله علیه و آله و سلم والشام، فضلّ لنا جمل، قال: وکان قد بلغنی عن الشیخ أحمد الرفاعی أنه قال: من کانت له حاجة فلیستقبل عبّادان نحو قبری، ویمشی سبع خطوات ویستغیث، فإنّ حاجته تقضی. قال: فلمّا استقبلتُ عبّادان، وقصدتُ الاستغاثة، هتف بی هاتف: أما تستحی من رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم وتستغیث بغیره. قال: فتحوّلتُ نحو المدینة، فقلتُ:

یا سیّدی یا رسول اللَّه أنا مستغیث بک. قال: فواللَّه ما استکملتُ ذلک إلّاوالجمّال یقول لی: هذا الجمل قد وجدناه.

وسافر بعض الفقراء لقصد زیارة قبر النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، فتاه فی الطریق، فاستغاث بالنبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، فظهرت له قبّة العبّاس رضی الله عنه وبینه وبین الموضع المذکور یومان

ص: ۱۶۲

أو نحوهما.

وقال أبو الحجاج يوسف بن على- قدّس اللّه روحه-: خرجتُ من مكّة متوجّهاً إلى المدينة على طريق المشاة، فتهتُ فى الطريق، فاستغثتُ بالنبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، فإذا بامرأة آتية من نحو المدينة، وهى تشير إلى أن أمشى على أثرها، فلم أزل أمشى على أثرها إلى أن وصلتُ المدينة.

وقال: سمعتُ أبا عبداللّه بن سالم يقول: رأيت فى المنام كأنّى فى بحر النيل، وإذا بتمساح يريد أن يقفز علىّ فخفت منه، وإذا بشخص وقع لى أنّه النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، فقال لى: إذا كنت فى شدّة فقل: أنا مستغيث بك يا رسول اللّه، فكنت أفعل فأُغاث، فأراد بعض الإخوان السفر لزيارته صلى الله عليه و آله و سلم، وكان ضريراً، فحكيتُ له الرؤيا، وقلت له: إذا كنت فى شدّة فقل: أنا مستغيث بك يا رسول اللّه، فسافر فى تلك الأيام، فجاء إلى رابُغ وهى غزيرة الماء، وكان له خادم قد ذهب فى طلب الماء، قال: فبقيت القربة فى يدى وأنا فى شدة من طلب الماء، فذكرت ما قلت لى، وقلت:

أنا مستغيث بك يا رسول اللّه، فبقيت أنا كذلك، وإذا بصوت يقول: زِمَّ قِرْبتك، وسمعت صرير الماء فى القِربة إلى أن امتلأت، ولم أعلم من أين أتى القائل.

وقال: سمعت محمد السلاوى يقول: لمّا ودّعتُ النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، قلت: يا حبيبى يا محمّد يا سيّد الكونين أَنا أَدخل الصحراء، فإذا أخذتنى شدّة أدعو اللّه وأتوسّل بك.

وجئت إلى أبى بكر وعمر رضى اللّه عنهما، وقلت لهما كذلك. قال: فبقيت فى البرية سبعة أيّام، ووقعت فى جُبّ وفيه ماء، فبقيت فيه من أوّل النهار إلى ما بعد الظهر، فلم يبقَ إلّاالموت. قال: ففكرتُ ما كنتُ قلتُ عند النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، وقلت: يا حبيبى يا محمّد الذى كنت قلت لك وقلت كذلك لأبى بكر وعمر رضى اللّه عنهما، قال فكأنى بمن حوّلنى وطلعت ببركة النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم وصاحبيه رضى اللّه عنهما.

وقال: أخبرنى رجل من مدينة طرابلس، قال: كنّا جائين من الاسكندرية فى

ص: ۱۶۳

مرکب، فهاج البحر علینا، وأشرفنا علی التلف والهلاک، فقمت إلی الناس، فقلت:

استغیثوا بالنبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، فإنّه غیاث، فقلنا جمیعاً: الغیاث یا رسول اللَّه، العفو یا رسول اللَّه، العفو یا رسول اللَّه، جانین مذنبین استجرنا بک، أجرنا یا محمّد الحبیب، یا حبیبنا یا شفیعنا یا ولیّنا.

فنام رجل من أهل المرکب مشهور بالخیر والصلاح، فرأی النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، وأخذ بیده، فقال: انجُ وأبشروا بالسلامة، فلمّا أفاق الرجل بشّرنا برؤیاه، فلمّا أصبح رجع البحر کالزیت، وکأنّه عقد بیضة، وجئنا إلی طرابلس سالمین ببرکته صلی الله علیه و آله و سلم.

وقال: سمعت أبا الحسن العسقلانی یقول: رکبنا البحر فی طلب جدّة، فهاج علینا، ورمینا ما معنا فیه، وأشرفنا علی التلف، فجعلنا نستغیث بالنبی صلی الله علیه و آله و سلم ونحن نقول: وامحمّداه، وکان معنا رجل مغربیّ صالح، فقال لنا: ارفقوا حجّاج إنّکم سالمون، رأیت النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم فی المنام، فقلت: یا رسول اللَّه أُمّتک یستغیثون بک قال:

فالتفت إلی أبی بکر الصدّیق رضی الله عنه، وقال: یا أبا بکر أَنجدهم. قال: فکأنّ عینی تری أبا بکر رضی الله عنه وقد خاض البحر، وأدخل یده فی مقدّم الحلَق، ولم یزل یجذبها حتّی دخل بها البرّ، فلِمَ تستغیثون فأنتم سالمون؟ فسلمنا ولم نَرَ بعد هذا إلّاخیراً، ودخلنا البرّ سالمین. والحمد للَّه رب العالمین.

ولمّا قُتل الحسین بن علیّ رضی اللَّه عنهما- یوم عاشوراء أوّل سنة إحدی وستّین، وهو یومئذٍ ابن أربع وخمسین سنة ونصف شهر- ووقع ما وقع من السبی وحمل النساء والصبیان، فلمّا مرّوا بالقتلی صاحت زینب بنت علی رضی اللَّه عنهما مستغیثة بالنبیّ صلی الله علیه و آله و سلم:(یا محمّداه هذا حسین بالعراء، مُزمّل بالدماء، مقطّع الأعضاء، یا محمّداه).

فلمّا کان سنة ثلاث وأربعمائة أخذ أهل الکوفة جدریّ عظیم، ثمّ عمی منهم ألف وخمسمائة کلّهم من نسل من حضر قتل الحسین رضی الله عنه. وهذا من أعجب ما سُمع.

ص: ۱۶۴

واعلم- أرشدک اللّه عزّوجلّ- أنّ مثل هذه القضایا کثیرة جدّاً، وقد ذکر جماعة من الأئمة من ذلک أُموراً عدیدة عجیبة، منهم البیهقی، ومنهم أبو محمّد عبدالحقّ، ومنهم بعض الأئمّة، وذکر جملة مستکثرة فی ذلک، وعقد أبواباً فی الاستغاثات بالنبی صلی الله علیه و آله و سلم.

ومنها باب فی أصحاب العاهات، وذکر منها جملة مستکثرة من ذلک؛ علی اختلاف أنواع العاهات، کالعمی والصداع والزمانة ووجع البطن وغیر ذلک، وأنّه- علیه الصلاة والسلام- یضع یده الشریفة علی موضع العاهة فتزول ببرکة یده الشریفة، وتشفی وکأنّه ما به وجع قلبه (۱).

ثمّ إنّه مع ذلک قال: ولو تتبّعت هذا الفنّ لحفیت الأقلام، وجفّت المحابر، وفنیت الطُّروس فی تتبّعه والدفاتر.

ثمّ قال: ولقد سألت بعض إخواننا المجتهدین، وکان بمدینة النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم علی التجرید، فقلت: هل استغثتَ بالنبیّ صلی الله علیه و آله و سلم أو لجأت إلیه فی شیء قطّ مدّة إقامتک فی المدینة، فقال: کنتُ أستحی أن أسأله إذ کنت بحضرته صلی الله علیه و آله و سلم.

ثمّ قال: سمعت الفقیه الإمام برهان الدین بن الطیّب المالکی یقول: قال لی من أثق به وکان بمدینة النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، وأنّه أصابه الجوع، فأتی قبر النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، فقال: یا رسول اللّه إنّی جائع، وجلس بالقرب من حجرة النبی صلی الله علیه و آله و سلم، فأتاه رجل من الأشراف، فقال له: قم، فقال: إلی أین؟ فقال: تأکل عندی شیئاً، فقام معه إلی بیته، فقدّم إلیه جَفْنة فیها ثرید ولحم ودهن، فأکل حتّی شبع، وأراد الانصراف، فقال له: کُل وازدد، فلمّا أراد الانصراف قال له: یا أخی الواحد منکم یأتی من البلاد البعیدة، ویقطع المفاوز والقِفار، ویترک الأهل والأوطان، ویقطع البحار،

۱- الصواب: قبله. انتهی. مصحّحه.

ص: ۱۶۵

ویأتی إلی زیارة النبیّ العظیم علی ربّه صلی الله علیه و آله و سلم، وتکون همّته أن یطلب منه کسرة خبز، یا أخی لو طلبت الجنّة، أو المغفرة، أو الرضا، مهما طلبته منه لنلته ببرکة هذا النبی الکریم صلی الله علیه و آله و سلم (۱).

هذا وعدم السؤال یکون للأکابر؛ لما یشاهدون فی الحضرة النبویّة من الإجلالات والکرامات العلویة.

وأنت- أرشدک اللَّه عزّوجلّ إلی الحقّ، وأزاح عنک الباطل- إذا استحضرت بعض ما تقدّم، وعطفت علی قول هذا الزائغ: أنّ المسلمین متّفقون علی أنّ المیّت لا یُسأل ولا یُدعی ولا یُطلب منه؛ سواء کان نبیّاً أو شیخاً أو غیر ذلک.

قطعتَ بفجوره وببهتانه، وأنّه من أخبث الناس طویّة، وأنّه لا اعتقاد له، وهذه عادته بادّعاء الاتّفاق وبالإجماع المقطوع به، کما سیأتی عند ذکر شدّ الرحال وإعمال المطی وفی غیر ذلک.

۱- هذا کلام جلیل جدّاً، فلیتأمّله القاریء، ولا یستکثر علی منزلته صلی الله علیه و آله و سلم عند ربّه إغاثة أیّ ملهوف، فإنّه تعالی یسمع له فی الآخرة فی الشفاعة العظمی التی تشمل کلّ خلق اللَّه کافرهم کمؤمنهم، فیحمده لذلک الأوّلون والآخرون من الخلق، وإذا کان تعالی یُکرمه بذلک فی دار الجزاء- وقد غضب غضباً لم یغضب قبله ولن یغضب بعده مثله- فعدمٌ کلّ ما یُحکی فی هذه الدار [الدنیا] من أنواع إغاثته تعالی للمستغیثین به صلی الله علیه و آله و سلم بالنسبة لذلک المقام المحمود.

ص: ۱۶۶

من أنباء التوسل بقبر النبى و آثاره

وقد تقدّم توسّل آدم عليه السلام بالنبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، وأنّ اللّه قبله بسبب التوسّل، وجعل هذا الزنديق آدم عليه السلام بتوسّله بالنبى صلى الله عليه و آله و سلم ظالماً ضالّاً مشركاً.

وليس وراء ذلك زندقة وكفر.

وروى عن أبى الجوزاء قال: قحط أهل المدينة قحطاً شديداً، فشكوا إلى عائشة رضى اللّه عنها ذلك، فقالت: أُمضوا إلى القبر واجعلوا منه كُوّة إلى السماء؛ حتّى لا يكون بينها وبين السماء شىء.

ففعلوا فمطروا حتّى نبت العشب، وسمنت الإبل حتّى تفتّقت من الشحم، فسُمّى عام التفتّق.

وروى البيهقى بسنده إلى الأعمش، عن ابن صالح، قال: أصاب الناس قَحَطٌ فى زمن عمر رضى الله عنه، فجاء رجل إلى قبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، فقال: يا رسول اللّه هلك الناس، استسقِ لأُمّتك، فأتاه رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم فى المنام، إئتِ عمر فاقرأهُ منّى السلام، وأخبره أنّهم مُسقون، وقل له: عليك الكيس. قال: فأتى الرجل عمر فأخبره، فبكى عمر رضى الله عنه، وقال: يا ربّ ما آلوا إلّاما عجزتُ عنه.

فهذا رجل مبارك قد أتى قبره- عليه الصلاة والسلام- وطلب الاستسقاء منه- عليه الصلاة والسلام- فلو كان ذلك جهلًا وضلالًا وشركاً لمنعه عمر رضى الله عنه، الذى احتجّ الزائغ باستساقه بالعبّاس.

وقد تقدّمت قصّة عثمان بن حنيف، وهى من الأُمور المشهورة.

التفريق فى التوسل بين الحياة والممات، باطل

فسكوت هذا الزائغ- القائل بمسألة الفرق تبعاً لسلالة اليهود- عن هذه الأُمور الواضحة الجلية المشهورة، والعدول إلى الفجور من أقوى الأدلّة على

ص: ۱۶۷

خُبث طويّته.

ومثل هذا لا يحلّ لأحد تقليده فيما يقوله، ولا ينظر فى كلامه إلّامن يكون أهلًا لمعرفة دسائس أهل البدع والزيغ، وإلّا هلك وأهلك.

فتنبّه لذلك، وخذ حِذْرك، وإلّا هلكتَ من حيثُ ظننت السلامة.

وقوله: ولا يطلب منه شيء؛ سواء كان نبيّاً، أو شيخاً، أو غير ذلك.

قال الأئمّة الأعلام النقّاد أصحاب الأذهان الجيّدة: هذا منه كفر؛ لما فيه من حطّ رتبة الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- والإجماع على أنّ من غمط من نبيّ فى شيء من الأشياء كفر.

وأيضاً ففيه ترفيع غير الأنبياء إلى رُتبة الأنبياء وإلحاقهم بهم، وفيه إشارة بعيدة ترجع إلى اعتقاد الشيعة (۱)، وهو أنّ النبوّة عندهم تُكتسب بالرياضات وتهذيب النفس، وكتبهم (۲) مشحونة بهذا، وهذا من فجورهم، فإنّ النبوّة إنّما هى من اللّه- عزّوجلّ- فمن نبّأه اللّه- عزّوجلّ- فهو النبيّ، ومن أرسله فهو الرسول اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ.

فتوى ابن تيمية بأن زيارة النبى فى قبره معصية

ومن الأُمور المنتقدة عليه: قوله: زيارة قبر النبيّ وقبور الأنبياء معصية بالإجماع مقطوع بها.

وهذا ثابت عنه أنّه قاله، وثبت ذلك على يد القاضى جلال الدين القزوينى.

۱- هذا ليس اعتقاد الشيعة، وإنّما هو اعتقاد الفلاسفة. هكذا رُؤى على حاشية خطّ الشيخ. انتهى. صاحب الأصل.

۲- كتب الشيعة موفورة ومنتشرة فى البلاد الإسلامية، ولم نعثر على كتاب واحد منهايذكر ذلك.

ص: ۱۶۸

فانظر هذه العبارة ما أعظم الفجور فيها؛ من كون ذلك معصية، ومن ادّعى الإجماع وأنّ ذلك مقطوع به؟

فهذا الزائغ يُطالب بما ادّعاه من إجماع الصحابة رضى اللّه عنهم، وكذا التابعون ومن بعدهم من أئمّة المسلمين إلى حين ادّعائه ذلك.

وما أعتقد أنّ أحداً يتجاسر على مثل ذلك.

مع أنّ الكتب المشهورة، بل والمهجورة، وعمل الناس فى سائر الأعصار على الحثّ على زيارته من جميع الأقطار، فزيارته من أفضل المساعى وأنجح القُرَب إلى ربّ العالمين، وهى سُنّة من سُنن المرسلين، ومجمع عليها عند الموحّدين، ولا يطعن فيها إلّامن فى قلبه مرض المنافقين، ومن هو من أفراخ اليهود وأعداء الدين؛ من المشركين الذين أسفروا فى ذمّ سيّد الأوّلين والآخرين.

ولم تزل هذه الأُمّة المحمّديّة على شدّ الرحال إليه على ممرّ الأزمان، من جميع الأقطار والبلدان، سار فى ذلك الزرافات والوحدان، والعلماء والمشايخ والكهول والشبّان.

حتّى ظهر فى آخر الزمان مبتدع من زنادقة حرّان، لبّس على أشباه الرجال ومن شابههم من سيّئى الأذهان، وزخرف لهم من القول غروراً، كما صنع إمامه الشيطان، فصدّهم بتمويهه عن سبيل أهل الايمان، وأغواهم عن الصراط المستقيم إلى ثنيّات الطريق ومدرجة النيران، فهم برزيّته فى ظلمة الخطأ يعمهون، وعلى منوال بِدْعته يَهْرعون.

فتاوى العلماء باستحباب زيارة القبور

وسأذكر ذلك ماتحقّق بهفجوره وبدعته وتضليل من مشى خلفه وهلكته، وأبيّن ما أظهره من القول الباطل ومارمز إليه وأُوضّحه لكلّ من سمعه ووقف عليه.

ص: ۱۶۹

ثمّ أُردف ذلك بما يدلّ على المنهج من ذلك، فلا يزيغ عنه بعد ذلك إلّاهالك.

قال القاضى عيّاض- فى أشهر كتبه الذى شاع ذكره فى سائر البلاد، وقُرىء فى المجامع والجوامع على رؤوس الأشهاد-:

«فصل فى حكم زيارة قبره- عليه الصلاة والسلام- وفضل من زاره، وكيف يسلّم عليه ويدعو؟ وزيارة قبره سُنّة من سُنن المرسلين، مُجمع عليها، ومرغَّب فيها.

ورُوى عن ابن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم:(من زار قبرى وجبت له شفاعتى).

وعن أنس بن مالك رضى اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم:(من زارنى فى المدينة محتسباً كان فى جوارى، وكنتُ له شفيعاً يوم القيامة).

وفى حديث آخر:(من زارنى بعد موتى فكأنّما زارنى فى حياتى)». هذه ألفاظه بحروفها (۱).

وكذا ذكره الإمام العلّامة هبة اللَّه فى كتاب «توثيق عُرى الإيمان».

فهذا نقل الإجماع على خلاف ما نقله هذا الزائغ الفاجر المبالغ فى فجوره وعزوه إلى السلف. وأمّا غير هذين الإمامين ممّن نقل الندب إلى زيارته فخلق لا يحصون، وسأذكر بعضهم.

استدلال ابن تيمية على أقواله بالباطل

على أنّه ذكر فى فتوى مطوّلة ما يناقض ما ادّعاه من الإجماع والقطع هنا.

وقد ذكرتُ المسألة فى تنبيه السالك، وذكرتُ صورة الفتوى وجوابه، وهذا

۱- كتاب الشفا للقاضى عياض: وقد أسندها بطرق الإمام السبكى فى شفاء السقام، فى الباب الأوّل، فراجعه.

ص: ۱۷۰

جواب مطوّل، وتعرّضت لما فيه من الخلل وسوء الفهم وفجوره فى النقل والعزو.

وها أنا ذا أذكر هنا بعض الجواب، وأبيّن ما فيه من الخطأ وعدم صحّة الاحتجاج بما احتجّ به، كحديث(لا تُشدّ الرحال)، ولا أُدقّق فى الجواب؛ لأنّ قصدى بيان جهله، وأنّه لا حجّة له فى الحديث؛ جرياً على القواعد التى عليها مدار الاستدلال صحّة وبطلاناً.

وأَذكر ما ذكره فى أحاديث الزيارة، وما ادّعاه فيها من الفجور، وما رمز إليه فى تكفير الأئمة الذين رووها.

وأنّه قال قولًا مفترىً لم يسبقه إليه أحد، ولا رمز ولا أشار إليه، وباللّه التوفيق.

فممّا ذكره فى الجواب بلفظ قوله: «وقد يحتجّ بعض من لا يعرف الحديث بالأحاديث المرويّة فى زيارة قبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، كقوله:(من زار قبرى بعد مماتى فكأنّما زارنى فى حياتى) رواه الدارقطنى وابن ماجة».

فانظر- أرشدك اللّه تعالى- كيف جعل هذين الإمامين ممّن لا يعرف الحديث.

وهو من أقبح البهتان.

وقد احتجّ بهذا الحديث خلائق من أئمة الحديث غير هذين الإمامين: منهم القاضى عياض وصاحب «توثيق عرى الإيمان» وأبو الفرج ابن الجوزى فى كتابه(مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن) ذكره فى الباب الذى عقده لزيارة قبر النبى صلى الله عليه و آله و سلم.

ومنهم ابن قدامة ذكره فى كتابه «المُغنى» فى فصل: يُستحبّ زيارة قبر النبى صلى الله عليه و آله و سلم، واستدلّ بحديث ابن عمر من طريق الدارقطنى، ومن طريق سعيد بن منصور، وذكر أيضاً حديث أَبى هريرة رضى الله عنه:(ما من أحد سلّم علىّ عند قبرى).

وقوله: وأمّا ما يذكره بعض الناس من قوله:(من حجّ ولم يزرنى فقد جفانى)

ص: ۱۷۱

فلم يورده أحد من العلماء.

وهذا أيضاً من البهتان البيّن والجهل.

فقد روى هذا الحديث غير واحد من الأئمة بألفاظ متقاربة: منهم الحافظ أبو عبداللّه بن النجّار فى كتابه(الدُّرّة الثمينة)، من حديث علىّ رضى الله عنه.

ومنهم الإمام الحافظ- المتّفق على حفظه وعُلُوّ قدره فى هذا الشأن- أبو سعيد عبد الملك النيسابورى، خرّجه فى كتابه «شرف المصطفى» من حديث علىّ رضى الله عنه قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم:(من زار قبرى بعد موتى فكأنّما زارنى فى حياتى، ومن لم يزُرنى فقد جفانى)، رواه ابن عساكر من طرق.

وقوله: وهو مثل(من زارنى وزار أبى إبراهيم فى عام واحد ضمنتُ له على اللّه الجنة)».

تَبَّهْ، يا من أُشير إليه بالعلم، فى قوله، فإنّه يشير به إلى أنّ الحديث الأول كذب على رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم؛ لأنّه سوّى بينهما، وذكر الحديث الثانى توطئة لقصده الفاسد فى إرادة تجاسره به، والتمويه على العوامّ والضعفاء من الطلبة، وهو شديد الاعتناء بهذا القصد الخبيث فى الكلام على آيات الصفات وأحاديثها.

فليحذر الواقف على كلامه فى آيات المتشابه وأحاديثه غاية الحذر، فإنّ الخطأ فيها كفر، بخلاف غيرها من مسائل الفروع.

وقوله: وقد احتجّ أبو محمد المقدسى على جواز السفر لزيارة قبر النبى صلى الله عليه و آله و سلم وقبور الأنبياء: بأنّ النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم كان يزور قباء، وأجاب عن حديث(لا تشدّ الرحال): بأنّ ذلك محمول على نفى الاستحباب، وأمّا الأوّلون فإنّهم محتجّون بما فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم، أنّه قال: (۱)(إلّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدى) وهذا الحديث اتّفق الأئمّة على صحّته والعمل به.

۱- أوّل الحديث:(لا تُشدّ الرحال)، ثم المذكور هنا. انتهى. مصحِّحه.

ص: ۱۷۲

انظر- بصّرك اللَّه تعالى- ما فى هذا الكلام من الإبهام والتدليس، فإنّه قال:

(وقد احتجّ الشيخ أبو محمد على جواز السفر لزيارة قبر النبى صلى الله عليه و آله و سلم: بأنّ النبىّ كان يزور قباء).

ولم يذكر: «راكباً وماشياً»؛ لأنّ الراكب قد شدّ الرحل، وهو لا غرض له فى ذلك.

وأيضاً فلم يذكر غير الشيخ أبى محمد، وهو يوهم انفراده بذلك، ولم ينفرد كما أذكره من بعد.

وقوله: أجاب- يعنى أبا محمّد- عن حديث(لا تُشدّ الرحال): بأنّ ذلك محمول على نفى الاستحباب.

وهو يوهم: أنّ ذلك لم يقُلهُ إلّاالشيخ أبو محمد، وهو من التدليس الذى هو كثير الاعتناء به، والمكر السيّىء.

قوله: أمّا الأوّلون يعنى القائلين بتحريم السفر؛ وعدم جواز القصر فى سفر المعصية، فإنّهم يحتجّون بما فى الصحيحين عن النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، أنّه قال:(لا تُشدّ الرحال إلّا الى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الاقصى، ومسجدى) هذا، وهذا الحديث اتّفق الأئمة على صحّته والعمل به.

وهو يوهم أنّهم احتجّوا لتحريم (۱) قبور الأنبياء وقبر النبى صلى الله عليه و آله و سلم به.

وهو من التدليس الفاحش، وهو مطالب: بأنّ الأوّلين صرّحوا: بأنّ شدّ الرحال وإعمال المطىّ إلى قبره وقبر الخليل إبراهيم- عليهما الصلاة والسلام- حرام ومعصية، ولا تقصر فيه الصلاة.

وهذا لا يجده، بل الموجود غيره والندب إلى ذلك، كما يأتى إن شاء اللَّه، وقد خاب من افترى.

۱- فيه حذف مضاف، تقديره «زيارة قبور الأنبياء ...» انتهى مصححه.

ص: ۱۷۳

ثمّ ما ذكره من انفراد الشيخ أَبى محمّد: بأنّ الحديث محمول على نفى الاستحباب، كذب وفجور وجهل، فإنّه لم ينفرد بذلك، بل ولا الحديث مسوق لتحريم زيارة القبور، وإنّما هو لبيان فضيلة المساجد الثلاثة دون غيرها؛ لأنّ المساجد الثلاثة مساجد الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- والعمل فيها يضاعف ما لا يضاعف فى غيرها، وليس لزيارة القبور تعلّق بالحديث.

ولما تكلّم الأئمة على هذا الحديث، ومنهم الإمام العلّامة أبو زكريا يحيى النووى رضى الله عنه فى «شرح مسلم» قال: فى الحديث فضيلة المساجد الثلاثة وفضيلة شدّ الرحال إليها؛ لأنّ معناه عند جمهور العلماء: لا فضيلة فى شدّها إلى مسجد غيرها.

وقال الشيخ أبو محمد الجوينى من أصحابنا: يحرم شدّها إلى غيرها، وهو غلط، ومرّ بيانه فى باب سفر المرأة.

فصرّح بأن جمهور العلماء انما ذكروا ذلك فى الفضيلة، وصرّح: بأنّه لا فضيلة فى شدّ الرحال إلى مسجد غيرها، ولم يتعرّض للزيارة، ألبتّة.

قلت: وجزم الشيخ محيى الدين رضى الله عنه، بأنّ الشيخ أبا محمّد جزم بالتحريم.

وهو ممنوع، وإنّما تردّد فى ذلك، فقال: ربما يحرم، وربما يُكره، واللّه أعلم.

وقال- أعنى النووى فى «شرح مسلم» فى باب سفر المرأة-:

«واختلف فى شدّ الرحال وإعمال المطى إلى غيرها، لا الذهاب إلى قبور الصالحين والمواضع الفاضلة ونحو ذلك.

فقال الشيخ أبو محمد الجوينى: يحرم، وهذا الذى أشار إليه عياض مختاراً له.

والصحيح عند أصحابنا، واختاره الإمام والمحقّقون لا يحرم ولا يكره.

والمراد: أنّ الفضيلة التامّة إنّما هى فى شدّ الرحال إلى الثلاثة خاصّة». انتهى.

فذكر أوّلًا: أنّ جمهور العلماء إنّما ذكروا ذلك فى الفضيلة.

وذكر ثانياً: أنّه قول المحقّقين، وأنّه لا يحرم ولا يكره، وأنّ المراد: أنّ الفضيلة

ص: ۱۷۴

التامّة إنّما هى فى شدّ الرحال إلى المساجد الثلاثة خاصّة، ولم يصرّح بقبور الأنبياء.

وقوله: «وأَنّ الفضيلة التامّة إنّما هى فى شدّ الرحال إلى المساجد الثلاثة» يفيد أنّ شدّ الرحال إلى غير الثلاثة فيه فضيلة إلّاأنّها غير تامّة.

تقليد ابن تيمية حرام لا يجوز

وإذا علمت ذلك وما قرّره هذا العبد الصالح وما نقله، استفدت منه أنّه لا يجوز تقليد هذا الزائغ فى نقله، ولا يرجع إليه فى تقريره؛ لسوء فهمه وتدليسه، وسيأتى- إن شاء اللّه تعالى- ما تقطع به بصحّة ما قلته بلا شكّ ولا تردّد.

كلام ابن قدامة فى الزيارة

وأزيدك على ما ذكره النووى ما يؤكّد ما قلته:

قال ابن قدامة الحنبلى فى كتابه «المغنى»: «فصل: فإن سافر لزيارة القبور والمشاهد.

قال ابن عقيل: لا يُباح له الترخيص؛ لأنّه منهىّ عن السفر إليها، قال النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم:(لا تُشدّ الرحال إلّاإلى ثلاثة مساجد).

والصحيح إباحته وجواز القصر فيه؛ لأنّ النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم كان يأتى قباء ماشياً وراكباً، وكان يزور القبور، وقال:(زوروها تُذكّركم الآخرة).

وأمّا قوله:(لا تُشدّ الرحال إلّاالى ثلاثة مساجد) فيحمل على نفى الفضيلة، لا على التحريم، وليس الفضيلة شرطاً فى إباحة القصر، ولا يضرّ انتفاؤها». انتهى.

وفيه من الفوائد:

أنّه صرّح بأنّ الصحيح أنّ ذلك فى نفى الفضيلة، وأنّ المنع إنّما نسبه إلى ابن عقيل فقط.

ص: ۱۷۵

فأین قول ابن تیمیهٔ: «وطوائف کثیرون من العلماء المتقدّمین»؟!

وابن قدامهٔ واسع الباع فی الاطّلاع، فکیف یقتصر علی ابن عقیل وحده ویترک طوائف کثیرهٔ من العلماء المتقدّمین؟!

وهذه کتب الحنابلهٔ وغیرها مشهورهٔ، فأین النقل فیها عن المتقدّمین؟! وهذا ممّا یعرّفک أن ابن تیمیّهٔ یکذب فی الإجماع.

ومن تتبّع ذلک وجده صحیحاً، وینقل فی بعض الأحیان شیئاً، وهو کذب محقّق، وإذا نقل کلام الغیر لم ینقله علی وجهه، وإن نقله علی وجه دسّ فیه ما لیس من کلام ذلک المنقول [عنه] (۱).

فاعلم ذلک، وتنبّه، واحذر تقلیده تهلک کما هلک.

وقول ابن عقیل: «لا یباح الترخیص لزیارهٔ القبور؛ لأنّه منهیّ عن السفر إلیها».

لم یصرّح بقبور الأنبیاء، ولا بقبر النبی صلی الله علیه و آله و سلم، ولم یُعلم مراده.

وعلی تقدیر إرادته ذلک فهو مخطیء، وضعیف الإدراک فی الاستدلال؛ ألا تراه اعتمد علی الحدیث.

۱- هل الذی یبلغ فی الخیانهٔ فی النقل إلی هذه الدرجهٔ، یُعدّ من متوسّطی المؤمنین، فضلًا عن أفاضل العلماء، فضلًا عن الأئمهٔ المجتهدین؟!

ص: ۱۷۶

وما ابن عقيل؟!

وسيأتى- إن شاء اللّه تعالى- أنّ الحديث لا دليل فيه إلّاعند عوامّ الفقهاء، وأنّ من تمسّك به فقد تمسّك بما لا يفيد.

حديث لا تشد الرحال و ألفاظه

ولا بدّ من ذكر ألفاظ الحديث لتتمّ الفائدة، وقد ورد بألفاظ مختلفة:

أشهرها:(لا تُشدّ الرحال إلّاإلى ثلاثة مساجد: مسجدى هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى).

واللفظ الثانى:(تشدّ الرحال إلى ثلاثة مساجد) من غير لفظ الحصر.

اللفظ الثالث:(إنّما يسافر إلى ثلاثة مساجد: مسجد الكعبة، ومسجدى، ومسجد إيلياء) وإيلياء بيت المقدس.

وهذه الروايات ذكرها مسلم فى فضل المدينة من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

وذكر قبل ذلك فى سفر المرأة من حديث أبى سعيد الخُدرى رضى الله عنه:(لا تشدّوا الرحال إلّاإلى ثلاثة مساجد: مسجدى هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى).

وهذا بصيغة النهى، والثلاثة الأُوَل بصيغة الخبر.

وبصيغة النهى رواه الطبرانى من حديث ابن عمر رضى اللّه عنهما:(لا تشدّوا الرحال إلّاإلى ثلاثة مساجد: مسجد إبراهيم، ومسجد محمّد، ومسجد بيت المقدس).

وهذا اللفظ رواه ابن راهويه فى مسنده من حديث أبى سعيد رضى الله عنه.

هذا ما يتعلّق بلفظ الحديث.

وأمّا ما يتعلّق بمعناه، وما يدلّ عليه.

ص: ۱۷۷

فاعلم: أنّ الاستثناء فی الحدیث مُفرَّغ کما هو واضح، ولابدّ فیه من تقدیر، وهو شیئان:

أحدهما: لا تُشدّ الرحال إلی مسجد إلّاإلی المساجد الثلاثة.

وعلی هذا فلا حجّة للخصم فیه.

والتقدیر الثانی- لا تُشدّ الرحال إلی مکان إلّاإلی المساجد الثلاثة.

ولابدّ من تقدیر أحد هذین؛ لیکون المستثنی مندرجاً تحت المستثنی منه.

والتقدیر الأوّل- وهو لا تشدّ الرحال إلی مسجد- أولی من التقدیر الثانی- وهو لا تشدّ الرحال إلی مکان- لأنّه علی التقدیر الأوّل جنس قریب؛ لما فیه من قلّة التخصیص؛ لأنّ التخصیص علی تقدیر إضمار الأمکنة أکثر، فیکون مرجوحاً.

ولو خطر بالبال تقدیر العموم فی الحدیث لکان خیالًا فاسداً لسیاقه، وللقرینة اللفظیة فیه، ولدخول التخصیص بالأدلّة السمعیّة والعملیة الکثیرة جدّاً:

أمّا سیاقه: فلأنّ الحدیث إنّما ورد لبیان شرف هذه المساجد الثلاثة وخِیْرتها (۱) علی غیرها من المساجد، کما مرّ من أنّها مساجد الأنبیاء علیهم الصلاة والسلام، ولهذا تُضاعف الأعمال فیها ما لا تُضاعف فی غیرها، والمتکلّمون علی الحدیث إنّما یتکلّمون فی ذلک ونحوه؛ من لزوم النذر المتعلّق بها، دون الزیارات.

ولهذا لمّا تکلّم بعض المتأخّرین علی الحدیث وأدرج ذکر الزیارة، اعترض علیه فی ذکر الزیارة، وقیل: لم یرد الحدیث لذلک، وإنّما ورد لبیان شرف هذه المساجد دون غیرها.

وهذا کافٍ فی بطلان الاحتجاج بالحدیث لمنع زیارة القبور، والزیادة علی

۱- قول المصنّف صواب ومعنی «خِیْرتها» فضلها. وفی هامش المطبوعة صوابه وخیریتها کمالا یخفی. انتهی مصححه.

ص: ۱۷۸

ذلك إنّما هو على وجه التنزّل.

فمن احتجّ بالحديث لمنع الزيارة ينبغى أن لا يرسم فى حزب الفقهاء ألبتّة؛ لما قرّرنا.

وإن قلنا بعموم اللفظ فكذلك؛ لأنّ وقائع الأعيان إذا تطرّق إليها الاحتمال، كساها ثوب الإجمال، وسقط بها الاستدلال. وهذا فى الاحتمال وإن كان فيه بعد، فما ظنّك بهذا الحديث، الذى لا احتمال فيه من لفظه؟!

وهو قرينة ظاهرة قويّة ولها شاهد ظاهر الدلالة، كما أذكره إن شاء اللّه تعالى، ولا سيما وقد دخله التخصيص بالأدلّة السمعيّة والعمليّة، مع كثرة المخصّصات على اختلاف أنواعها: فمنها ما هو فرض عين، ومنها ما هو فرض كفاية، ومنها ما هو مندوب، ومنها ما هو قُربة، ومنها ما هو مباح. وصور هذه الأنواع لا تكاد تنحصر عدّاً.

فأمّا القرينة اللفظية فذكر المساجد الثلاث فى الاستثناء وهو بعض المستثنى منه، وهذا قوىّ جدّاً.

و «إلى» تكون بمعنى اللام إذ حروف الصلة ينوب بعضها عن بعض كما هو كثير فى الكلام، فالمعنى لا تشدّ الرحال لمسجد إلّاللمساجد الثلاثة.

ويؤيّد هذا: أنّ رجلًا من التابعين قال لابن عمر رضى اللّه عنهما: أُريد أن آتى الطور. قال:(إنّما تُشدّ الرحال إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجد رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم، ومسجد الأقصى، ودع عنك الطور، فلا تأته).

فهذا عبداللّه بن عمر رضى اللّه عنهما من أجلّاء الصحابة رضى اللّه عنهم، لم يتكلّم إلّافى شدّ الرحال إلى المساجد دون غيرها، وهو أعلم بالحديث وموارده ومصادره.

وعلى منواله تكلّم العلماء فى شدّ الرحال بالنسبة إلى المساجد، وكذا ذكر

ص: ۱۷۹

القاضى عياض فى كتابه «الإكمال»، ولم يتعرّض لزيارة الموتى أصلًا، وليس فى الحديث تعرّض لمنع الزيارة ألبتّة.

وبهذا وغيره يُعرف أنّ دعوى: أنّ الحديث يدلّ على منع الزيارة.

من كلام الجهلة العارين عن العلوم التى بها يصحّ الاستدلال والاستنباط، ومن سوء الفهم وبلادة الذهن وجموده.

وأَنّ مثل هذا لا يحلّ لأحد تقليده ولا الأخذ بقوله؛ لتحقّق جهله ببعض ما قرّرنا. ومن لم يجعل اللَّه له نوراً فماله من نور.

ومثل هذا لا يزال يتخبّط فى ظلمة جهله هو وأتباعه، وباللَّه التوفيق.

وقوله فى جواب الفتوى: ولو نذر أن يأتى مسجد النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم أو المسجد الأقصى؛ لصلاة أو اعتكاف، وجب الوفاء بهذا النذر عند مالك والشافعى وأحمد، ولم يجب عند أبى حنيفة؛ لأنّه لا يجب عنده بالنذر إلّاما كان من جنسه واجباً بالسمع... إلى آخره.

فقوله: «وجب الوفاء عند الشافعى» يوهم أنّ الشافعى جازم بذلك، وليس كذلك، بل هو قول مرجوح عند الشافعى، وعلّل: بأنّ مسجد النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم والمسجد الأقصى لا يقصدان بالنسك، فأشبها سائر المساجد.

وقوله: «ولو نذر أن يصلّى فى مسجد أو مشهد، أو يعتكف فيه، أو يسافر إلى غير هذه المساجد الثلاثة، لم يجب ذلك باتّفاق الأئمة».

وهذا أيضاً ليس بصحيح، وما رأيت أجرأ منه على الفجور، ولا أكذب فى دعوى الاتفاق والإجماع، وقصده بذلك الترويج على الأغمار، ولا عليه من غضب الجبّار.

وفى كلامه مسألتان:

الاولى: إذا نذر أن يصلّى فى مسجد أو مشهد، أو يعتكف فيه؛ من غير

ص: ۱۸۰

المساجد الثلاث. وقد حكى الاتّفاق على أنه لا يجب الوفاء بذلك، وهو البهتان البيّن.

ففى ذلك قولان آخران: أحدهما: يجب الوفاء مطلقاً، والثانى: إن نذرها فى الجامع تعيّن، وإلّا فلا.

المسألة الثانية: إذا نذر أن يسافر إلى غير هذه المساجد الثلاثة، فإنّها لا تجب عليه باتّفاق الأئمة.

ثمّ أردف ذلك بقول: «وأمّا السفر إلى بُقعة غير المساجد الثلاث، فلم يوجب أحد من العلماء السفر إليه إذا نذره؛ حتّى نصّ العلماء على أنّه لا يسافر إلى مسجد قباء؛ لأنه ليس من المساجد الثلاث».

فانظر إلى هذه الجُرأة والفجور بقوله: «حتّى نصّ العلماء» والمسألة فيها خلاف، وقد قال الإمام محمد بن مسلمة المالكى: إذا قصد مسجد قباء لزمه؛ لأنّ النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم كان يأتيه كلّ سبت راكباً وماشياً.

بل قال الليث بن سعد: إذا نذر المشى إلى أى مسجد كان؛ لزمه؛ سواء فى ذلك المساجد الثلاثة وغيرها.

وقال الإمام ابن كج- من كبار أصحابنا-: إذا نذر أن يزور قبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم فعندى أنه يلزمه وجهاً واحداً، ولو نذر المشى إلى مسجد النبى صلى الله عليه و آله و سلم، ففيه قولان:

أحدهما لا يلزمه، والثانى يلزمه، فعلى هذا لابدّ من ضمّ عبادة، قيل: يلزمه صلاة.

وقيل: اعتكاف ولو لحظة، والصحيح أنّه يتخيّر فى مسجد النبى صلى الله عليه و آله و سلم بين الصلاة وبين زيارة قبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم.

فجعل زيارة قبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم طاعة، وهى أخصّ من القربة، وجعلها تقوم مقام الصلاة التى هى أفضل عبادات البدن، والمساجد موضوعة لها بالأصالة.

وقوله: وقالوا: لأنّ السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بِدعة، لم يفعلها

ص: ۱۸۱

أحد من الصحابة ولا التابعين، ولا أَمر بها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم، ولا استحبّ ذلك أَحد من أئمة المسلمين، فمن اعتقد ذلك عبادة وفعلها فهو مخالف للسُّنّة ولإجماع الأُمّة.

قلت: لمّا وقف بعض الأئمة على هذا الكلام الباطل، قال: هذا من البَهْت الصريح. وصدق رضى الله عنه لما أذكره، وفيه أيضاً تدليس من الفجور.

وبيان التدليس: قوله: «قالوا»:

فإنّه يوهم أنّ هذا الذى قاله لم يقله من عند نفسه، وإنّما نقله عن أئمة المسلمين، وأنّه مجمع عليه.

وهذا شأنه يدلّس فى الإغراء ليحمل الناس على عقيدته الفاسدة المفسدة؛ لأنه لو عزاه إلى نفسه لما انتظم له ذلك؛ لعلم الحُذّاق النُّقّاد بسوء فهمه وكثرة خلطه؛ ممّا عرفوه منه فى بحثه وتدوينه إذا انفرد.

فقوله: لأنّ السفر إلى قبور الأنبياء.

يشمل قبر الخليل والكليم وقبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم وغيرهم.

وقوله: والصالحين.

يشمل قبور الصحابة رضى اللَّه عنهم وغيرهم، وهو مطالب بتصحيح ما عزاه إلى أئمة المسلمين، وأنّه مجمع عليه، وهو لا يجد إلى ذلك سبيلًا، بل المنقول خلاف ذلك كما تراه.

وقوله: إنَّ السفر إلى قبور الأنبياء بدعة؛ لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين.

هذا من الفجور والإفك المبين.

زيارة قبر النبى سنة سائرة بين المسلمين

ولم تزل الناس على زيارة قبر الخليل والكليم وغيرهما فى سائر الأعصار من

ص: ۱۸۲

جميع الأمصار.

وهذا بلال- مؤذّن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم- سافر من الشام إلى المدينة الشريفة لزيارة قبر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم.

وممّن ذكر ذلك الحافظ ابن عساكر، والحافظ عبد الغنى المقدسى فى كتابه «الإكمال» فى ترجمة بلال.

وقال فيه: ولم يؤذّن لأحد بعد النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم- فيما يروى- إلّامرّة واحدة فى قَدْمة قدمها إلى المدينة؛ لزيارة قبر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم، طلب إليه الصحابة رضى اللَّه عنهم ذلك، فأذّن لهم ولم يتمّ الأذان.

وقيل: إنّه أذّن لأبى بكر رضى الله عنه فى خلافته. انتهى.

وممن ذكر ذلك أيضاً إمام الأئمة فى الحديث أبو الحجّاج الشهير بالمِزّى (۱).

وسبب سفر بلال رضى الله عنه لزيارة قبره- عليه الصلاة والسلام- أنّه رأى النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم فى المنام، فقال له: ما هذه الجفوة يا بلال؛ أمّا آن لك أن تزورنى يا بلال؟

فانتبه من نومه حزيناً وَجِلًا خائفاً، فقعد على راحلته من حينه، وقصد المدينة، فأتى قبره- عليه الصلاة والسلام- فجعل يبكى عنده ويمرّغ وجهه عليه، فأقبل الحسن والحسين رضى اللَّه عنهما إليه، فجعل يضمّهما ويقبّلهما ثمّ قالا له: يا بلال نشتهى أن نسمع أَذانك الذى كنت تؤذن للنبى صلى الله عليه و آله و سلم فى المسجد، فعلا سطح المسجد، ووقف موقفه الذى كان يقف.

فلمّا أنْ قال: «اللَّه أكبر» ارتجّت المدينة، فلمّا قال: «أشهد أن لا إله إلّااللَّه» ازدادت رجّتها.

فلمّا قال: «أشهد أنّ سيّدنا محمّداً رسول اللَّه» خرجت العواتق من خُدورهنّ، وقالوا: أَبُعث رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم، فما رُؤى يوم أكثر باكياً ولا باكية بالمدينة- بعد

۱- المِزِّى- بكسر الميم وتشديد الزاى- نسبة إلى قرية بالشام. انتهى. مستنسخ الأصل.

ص: ۱۸۳

رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم- من ذلك اليوم.

فهذا بلال من سادات الصحابة رضى اللَّه عنهم قد شدّ رحله من الشام، وسافر لزيارة قبره- عليه الصلاة والسلام- فقط، وأعلم بذلك الحسن والحسين، وطار بذلك الخبر فى المدينة، وكان فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ولم ينكر عليه ولا أحد من الصحابة رضى اللَّه عنهم.

ولو كان السفر لزيارة قبره مخالفاً للسنة ولإجماع الأُمّة لأنكروا عليه؛ لأنّهم ينكرون أدنى شىء من المخالفات، ولا سيّما عمر وهو أمير المؤمنين، وأشدّ الناس فى الإنكار وأبطشهم يداً، وأحدّهم لساناً ووقوفاً مع الحقّ، ولا تأخذه فى اللَّه لومة لائم.

وأيضاً فمن الشائع الذائع أنّ عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه، كان يُبرد البريد من الشام لأجل السلام على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم فقط.

ذكر هذا غير واحد منهم القاضى عيّاض فى أشهر كتبه وهو «الشفاء».

وذكره الإمام هبة اللَّه فى كتابه «توثيق عُرى الإيمان».

وذكره الإمام العلّامة بن الجوزى فى كتابه مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن.

وذكره الإمام أبو بكر أحمد ابن النبيل فى مناسك له لطيفة جرّدها من الأسانيد، والتزم فيها الثبوت، ولفظه: «وكان عمر بن عبدالعزيز يبعث بالرسول قاصداً من الشام إلى المدينة، ليُقرِىء النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم السلام، ثمّ يرجع».

وهذا الإمام أبو بكر قديم تُوفّى فى سنة سبع وثمانين ومائتين.

فهذا السيّد الجليل عمر بن عبدالعزيز يبعث الرجل لأجل السلام فقط، لا لقصد آخر، وكان ذلك فى زمن صدر التابعين، وكان سفر بلال فى زمن صدر الصحابة رضى اللَّه عنهم، ولم يُنكر عليه ذلك أحد، فدل على أنّ السفر لأجل زيارة

ص: ۱۸۴

قبره صلى الله عليه و آله و سلم ولأجل السلام عليه، مجمع عليه بين الصحابة والتابعين.

فأين دعوى ابن تيميّة أنّ ذلك مخالف للسنّة ولإجماع الأُمّة.

وقد تقدّم قول عمر رضى الله عنه لكعب الأحبار: ألا تسافر لتزور قبر رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم وتتمتّع بزيارته؟! فقال: نعم يا أمير المؤمنين أفعل.

وهذا أو بعضه كافٍ فى إبطال دعوى ابن تيميّة وإثبات فجوره.

وأتبرّع بزيادة، وأقتصر غاية الاقتصار:

قال بعض الأئمة: وأمّا زيارة قبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم فلم ينكرها أحد، ولم يقع فى السفر إليها نزاع، ولم يزل سفر الحجيج إليه فى السلف والخلف.

وصدق رضى الله عنه، وهذه كتب العلماء من جميع المذاهب مصرّحة بذلك.

وقد تقدّم قول القاضى عياض: زيارة قبره صلى الله عليه و آله و سلم سُنّة من سُنن المرسلين، ومجمع عليها ومرغّب فيها، واحتجّ بحديث ابن عمر وأنس رضى اللّه عنهم، وقد ذكر غير القاضى عياض ما ذكره.

ابن تيمية من أعظم الكذبة والفجار

وإذا تقرّر ذلك، ففى ذكرى ما أتبرّع به- مع غاية الاقتصار- تتحقّق أنّ ابن تيمية من أعظم الكَذَبة والفُجّار، وقد انكشف لك ذلك كما انكشف ضوء النهار:

فمن ذلك ما ذكره القاضى أبو الطيب- وهو من أئمة الشافعيّة- قال: ويُستحبّ أن يزور قبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم بعد أن يحجّ ويعتمر.

وكيف يزور من غير سفر؛ سواء كان راكباً أو ماشياً؟!

وقال المحاملى فى كتابه «التجريد» ويستحب للحاج إذا فرغ من مكّة أن يزور قبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم انتهى.

وقال الحليمى فى كتابه «المنهاج»، عند ذكر تعظيم النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، وذكر جملة، ثمّ

ص: ۱۸۵

قال: وهذا كان من الذين رُزقوا مشاهدته وصحبته، وأمّا اليوم فمن التعظيم بيان تعظيمه وزيارته.

وقال الماوردى فى كتابه «الحاوى»: أمّا زيارة قبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم فمأمور بها ومندوب إليها.

وقال فى كتابه «الأحكام السلطانية» فى باب الولاية على الحجيج، وذكر كلاماً يتعلّق بأمير الحاجّ، ثمّ قال: وإذا قضى الناس الحجّ أمهلهم الإمام الأيّام التى جرت عادتهم بها، فإذا رجعوا سار بهم على طريق المدينة للنبى صلى الله عليه و آله و سلم؛ ليجمع بين حجّ بيت اللَّه- عزّوجلّ- وزيارة قبر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم؛ رعاية لحرمته، وقياماً ببعض حقوق طاعته، وذلك وإن لم يكن من فروض الحجّ، فهو من مندوبات الشرع المستحبّة وعبادات الحجيج المستحسنة (۱).

فتأمّل هذه العبارة من هذا الإمام، وما اشتملت عليه من الفوائد الجليلة.

وقال الإمام العلّامة- المتّفق على دينه وكثرة علومه وعُلُوّ قدره- الشيخ أبو إسحاق الشيرازى: ويستحبّ زيارة قبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم.

وذكر القاضى حسين نحوه، وكذا الروياني.

ولا حاجة إلى الإطالة بذكر من قال بزيارة قبره- عليه الصلاة والسلام- سواء فى ذلك قبل الحجّ أو بعده.

وذكر السير إليه كثير من أصحاب الشافعى، من جملتهم السيّد الجليل أبو زكريا يحيى النووى- قدّس اللَّه روحه- قال فى كتابه «المناسك وغيرها»: «فصل:

فى زيارة قبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم سواء كان ذلك على طريقه أم لا، فإنّ زيارته صلى الله عليه و آله و سلم من أهمّ الْقرّبات وأربح المساعى وأفضل الطلبات» انتهى.

۱- الأحكام السلطانية للماوردى: ص ۱۰۹ الباب العاشر.

ص: ۱۸۶

زيارة قبر النبى من أفضل المندوبات

وإذا عرفت هذا فأتبرّع إليك بزيادة أُخرى مع زيادة فائدة:

قال الحنفية: إنّ زيارة قبر النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم من أفضل المندوبات والمستحبّات، بل تقرب من درجة الواجبات.

وممّن صرّح بذلك الإمام أبو منصور محمّد الكرمانى فى مناسكه، والإمام عبداللَّه بن محمود فى شرح المختار.

وقال الإمام أبو العبّاس السروجى: وإذا انصرف الحاجّ من مكّة- شرّفها اللَّه تعالى- فليتوجّه إلى طِيبة مدينة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم لزيارة قبره، فإنها من أنجح المساعى.

وكلامهم فى ذلك يطول.

كلمات أئمة الحنابلة فى استحباب زيارة قبر النبى

وأتبرّع بزيادة هى أبلغ فى تكذيب هذا الفاجر؛ لأنّها من كلام أئمّة الحنابلة:

قال ابن الخطاب محفوظ الكلواذى الحنبلى- فى كتابه «الهداية» فى آخر باب صفة الحجّ-: استُحبّ له زيارة قبره صلى الله عليه و آله و سلم وصاحبيه.

وفيه فائدة، وهى استحباب شدّ الرحال الى زيارة الصدّيقين رضى اللَّه عنهما.

وقال الإمام أحمد بن حمدان فى «الرعاية (۱) الكبرى»: ويستحبّ لمن فرغ من نُسكه زيارة قبر النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم وقبر صاحبيه رضى اللَّه عنهما، وذلك بعد فراغ الحجّ وإن شاء قبله.

وذكر نحو ذلك غيرهم، ومنهم الإمام أبو الفرج بن الجوزى فى كتابه «مثير

۱- هى الدعاية بالدال. انتهى. مصحّحه.

ص: ۱۸۷

الغرام»، وعقد له باباً فی زیارة قبره- علیه الصلاة والسلام- واستدلّ بحدیث ابن عمر وأنس رضی اللَّه عنهم.

وذکر ابن قدامة فی «المُغنی» فصلًا فی ذلک، فقال: یستحبّ زیارة قبر النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، واستدلّ بحدیث ابن عمر وأبی هریرة رضی اللَّه عنهم.

ولا أُطوّل بذکری من ذکره من أئمة الحنابلة تبعاً لإمامهم رضی اللَّه عنهم.

القول بوجوب زیارة قبر النبی

وأتبرّع بزیادة لفوائد جمّة ومهمّة:

فمن ذلک ما فی کتاب «تهذیب الطالب» لعبد الحقّ الصقلی عن أبی عمران المالکی: أنّ زیارة قبر النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم واجبة.

وقال عبدالحقّ فی هذا الکتاب: رأیت فی بعض المسائل التی سُئل عنها أبو محمد بن أبی زید، قیل له فی رجل استؤجر بمال لیحجّ به، وشرطوا علیه الزیارة، فلم یستطع تلک السنة أن یزور لعذر منعه من ذلک؟ فقال: یردّ من الأُجرة بقدر مسافة الزیارة، وهی مسألة حسنة.

وفی کتاب النوادر لأبن أبی زید فائدة أُخری، فإنّه بعد أن حکی فی زیارة القبور من کلام ابن حبیب ومن المجموعة عن مالک ومن کلام القرْطی- بإسکان الراء وبالطاء المهملتین- ثمّ قال عقبة (۱): ویأتی قبور الشهداء بأُحُد ویسلّم علیهم، کما یسلّم علی قبره صلی الله علیه و آله و سلم وعلی صاحبیه، وفی الکتاب المذکور.

ویدلّ علی التسلیم علی أهل القبور ما جاء فی السُّنّة والتسلیم علی النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم وأبی بکر وعمر رضی اللَّه عنهما مقبورین.

۱- هی عقبة بالقاف، لا بالتاء. انتهی. مصحِّحه.

ص: ۱۸۸

وقال العبدى المالكى فى «شرح الرسالة»: إنّ المشى إلى المدينة لزيارة قبر النبى صلى الله عليه و آله و سلم أفضل من المشى إلى الكعبة وبيت المقدس.

وصدق وأجاد رضى الله عنه؛ لأنّه أَفضل البقاع بالإجماع.

فهذه نُبذة يسيرة، والنقول فى ذلك كثيرة جداً، وفيها الإجماع على طلب الزيارة بعدت المسافة أو قصرت، وعمل الناس فى ذلك فى جميع الأعصار من جميع الأقطار.

تجاسر السلفية على وفد الله تعالى و ضيوف الرحمن

فكيف يحلّ لأحد أن يبدعهم بالقول الزور، ويضلّل أئمّة أُمّة المختار؟!

بل من المصائب العظيمة أنْ يوقع وفد اللّه تعالى فى جريمة عظيمة، وهى عصيانهم بشدّ رحالهم لزيارة قبره عقب ما رجوه من المغفرة وبتركهم الصلاة التى هى أحد أركان الدين؛ لأنّهم إذا لم يَجُزْ لهم القصر وقصّروا، فقد تركوا الصلاة عامدين، ومن تركها متعمّداً قُتل إمّا كفراً وإما حدّاً.

ولا يصدر هذا إلّاممّن هو شديد العداوة لوفد اللّه تعالى، ولحبيبهم الذى (۱) يرتجون بزيارتهم له استحقاق الشفاعة التى بها نجاتهم.

حكم ابن تيمية على مجموعة من أحاديث الزيارة بالوضع والكذب

وسأذكر عقب هذا، الأدلّةَ الخاصة بالحثّ على زيارته، وأتعرّض لما قدح فيها وفى الأئمة رواتها.

ومنه تعلم أنّ هذا الخبيث لا دين له يعتمد عليه، فتراه واضحاً جلياً لا تشكّ فيه ولا ترتاب.

۱- «الذى» بالإفراد انتهى. مصحِّحه.

ص: ۱۸۹

فنسأل اللّه تعالى العافية ممّا يرتكبه هذا الزائغ الفاجر الكذّاب.

وأن يذيقه أشدّ العذاب، على ما أفسد فى هذه الأُمّة، وسيلقى أشدّ الحساب.

وقوله: «إنّ ما ذكروه من الأحاديث فى زيارة قبر النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم، فكلّها ضعيفة باتّفاق أهل العلم، بل هى موضوعة لم يروِ أحدٌ من أهل السُّنَن المعتمدة شيئاً منها».

أعوذ باللّه من مكر اللّه عزّوجلّ. أنظر- أدام اللّه لك الهداية، وحماك من الغواية- إلى فجور هذا الخبيث، كيف جعل الأحاديث المرويّة فى زيارة قبر خير البريّة كلّها ضعيفة.

ثمّ أردف ذلك بقوله: «باتّفاق أهل العلم بالحديث»، ولم يجعل الأئمّة الذين أذكرهم من أهل الحديث؟!

والعجب أنّه روى عنهم فى مواضع عديدة من كتبه، وهذا من جهله وبلادة ذهنه وعماءة قلبه؛ من أنّه لا يعلم تناقض كلامه ونقضه بذلك.

ثمّ إنّه لم تخمد نار خبثه بما ذكره من الفجور، حتّى أردف ذلك: بأنّ الأحاديث المرويّة فى زيارة القبر المكرّم موضوعة؛ يعنى أنّها كذب.

وهذا شىء لم يُرَ أحد من علماء المسلمين ولا من عوامّهم فاه به، ولا رمز إليه؛ لا مَن فى عصره ولا مَن قبله- قاتله اللّه تعالى-.

ولقد أسفرت هذه القضيّة عن زندقته بتجرّئه على الإفك على العلماء، وعلى أنه لا يعتقد حرمة الكذب والفجور، ولا يُبالى بما يقول، وإن كان فيه عظائم الأُمور.

التحذير من تقليد ابن تيمية

وإذا عرفت هذا، فينبغى أيّها المؤمن- الخالى من البِدْعة والهوى- أن لا تقلّده

ص: ۱۹۰

فیما ینقله، ولا فیما یقوله، بل تفحص عن ذلک، وتسأل غیر أتباعه ممّن له رتبة فی العلوم، وإلّا هلکت کما هلک هو وأتباعه (۱).

احادیث فی زیارة قبر النبی

ولنذکر بعض الأحادیث الواردة فی زیارة قبره- علیه الصلاة والسلام- وأذکر من رواها، وأحذف الأسانید؛ لأنّها لا تلیق بهذه الأوراق، وقد رُویت من طُرُقبلغت بهامنزلة الصحیح أوقاربت، أو منزلة الحسن، وأذکر منصحّح بعضها، وأُبیّن أنّه من الأئمّة الأعلام بالحدیث، وأنه یُعتمد بتصحیحه، وباللّه التوفیق (۲):

فمن الأحادیث فی زیارة قبره- علیه الصلاة والسلام- قوله صلی الله علیه و آله و سلم:(من زار قبری وجبت له شفاعتی).

رواه غیر واحد من أئمّة الحدیث، منهم الدارقطنی والبیهقی وغیرهما، والحدیث مرویّ بهذا اللفظ فی عدّة نسخ معتمدة، وهو من حدیث ابن عمر رضی اللّه عنهما. وخرّجه أبو الیمن فی کتابه «إیجاف (۳) الزائر وإطراف المغنم للسائر فی زیارة سیّدنا رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم».

وخرّجه الحافظ ابن عساکر فی «تاریخه» فی زیارة قبره- علیه الصلاة والسلام- بعد وفاته کان کمن زاره فی حیاته.

وخرّجه العقیلی وغیره، فلا نطوّل بذکر من رواه من أئمّة الحدیث المعتبرین

۱- لعلّک فی دهشة ممّا مرّ مفصّلًا من تعمّد کذب هذا الرجل فی نقوله وأحکامه؛ حتّی تعدّی کذبُه الخلقَ إلی رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم. انتهی. مصحِّحه.

۲- تجد تفصیل الکلام عن هذه الأحادیث متناً وسنداً وبحثاً حول رواتها فی(شفاء السقام) للإمام السبکی، فراجعه.

۳- لا أدری أهو إیجاف- کما ذکره- أم إتحاف. انتهی. مصحِّحه.

ص: ۱۹۱

وهو مرویّ من طرق تبلغ الحسن.

قال أئمّة الحدیث: والحدیث أو الأحادیث وإن لانت أسانید مفرداتها، فمجموعها یُقوّی بعضها بعضاً، ویعتبر الحدیث حدیثاً حسناً، ویحتجّ به.

وممّن ذکر ذلک أبو زکریّا النووی، ذکره فی «شرح المهذّب» فی کتاب الحجّ.

وهی فائدة جلیلة ینبغی معرفتها؛ لیعلم بها جهل هذا الفاجر المبالغ فی فجوره.

وقوله- علیه الصلاة والسلام-:(وجبت له شفاعتی) معناه حقّت، ولابدّ منها بوعده الصادق، وفی ذلک بشارة عظیمة لزوّار قبره الشریف، وهی أنّ من زاره محتسباً مات علی التوحید، وهذه البشارة العظیمة من ثمرة زیارة قبره المکرّم.

وفی قوله- علیه الصلاة والسلام-:(وجبت له شفاعتی) تحقیق لما قلته، لأجل إضافة الشفاعة إلیه، ولأنّه- علیه الصلاة والسلام- مُشفَّع لا تردّ شفاعته؛ لا فی حیاته، ولا بعد وفاته، ولا فی عرصات القیامة.

وقال- علیه الصلاة والسلام-:(من زار قبری حلّت له شفاعتی).

رواه الحافظ البزّار فی مسنده، وهو بهذا اللفظ فی نسخة معتمدة، وسمعها الحافظ أبو الحسین الصدفی علی الإمام أبی عبداللّه مورتش (۱) سنة ثمانین وأربعمائة.

ومعنی «حلّت» وجبت، وقد عزی عبدالحقّ هذا الحدیث إلی البزّار والدارقطنی.

وقال- علیه الصلاة والسلام-:(من حجّ فزار قبری بعد وفاتی فکأنّما زارنی فی حیاتی).

رواه الدارقطنی فی سُننه وغیرها.

۱- هو فرتس کما فی الأصل. انتهی. مصحّحه.

ص: ۱۹۲

وفی روایة:(ومن مات بأحد الحرمین بُعث فی الآمنین یوم القیامة).

ورواه غیر واحد، وهو من حدیث ابن عمر رضی اللّه عنهما، ورُوی من طرق.

ورواه الحافظ بن عدی فی کتابه «الکامل» بزیادة، قال- علیه الصلاة والسلام-:(من حجّ فزار قبری بعد موتی کان کمن زارنی فی حیاتی وصحبنی)، وذکر البیهقی فی سننه: أنّه ذکره ابن عدی، وخرّجه هو بدون هذه الزیادة، وخرّجه الحافظ بن عساکر من حدیث ابن عمر رضی اللّه عنهما، قال: قال- علیه الصلاة والسلام-:(من حجّ فزار قبری بعد موتی کان کمن زارنی فی حیاتی) زاد السهمی(وصحبنی) ورواه الحافظ ابن الجوزی بهذه الزیادة.

وقال علیه الصلاة والسلام:(من حجّ البیت ولم یزرنی فقد جفانی).

رواه ابن عدیّ فی کتابه «الکامل» وغیره.

وهو من حدیث ابن عمر رضی اللّه عنهما، وخرّجه الدارقطنی فی أحادیث مالک التی لیست فی المُوطَّأ، وهو کتاب ضخم.

وقال ابن الجوزی: إنّ هذا الحدیث موضوع، وقد نُسب ابن الجوزی فی ذلک إلی السرف، فاعرف ذلک.

وقال علیه الصلاة والسلام:(من زار قبری أو زارنی کنتُ له شفیعاً أو شهیداً).

رواه أبو داود الطیالسی فی مسنده، وهو من حدیث ابن عمر رضی اللّه عنهما، ورواه إمام الأئمة ابن خزیمة، ورواه البیهقی وابن عساکر من جهة الطیالسی.

وروی بزیادة: قال أبو داود الطیالسی: حدّثنا سوار بن میمون أبو الفرج العبدی، قال: حدّثنی رجل من آل عمر رضی اللّه عنه، قال: سمعت رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم یقول:(من زار قبری- أو قال: من زارنی- کنت له شفیعاً أو شهیداً، ومن مات فی أَحد الحرمین بعثه اللّه فی الآمنین یوم القیامة).

ص: ۱۹۳

وقال علیه الصلاة والسلام:(من زارنی متعمّداً کان فی جواری یوم القیامة).

رواه أبو جعفر العقیلی وغیره، ومنهم الحافظ ابن عساکر.

وفی روایة السحای (۱)، قال: حدثنا هارون بن قزعة، عن رجل من آل الخطاب، عن النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، قال:(من زارنی متعمّداً کان فی جواری یوم القیامة، ومن سکن المدینة وصبر علی بلائها کنت له شفیعاً أو شهیداً یوم القیامة، ومن مات فی أحد الحرمین بُعث فی الآمنین یوم القیامة).

ومن هو فی جواره فهو فی الآمنین لا محالة صلی الله علیه و آله و سلم.

وقال علیه الصلاة والسلام:(من حجّ حجّة الإسلام، وزار قبری، وغزا غزوة، وصلّی فی بیت المقدس، لم یسأله اللّه فیما افترض علیه).

ورواه الحافظ أبو الفتح الأزدی فی فوائده.

وهذا أبو الفتح اسمه محمد بن الحسین، وکان حافظاً من أهل العلم والفضل، وصنّف کُتُباً فی علوم الحدیث. ذکره الخطیب البغدادی فی تاریخه، وابن السمعانی فی الأنساب، وأثنی علیه محمد بن جعفر بن غیلان، وذکره فی الحفظ وحسن المعرفة بالحدیث.

وقال علیه الصلاة والسلام:(من زارنی محتسباً کنت له شفیعاً أو شهیداً).

وفی روایة:(من زارنی محتسباً إلی المدینة کان فی جواری یوم القیامة).

وهو من روایة أنس رضی الله عنه، ورواه غیر واحد، وممّن ذکره ابن الجوزی فی کتابه «مثیر الغرام الساکن» وهو من طریق ابن أبی الدنیا، وروی من طرق.

وقال علیه الصلاة والسلام:(من زارنی میّتاً فکأنّما زارنی حیّاً، ومن زارنی وجبت له شفاعتی یوم القیامة، وما من أحد من أُمّتی له سعة، ثمّ لم یزرنی، فلیس له عذر).

۱- فی الأصل «السحامی». انتهی. مصحّحه، والظاهر أنّه: الشحامی.

ص: ۱۹۴

رواه الحافظ أبو عبداللّه محمد بن محمود النجار فی کتابه الدُّرّة الیتیمة فی فضائل المدینة.

وعن ابن عبّاس رضی اللّه عنهما أنّه- علیه الصلاة والسلام- قال:(من زارنی فی مماتی کان کمن زارنی فی حیاتی، ومن زار قبری حتّی ینتهی إلی قبری کنت له یوم القیامة شهیداً).

خرّجه العقیلی، ورواه ابن عساکر من جهته إلّاأنّه قال:(من زارنی فی المنام کان کمن زارنی فی حیاتی) وهی فائدة جلیلة.

وعن علیّ- کرم اللّه وجهه- أنّه- علیه الصلاة والسلام- قال:(من زار قبری بعد موتی فکأنّما زارنی فی حیاتی، ومن لم یزرنی فقد جفانی).

رواه الحسن بن یحیی بن جعفر فی کتاب «أخبار المدینة».

ورواه الحافظ أبو عبداللّه بن النجار فی کتابه «الدُّرّة الیتیمة».(من لم یزرنی فقد جفانی).

ورواه الحافظ أبو سعید عبدالملک بن محمّد النیسابوری فی کتابه «شرف المصطفی صلی الله علیه و آله و سلم»، وهذا الکتاب فی ثمان مجلّدات.

وأبو سعید هذا له مصنّفات فی علوم الشریعة. تُوفّی سنة ستّ وأربعمائة بنیسابور، وقبره بها مشهور ویتبرّک به، وکان ینتفع بکلامه وبوعظه، وتنجلی بکلامه القلوب قدّس اللّه روحه ونوّر ضریحه.

وقال علیه الصلاة والسلام:(من جاءنی زائراً لا تحمله حاجة إلّازیارتی، کان حقّاً علیّ أن أکون له شفیعاً یوم القیامة)، وفی روایة:(من جاءنی زائراً لم تنزعه حاجة إلّازیارتی).

رواه غیر واحد من الأئمّة الحفّاظ المشهورین من حدیث ابن عمر رضی اللّه عنهما، ومنهم الطبرانی فی «معجمه الکبیر»، ومنهم الدارقطنی فی «أمالیه»، ومنهم

ص: ۱۹۵

أبو بكر بن المقرى فى «معجمه»، ومنهم العلّامة الحافظ أبو على سعيد بن عثمان بن السكن، ذكره فى كتابه المسمّى ب «الصحاح المأثورة عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم».

يا هذا انتبه لما أذكره: قال فى خطبة كتابه هذا: «أمّا بعدُ فإنّك سألتنى أن أجمع لك ما صحّ عندى من السُّنن المأثورة، التى نقلها الأئمّة من أهل البلدان، الذين لا يطعن فيهم طاعن؛ ممّا نقلوه، فتدبّرتُ ما سألتنى عنه، فوجدتُ جماعة من الأئمّة قد تكلّفوا ما سألتنى من ذلك، وقد وعيتُ جميع ما ذكروه، وحفظتُ عنهم أكثر ما نقلوه، واقتديتُ بهم، وأجبتُك إلى ما سألتنى من ذلك، وجعلتُه أبواباً فى جميع ما يحتاج إليه فى أحكام المسلمين، فأوّل من نصب نفسه لطلب الصحيح البخارى، وتابعه مسلم وأبو داود والنسائى، وقد تصفّحت ما ذكروه وتدبّرتُ ما نقلوه، فوجدتهم مجتهدين فيما طلبته، فما ذكرته فى كتابى هذا مجملًا فهو ممّا أجمعوا على صحّته، وما ذكرته بعد ذلك ممّا اختاره أحد الأئمة الذين سمّيتهم، فقد ثبتت حجّته فى قبول ما ذكره، ونسبتُه إلى اختياره دون غيره، وما ذكرته فيما ينفرد به أحد أهل النقل للحديث، فقد بيّنتُ علّته، ودللتُ على انفراده دون غيره، وباللَّه التوفيق».

انتهى.

فانظر- أرشدك اللَّه تعالى- هذا الاتّفاق من هذا الإمام، والحرص على تحقيق ما وضعه فى كتابه؛ لم يقنع بوضع البخارى ومسلم وغيرهما مع جلالتهم، بل تتبّع ما وضعوه حتّى وضع فى كتابه.

وهذا شأن الأئمّة الخائفين من اللَّه- عزّوجلّ- من أن يقع منهم زلل فى الإخبار عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم.

ثمّ إنّه رضى اللَّه تعالى عنه ذكر فى هذا الكتاب- فى كتاب الحجّ فى باب ثواب من زار قبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم عن ابن عمر رضى اللَّه عنهما، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم:

(من جاءنى زائراً لم ينزعه إلّازيارتى كان حقّاً على اللَّه أن أكون له شفيعاً يوم

ص: ۱۹۶

القيامة).

ولم يـذكر فى هـذا الباب غير هـذا الحـديث، وهـذا حكم منه بأنّ هـذا الحديث مجمع على صـحّته بمقتضـى الشـرط الذى شـرطه فى الخطبة.

وهو رضـى الله عنه إمام جليل، حافظ مُتقِن، كثير الحديث، واسع الرحلة؛ سـمع بالعراق وخراسان وما وراء النهر، وسـمع بالشام ومصـر، وسـمع من خلائق من أئمّـة الحديث والأجلّاء أهل الدين، وهو من القدماء أصـله بغدادىّ، وسـكن مصـر، ومات بها فى نصف المحرّم سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة رحمة اللَّه تعالى عليه وعلى أمثاله.

وإذا كان هذا حديثاً صحيحاً فكيف يحلّ لأحد يؤمن باللَّه واليوم الآخر أن يجعله ضعيفاً، فضلًا عن أن يجعله كذباً؟!

وأقلّ درجات الثقـة الخائف أن يقول: صـحّحه فلان، وأمّا القول بوضـعه وبتكـذيب هـذا الإمام وأمثاله، فلا يصدر إلّامن زنديق محقّق الزندقة بهذه القرينة وغيرها.

عائذاً باللَّه- عزّوجلّ- من ذلك.

طعن ابن تيمية فى الأئمة والأحاديث المروية

وإذا تقرّر لك ذلك، فانظر- أرشـدك اللَّه تعالى وعافاك- هـذا الخبيث الطويّة كيف طعن فى هذه الأئمّة الأعلام فى علوم الحديث، الذين بهم يُقتدى، وعليهم يُعوّل، وعند ذكرهم تتنزّل الرحمة.

ورماهم بالوضع على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم.

وطعن فى هذه الأخبار المرويّة عن هذه الأئمة.

وهذا شأنه- قاتله اللَّه تعالى- كلّما جاء إلى شىء لا غرض له فيه، طعن فيه وإن كان مشهوراً ومعمولًا به بين الأئمّة.

ص: ۱۹۷

ولا عليه لا من اللَّه- عزّوجلّ- ولا من رسوله صلى الله عليه و آله و سلم، ولا من الناس.

وتتبّه لشيء عظيم رمى به هذه الأئمّة: وهو أنّ من قاعدته أنّ من كذب على النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم متعمّداً كفر، فعليه من اللَّه- عزّوجلّ- ما يستحقّه.

وهذا وغيره يدلّ على أنّ عنده ضغينة للنبيّ صلى الله عليه و آله و سلم ولصاحبيه، وكذا لأُمّته؛ ليفوّت عليهم هذا الخبر الذى رتّبه على زيارة قبره- عليه أفضل الصلاة والسلام-.

فاحذروه، واحذروا تزويق مقالته المطويّ تحتها أخبث الخبائث، فإنّها لا تجوز إلّاعلى عامّيّ أو بليد الذهن، كالحمار يحمل أسفاراً، أو خالٍ من العلوم وأخبار الناس.

وباللَّه تعالى التوفيق، واللَّه أعلم.

قال عليه الصلاة والسلام:(إنّ بين يدى الساعة دجاجلة (۱) فاحذروهم).

رواه مسلم فى صحيحه من حديث جابر بن سَمُرة رضى الله عنه.

وقوله: «وفى الصحيحين عن النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم أنّه قال فى مرض موته:(لعن اللَّه اليهود والنصارى اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد) يحذّر ما فعلوا. قالت عائشة:

ولولا ذلك لأبرزوا قبره، ولكن كره أن يُتّخذ مسجداً، فهم دفنوه فى حجرة عائشة خلاف ما اعتادوه من الدفن فى الصحارى؛ لئلّا يصلّى أَحد عند قبره ويُتّخذ مسجداً، ويُتّخذ قبره وثناً...» إلى آخره.

احتجاج ابن تيمية على منع الزيارة و تدليسه فى كلامه

تأمّل- بصّرك اللَّه تعالى وفهّمك- كيف بعد تضليل هذه الأئمة وفجوره؛

۱- هذا إخبار من المصنّف بأنّ هذا الرجل دجّال وهو يؤيّد ما سبق لنا من أنّ أفعاله أفعال دجاجلة. انتهى. مصحّحه.

ص: ۱۹۸

بادّعاء أنّ هذه الأحاديث المتعلّقة بالزيارة كذب.

كيف أردف ذلك بهذا الحديث؛ محتجّاً به على منع زيارة القبر الشريف.

وفيه من أقوى الأدلّة على تدليسه وسوء فهمه؛ إذ الحديث ليس فيه تعرّض للزيارة ألبتّة، وإنّما فيه منع اتّخاذ القبور مساجد.

ونحن لم نتّخذ قبره المكرّم المعظّم مسجداً، ولا نصلّى فيه ولا إليه، بل نزوره وندعو مع الأدب والخشوع والسكينة ورؤية العظمة؛ لعلمنا بأنّه يسمعنا ويجيبنا، وعلى ذلك جرت عادة المؤمنين.

قال بعضهم: رأيت أَنس بن مالك رضى الله عنه خادم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم أتى قبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، فوقف فرفع يديه حتّى ظننت أنّه قد افتتح الصلاة، فسلّم على النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، ثمّ انصرف.

وقوله: «فهم دفنوه فى حجرة عائشة رضى اللَّه عنها خلاف ما اعتادوه من الدفن فى الصحارى؛ لئلّا يصلّى أحد عند قبره، ويُتّخذ مسجداً، فيُتّخذ قبره وثناً».

هذا أيضاً من التدليس منه وسوء الفهم على عادته، وما قاله باطل يموّه به على الضعفاء من الطلبة وغوغاء الناس.

وإنّما دفنوه فى حجرة عائشة رضى اللَّه عنها؛ لما رُوى لهم أنّ الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- يدفنون حيث يُقبضون.

وكان ذلك بعد اختلافهم أن يدفن؟ فقال بعضهم: يُدفن فى مسجده، وقال بعضهم: مع إخوانه.

فقال أبو بكر رضى الله عنه: عندى من ذلك علم فذكر لهم: أنّ النبى يُدفن موضع يقبض، فلمّا روى لهم الحديث دفنوه موضع قبضه.

وهذا من القضايا المشهورة فى غاية الشهرة، ولا نعلم أنّ أحداً قال: إنّهم

ص: ۱۹۹

دفنوه موضع قبضه للمعنى الذى ذكره.

وهـذا شأنه إن وجـد شـيئاً يوافق هواه وخبث طويّته، ذكره ووسّع الكلام فيه وزخرفه، وإن وجـد شـيئاً عليه أهمله، أو حمله على محمل يعرف به أهل النقل جهله وتدليسه عند تأمّله، وفى بعض المواضع يُعرف من غير تأمّل.

وقوله: وكانت الصـحابة والتابعون لما كانت الحجرة النبويـة منفصـلة عن المسـجد لا يـدخل للصـلاة هناك، ولا يتمتّع بالقبر، ولا دعاء هناك».

هـذا أيضاً من الجسارة التى يُزخرف بها على العوامّ وأشـباههم من سـيّئى الأفهام من الطلبة، فإنّ هذا لا يدلّ على مراده من منع الزيارة، بل كلامه يدلّ على الزيارة بلا هذه الأفعال إلّاالدعاء، فليس كما قال، وسيأتى إن شاء اللَّه تعالى.

ومع ذلك ليس مجمعاً عليه، كما زعمه وأوهمه كلامه.

فـإنّ أبـا أيوب الأنصارى رضـى الله عنه زار والتزم القبر، فأنكر عليه مروان بن الحكم، فوبّخه أبو أيوب، وقال فى كلامه ما معناه: أُبكوا على هذا الأمر إذا وليه غير أهله (۱).

ذكر ذلك أبو الحسين فى كتابه «أخبار المدينة».

وروى عن ابن عمر رضـى اللَّه عنهما: أنّه وضع يده على موضع مقعد النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم من المنبر، ثمّ وضعها على وجهه (۲).

وكان رضى الله عنه يتردّد إلى الأماكن التى كان يتردّد إليها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم وبراحلته لأجل التبرّك.

۱- فى ذلك جواز ضمّ قبور الصالحين، وأبو أيّوب الأنصارى الذى ضمّ ضـريح سيّد الوجود صلى الله عليه و آله و سلم، هو أبو أيّوب وكفى. انتهى مصحِّحه.

۲- فى ذلك جواز التبرّك بآثار الصالحين أيّاً كانت حتّى الخشب الذى كانوا يجلسون عليه، وابن عمر هو ابن عمر. انتهى. مصحِّحه.

ص: ۲۰۰

وقد تقدّمت قصّة بلال رضى الله عنه لمّا شدّ رحله لزيارة قبره عليه الصلاة والسلام، فلمّا وصل الضريح المكرّم جعل يمرّغ وجهه عليه ويبكى (۱).

وقوله: «ولا دعاء هناك».

قضيّة سياقه أنّ الإجماع على أنّه لا يدعو عند القبر، وهى دعوى عريضة.

ثمّ أكّد ذلك بقوله: «إنّما يفعلونه فى المسجد».

ثم أردف ذلك بقوله: «وكان السلف من الصحابة والتابعين إذا سلّموا عليه، وأرادوا الدعاء، دعوا مستقبلى القبلة، ولم يستقبلوا القبر».

ثمّ قال: وأمّا وقت السلام فقال أبو حنيفة: يستقبل القبلة ولا يستقبل القبر، وقال أكثر الأئمّة: يستقبل القبر عند السلام خاصّة، ولم يقل أحد من الأئمّة: إنّه لا يستقبل القبلة عند الدعاء إلّافى حكاية مكذوبة عن مالك، ومذهبه بخلافها.

ثمّ أردف هذا بأُمور يجسر بها على الأغمار، يتخيل الواقف عليها من العوامّ حسم باب الزيارة لقبره عليه الصلاة والسلام.

والحاصل من كلامه: أنه لا يُدعى عند القبر بالاتّفاق، ولا يُستقبل القبر عند

۱- انظر تمريغ سيّدنا بلال وجهه على ضريح خير الخلق، وبلال هو بلال، تجده صورة طبق الأصل لما يحصل من كثير من الزائرين اليوم والزائرات للصالحين من أهل البيت وغيرهم، ويقوم ويقعد كثير من المتنطّعين لذلك، ولا يرضون لفاعله غير الشرك باللّه، ليحكموا بذلك على بلال الذى يُعدّ من أجلّاء الصحابة، وهو مؤذّن رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم. ليعلم أولئك المتنطّعون أنّ ذلك أثر وجد فى النفوس لا يشعرون هم به، يحمل أهله على التبرّك بما يجاور حبيب ربّهم، وهو من باب قول القائل:

ص: ۲۰۱

الدعاء بالإجماع، وأَنّ الحكاية التى وقعت بين مالك وأبى جعفر المنصور كذب.

سبحانك هذا بهتان عظيم، وهذا من الفجور الذى لا أَعلم أحداً فاه به، ولا رمز إليه؛ لا من العلماء ولا من غيرهم.

أما قضيّة مالك مع المنصور فقد ذكرتها فى الكلام على التوسّل، فإنّها صحيحة بلا نزاع.

وأَما الدعاء عند القبر فقد ذكره خلق، ومنهم الإمام مالك، وقد نصّ على أنّه يقف عند القبر، ويقف كما يقف الحاجّ عند البيت للوداع، ويدعو، وفيه المبالغة فى طول الوقوف والدعاء، وقد ذكره ابن المواز فى الموازية.

فأفاد ذلك: أنّ إتيان قبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم والوقوف عنده والدعاء عنده من الامور المعلومة عند مالك، وأنّ عمل الناس على ذلك قبله وفى زمنه، ولو كان الأمر على خلاف ذلك لأنكره، فضلًا عن أن يُفتى به، أو يُقرّه عليه.

وقال مالك فى رواية ابن وهب: إذا سلّم على النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم ودعا يقف ووجهه إلى القبر، لا إلى القبلة، ويدعو ويسلّم، ولا يمسّ القبر بيده.

نعم فى «المبسوطة»: لا أرى أنّه يقف عنده ويدعو، ولكن يسلّم ويمضى.

وإنّما ذكرت كلام «المبسوطة» لأنّ من حقّ العالم الذى يؤخذ كلامه أن يذكر ما له وما عليه؛ لأنّ ذلك من الدين.

وقال أبو عبداللَّه محمّد بن عبداللَّه السامرى فى كتاب «المستوعب» فى باب زيارة قبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم: «وإذا قدم مدينة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم استُحبّ له أن يغتسل لدخوله، ثمّ يأتى مسجد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم، ويقدّم رجله اليمنى فى الدخول، ثمّ يأتى حائط القبر، فيقف ناحيته، ويجعل القبر تلقاء وجهه، والقبلة خلف ظهره، والمنبر عن يساره، ثمّ ذكر كيفية السلام والدعاء وأطال، ومنه: اللّهمّ إنّك قلت فى كتابك لنبيّك- عليه الصلاة والسلام-: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوكَ الآية، وإنّى

ص: ۲۰۲

قـد أتيتـك مسـتغفراً، فأسألك أن توجب لى المغفرة، كما أوجبتها لمن أتاه فى حال حياتهِ اللّهمّ إنّى أتوجه إليك بنبيّك» وذكر دعاء طويلًا، ثم قال: وإذا أراد الخروج عاد إلى القبر فودّع».

وهـذا أبو عبـداللّه من أئمـة الحنابلـة، وساق هذا الكلام سـياق المتّفق عليه. ومن جملة ما أفاد: أنّه يتوسّل بالنبىّ صـلى الله عليه و آله و سلم، ويتوجّه به بعد وفاته كما فى حياته، وأنّ الآية عامّة وشاملة للحياة وبعد الوفاة، فتنبّه لذلك.

وكذلك ذكره أبو منصور الكرمانى من الحنفية: أنّه يدعو ويُطيل الدعاء عند القبر المكرّم.

وقال الإمام أبو زكريا النووى فى مناسـكه وغيره: فصل فى زيارة قبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، وذكر كلاماً مطوّلًا، ثمّ قال: «فإذا صلّى تحيّة المسـجد أتى القبر، فاستقبله واستدبر القبلة على نحو أربعة أذرع من جدار القبر، وسلّم مقتصداً لا يرفع صوته»، وذكر كيفيّة السلام، ثمّ قال: «ويجتهد فى إكثار الدعاء، ويغتنم هذا الموقف الشريف...» إلى آخره.

فهذه نُقُول الأئمّة بتطويل الدعاء عند القبر المكرّم، وقد خاب من افترى وكلّ أحد تلحقه الخيبة على قدره.

وقوله: «وهـذا كلّه محافظـة على التوحيد، فإنّ من أُصول الشـرك باللّه اتّخاذ القبور مساجد، كما قال طائفة من السـلف فى قوله تعالى: لَاتَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً.

قـالوا: كـان هؤلاء قومـاً صـالحين فى قوم نوح، فلمّـا مـاتوا اعتكفوا على قبورهم ثمّ صوّروا على صورهم تماثيل، ثمّ طال عليهم الأمد فعبدوها.

وقد ذكر ذلك المعنى البخارى فى صـحيحه عن ابن عبّاس رضى اللّه عنهما، وذكره ابن جرير الطبرى فى تفسيره وغيره عن غير واحد من السلف...»

ص: ۲۰۳

إلى آخره.

وأنت- أيّها اللبيب أرشدك اللَّه عزّوجلّ وزادك بصيرة وفهماً- إذا تأمّلتَ هذا الاستدلال منه قطعت بجهله وبخلطه فى خبطه، وعلمت بذلك سوء فهمه وخيالاته الفاسدة، ومن نفس الدليل تعلم ذلك.

فإنّه تخيّل بذهنه الجامد وخياله الفاسد: أنّ منع الزيارة والسفر إليها من المحافظة على التوحيد، وأنّ الزيارة تؤدّى إلى الشرك وعبادة الأوثان.

وهذا خيال فاسد؛ لأنّ اتّخاذ الصور مساجد وعيداً والعكوف وتصوير الموتى فيها، هو المحذور، والمؤدّى إلى الشرك عند تطاول الزمان، وهذا هو الممنوع منه، كما هو مصرّح به فى الأحاديث الصحيحة فى قوله عليه الصلاة والسلام:(لعن اللَّه اليهود والنصارى اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد) يحذر ما صنعوا.

وفى قوله- عليه الصلاة والسلام- لمّا أخبر بكنيسة بأرض الحبشة، قال:

(أُولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، ثمّ صوّروا فيه تلك الصور، أُولئك شرار الخلق عند اللَّه عزّوجلّ).

فهذا هو الذى حذّر منه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم.

وأمّا الزيارة والسلام على الميّت والدعاء له وعنده، فلم يؤدِّ إلى ذلك ولا له تعلّق بتلك الأُمور.

ومن تخيّل ذلك فهو من سوء فهمه فى هذا الأمر الواضح.

ولو كان يؤدّى إلى ذلك لما شرّعه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم.

وأبلغ من ذلك لما أمره اللَّه- عزّوجلّ- بالخروج إلى قبور الشهداء الذين أكرمهم بالشهادة، حين نزل عليه جبريل عليه السلام، وأمره بأمر اللَّه تعالى بالخروج إلى بقيع الغرقد، بل كان نهاه أن لو أراد الخروج.

وأيضاً فإنّه- عليه الصلاة والسلام- قال:(زوروا القبور) كما رواه مسلم

ص: ۲۰۴

وغيره بزيادة...

إلى غير ذلك ممّا علّمهم عليه الصلاة والسلام كيفيّة الزيارة، كما جاء فى الأحاديث فى زيارتها قولًا وفعلًا، وتواتر ذلك.

وأجمع عليه المسلمون حتى أنّ منهم من أوجب زيارتها؛ لظاهر قوله- عليه الصلاة والسلام-:(زُوروا القبور).

فلو كانت الزيارة من الأُمور التى تؤدّى إلى الشرك- كاتّخاذها مساجد وعيداً والتصوير ونحو ذلك- لم يشرعه اللَّه- عزّوجلّ- لنبيّه صلى الله عليه و آله و سلم، ولا شرّعها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم بقوله وبفعله.

وقد أطلعه اللَّه- عزّوجلّ- على ما أراد من غيبه، وبعثه بدينه القويم، وهو الصراط المستقيم.

ولا فعلها الصحابة رضى اللَّه عنهم الذين هم من أصفياء اللَّه تعالى.

بل كانوا أحرص الناس على ذلك؛ خوفاً من إعادة ما جاء رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم بإماتته ودفنه واندراس أثره، واللَّه أعلم.

وأنت أيّها العاقل الفطن إذا تصوّرت ما نقلتُهُ لك، وتعقَّلْتَهُ بذهنك الصحيح، علمت وتحقّقتَ أنّه ليس لأحد أن يحرّم إلّاما حرّم اللَّه تعالى ورسوله، وأنّه لا يحلّ له التهجّم على موارد الشرع ومصادره بخيالاته الفاسدة.

وأنّه بذهنه الجامد أدرك ما لم يدركه الصحابة رضى اللَّه عنهم.

ولو فتحنا هذا الباب، وتتبعنا هذه الخيالات الفاسدة، لهدمنا أُموراً كثيرة من الدين ولانحلّت عُراه عُروة عروة، وتبدلّت بعد الجهالة، ولمات الدين، وذلك من الخسران المبين.

شعر:

فالقول ما قال النبىُّ وصحبُهُ فإذا اقتديتَ بهم فنعْمَ المُقْتدى

و احتجاج ابن تيمية بحديث آخر على مدعاه

وأعلم: أنّ من جملة ما احتجّ به على منع زيارة قبره- عليه الصلاة والسلام- حديث(اللّهمّ لا تجعل قبرى وثناً وعيداً، اشتدّ غضب اللَّه على قوم اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد).

وهذا من أظهر الامور على عمى قلبه وطَمْس بصيرته.

كيف يتخيّل متخيّل- فضلًا عن أن يعتقد معتقد- أنّ قبره المكرّم المعظّم يصير وثناً.

كلّا والذى رفع ذكره، وأعلى قدره وعظّمه، وملأ كتابه بذلك، لا يمكن تصوّر ذلك.

وكيف يُتصوّر وهو لا تردّ له دعوة ولو فى حقّ غيره؟! فكيف بما هو فى حقّه؟!

موارد من أدعية النبى

وهذا من المعلوم الشائع الذائع عند المتّسع الباع، ولو عددت لك نقطة من ذلك مع الاقتصاد، لضاقت القراطيس والألواح. ولما أُدرك غبار مباديه ولما لاح:

دعا عليه الصلاة والسلام لسعد بن أبى وقّاص: أن يجيب اللَّه دعوته، فما دعا على أحد إلّااستُجيب له.

وإذا كان هذا قد ناله ببركة دعوته، فكيف بدعائه لنفسه، لا سيّما فى هذا الأمر الفظيع؟!

ومرض أبو طالب فعاده عليه الصلاة والسلام، فقال: ادعُ ربّك أن يعافينى، فقال: اللّهمّ اشفِ عمّى، فقام فى الحال كأنّما نشط من عقال. فقال له: يا ابن أخى أيطيعك ربّك؟ فقال: يا عمّاه لئن أطعت اللَّه- عزّوجلّ- ليطيعنّك).

ودعا عليه الصلاة والسلام لابنته فاطمة رضى اللّه عنها أنّ اللّه لا يُجيعها.

ص: ۲۰۵

ص: ۲۰۶

قالت رضى اللّه عنها: فما جعتُ بعد.

ودعا عليه الصلاة والسلام لعلىّ رضى الله عنه أن يكفيه الحرّ والبرد، فكان يلبس فى الشتاء ثياب الصيف، وفى الصيف ثياب الشتاء، ولا يصيبه حرّ ولا برد.

ودعا عليه الصلاة والسلام لابن عبّاس، فقال:(اللّهمّ فقّهْهُ فى الدين وعلم (۱) التأويل) فكان كذلك، وكان بعد ذلك يُسمّى الحَبْر وترجمان القرآن.

ودعا لعبد الرحمن بن جعفر بالبركة فى صفقة يمينه، فما اشترى شيئاً إلّا ربح فيه.

ودعا عليه الصلاة والسلام لعروة بن أبى الجعد، فكان لو اشترى التراب لربح فيه.

ودعا عليه الصلاة والسلام لعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بالبركة، قال عبدالرحمن: فلو رفعت حجراً لرجوتُ أن أُصيب تحته ذهباً.

وندت عليه ناقة فدعا بردّها، فجاءها إعصار ريح حتّى ردّها عليه.

فانظر كيف من كساه خِلَع القُرب والمنزلة عنده أن جعلها سائسة بعيره.

والإعصار أحد الأعاصير، وهو الريح العاصف التى ترتفع إلى السماء كأنّها عمود.

وفى حديث أسماء بنت عميس رضى اللّه عنها أنّه- عليه الصلاة والسلام-:

(كان يُوحى إليه ورأسه فى حِجْر علىّ رضى الله عنه، فلم يصلِّ العصر حتّى غَرُبت الشمس، فقال عليه الصلاة والسلام: اللّهمّ إنّه كان فى طاعتك وطاعة رسولك، فاردد عليه الشمس. فقالت أسماء رضى اللّه عنها: فرأيتُها غربت، ثمّ رأيتُها طلعتْ بعدما غرُبتْ، ووقعتْ على الجبال، وذلك بالصبهاء بخيبر).

۱- وعلمه. انتهى. مصحِّحه.

ص: ۲۰۷

وقيل: رجعت حتّى بلغت نصف المسجد (۱).

ومثل هذا كثير جدّاً، وقد ذكرتُ جملةً من ذلك فى فصل الحجّ فى كتاب «تنبيه السالك على مظانّ المهالك».

يا من أمدّ أبا هرٍّ بمزْودةٍ فأُوقرتْ منهُ للغادينَ أحمالُ

جئناكَ نَطْوى الفِجاجَ المُقْفِراتِ على عيسٍ لها فى السُّرى وجدٌ وإرقالُ

قال أبو هريرة رضى الله عنه:(أصاب الناس مخمصة، فقال لى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم: هل من شىء؟ فقلت: نعم، شىء من التمر فى المِزْود. قال: فأْتِنى به، فأدخل يده، فأخرج قبضة، فبسطها ودعا بالبركة. ثمّ قال: ادعُ عشرة فأكلوا حتّى شَبِعوا، ثم عشرة كذلك؛ حتّى أطعم الجيش كلّهم وشبعوا. ثمّ قال: خذ ما جئتَ به، وأدخل يدك واقبض منه، ولا تُكفِئه، فقبضتُ على أكثر ما جئتُ به، فأكلتُ منه وأطعمتُ حياة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم وأبى بكر وعمر رضى اللَّه عنهما إلى أن قُتل عثمان رضى الله عنه، فانتُهب منى، فذهب).

وفى رواية: فقد حملتُ من ذلك التمر كذا وكذا أوسقاً فى سبيل اللَّه تعالى.

فقد تحققتَ بهذا- فضلًا عن غيره، وهو مثل الرمال كثيرة- يا صحيح الذهن وقوىّ الإيمان به، أنّه لا يكون قبره وثناً ألبتة.

بل فى الحديث الصحيح:(قد أيس الشيطان أن يُعبد فى جزيرة العرب).

أوَ مثل هذا السيّد المُعظَّم المُكرَّم لا يُتوسّل به، ولا تُشدّ الرحال إليه؟!

قاتل اللَّهُ العزيزُ من قاله، وضاعف العذاب عليه.

۱- هذا حديث ردّ الشمس.

ص: ۲۰۸

جديرٌ بنا نسعى إليه ونُدلجُ فذاك الذى يُسعى إليه ويُدلَجُ

جعلنا إليه فى الحياة احتياجنا ونحنُ إليه فى القيامةِ أحوجُ

جميعُ الورى والرُّسْلِ تحت لوائه ومن ذا له عن جاهِ أحمدَ مَخْرجُ

أو لهذا السيّد الجليل المبجَّل لا يشدّ إليه رحل ولا يتوسّل به؟!

قاتل اللَّه قائله، وجعله على رَضْف (۱) جهنّم يتمايل.

زكا قدرُهُ من ذا يُجاريهِ فى العلا وأعلامُهُ فى ذِرْوة العزِّ تُركَزُ

زحاماً ترى للرُّسْلِ تحت لوائِهِ وكلُّ نبيٍّ باللِّوا يتعزّزُ

زعيم بتعجيل الشفاعةِ عندما أُولو العزمِ عنها فى القيامة تعجزُ

زفيرُ لظىً عنّا يُردُّ بجاهِهِ إذا هىَ من غيظٍ علينا تميَّزُ

زكاة على الأبدان تسعى لقبره فسيروا وزوروا فالغنائمُ تُحرَزُ

فمن زارهُ نالَ السعادَة كلَّها ومن ماتَ عجْزاً ذاك واللَّه أميزُ

فمن توسّل به- عليه الصلاة والسلام- إنّما توسّل به لعلُوّ قدره ورتبته، وارتفاع منزلته وكمالها عند ربّه، وعظيم إجلاله وفضله على جميع خلقه، كما أخبر هو عن نفسه.

فإنّه سيّد الأوّلين والآخرين، وحبيب ربّ العالمين، وأحبّ الخلق إليه أجمعين.

ذلك شائع وذائع فى الأقدمين والآخرين؛ حتّى فى أعدائه المبطلين.

قديماً بدا قبلَ النبيّينَ فضلُهُ وإن قدموا بعثاً ففى الفضل أسبقُ

قضى اللَّهُ أن لا يلحق الرُّسْلَ لاحقٌ ولا أحدٌ منهم بأحمدَ يلْحَقُ

قَطعنا بأن لا يخلق اللَّهُ شبههُ قديماً ولا فى آخر الخلق يُخلَقُ

قل الحقّ هل تدرى لأحمدَ مُشْبهاً فبادر وقل: لا لا، فإنّك تصدُقُ

قرأنا أحاديثاً صِحاحاً بأنّه عليه لواءُ الحمدِ فى الحشرِ يخْفِقُ

قياماً له الأملاكُ والرُّسْل تحتَهُ ومن حولِهِ صفّواً وحفّواً وأحْدَقوا

قويّ ولكن ليّنٌ فى أُناسه رفيق ولكن بالمساكين أرفقُ

قريب لأرباب الحوائجِ ما ترى لأحمدَ حُجّاباً ولا البابُ يُغلقُ

وكيف لا يكون كذلك؟ وهو كما قيل فيه:

أكرمُ العالمينَ أصلًا وفصلًا وجلالًا وسيّد البطحاءِ

خُصّ بالحوضِ والشفاعةِ فى الحشرِ لكلِّ الورى ورَفْعِ اللواءِ

والمقام المحمود والسبق للنّا سِ دُخولًا فى الجنّةِ الفيحاءِ

ثمّ يُعطى وسيلةً هى أعلى درجاتِ الجنانِ ذاتِ البقاءِ

هو جارى وعُدّتى ونصيرى وعمادى فى شدّتى ورخائى

وليس هذا خاصّاً بى وبفقرى، بل هو كما قيل فيه:

له المقام الذى ما ناله أحدٌ والفخرُ والمجدُ والإحسانُ والحَسَبُ

وَهْو الشفيعُ الذى تُنجى شفاعتُهُ كلَّ الأنامِ إذا ما مسَّها العَطَبُ

محمّدٌ خيرُ خلْقِ اللَّهِ قاطبةً وَهْو الذى لفخار المجدِ يكتسبُ

نوِّهْ بِهِ يا مُنادى الحىِّ إنَّ بِهِ تزولُ عن قلْبىَ الآلامُ والكُرَبُ

عانٍ له مُقلةٌ تشتاقُ تنظرُهُ ومُهجةٌ بلهيبِ الشوقِ تلتهبُ

وكيف لا تلتهب؟! وقد شاهدت ما شاهدت ممّا لا يمكن النطق به، ولا أفوه، وكيف كيف أسلوه؟!

وعى اللَّهُ بالبطحاءِ أيّامنا التى مضت كوميضِ البْرقِ ثَمّ تولّتِ

۱- الرَّضْف: الحجارة المحماة.

ص: ۲۰۹

ص: ۲۱۰

ص: ۲۱۱

وحيّا قِباباً بين سَلْعٍ إلى قِبا لعزّتها يحلو خضوعى وذِلّتى

نَعِمتُ بها لكن كأحلامِ نائمٍ كأنْ لم تَزُرْها العيسُ حتّى تولّتِ

فهل لى إلى تلك العوالمِ عودةٌ ولو دونها بيضُ الصوارمِ سُلّتِ

وألثَمُ إجلالًا ثَراها وأجْتلى شموسىَ فى أرجائها وأَهلّتى

سقى اللَّهُ ذاتَ الظلِّ من دارة الحِمى حياً نَهِلتْ منهُ رُباها وعلّتِ

وسحّتِ على أعلامِ سَلْعٍ مديمةً غمائمُ بالنوءِ الرَّوىّ استهلّتِ

فتلكَ لَعمْرُ اللَّهِ دارُ أحبَّتى وسُكّانها كلّ المرادِ وبُغيتى

ألا ليتَ شِعْرى هل أزورُ قِبابَها فتحمَدُ فيها العيسُ شدّى ورِحْلتى

وأنشدُ فى أكنافِها مترنّماً لمن نظم مدحى فيهِ بيت قصيدتى

ألا يا رسولَ اللَّهِ أنتَ وسيلتى إلى اللَّهِ إذْ ضاقت بما رُمتُ حيلتى

وان شئت قلت:

إلى اللَّهِ فى غفرانِ ذنبى وزلّتى.

فالتوسّل به- عليه الصلاة والسلام- لم يزل منذ آدم عليه السلام، لا يتوقّف فيه أحد، ولا يطعن؛ إلى أن ظهر بعض زنادقة اليهود وغلاتهم فى بغضه- عليه الصلاة والسلام-.

قال: وإنّه بموته بطلت حُرمتُهُ وجاهُهُ، فلا يتوسّل به، ولا يقال: يا جاه محمّد.

وتمّ ذلك بتوارث سلالتهم معتقدين ذلك مُصرّين عليه.

استدلال ابن تيمية على أن التوسل شرك، والرد عليه

ثمّ زاد هذا الخبيث: أنّ التوسّل به شرك.

وقرّره بتقرير ألحقه بقوله: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى.

وذلك يدلّ على انّه من أجهل الجهلة.

ص: ۲۱۲

فإنّ التوسّل به- عليه الصلاة والسلام- معناه: أسأل اللَّه- عزّوجلّ- برسوله، وأتشفّع إليه به.

فهو سائل للَّه- عزّوجلّ- لا لغيره.

ولا يلزم من التوسّل به أو بشخص والتشفّع إليه به، أن يكون عبده، ولا اتّخذه إلهاً وربّاً من دون اللَّه، ولا جعله شريكاً فى الإلهية.

ومن جعل التوسّل بشخص، مثل هؤلاء (۱)، فهو من جهله وسوء فهمه وعدم تعقّله ما يقول.

ومثل هذا لا يحلّ لأحد أن يقلّده، ولا ينظر فى كلامه إلّامن له رتبة التمييز بين الحقّ والباطل، وإلّا هلك وهو لا يشعر.

وقد قال عليه الصلاة والسلام:(حياتى خير لكم ومماتى خير لكم) قالوا: يا رسول اللَّه قد عرفنا أنّ حياتك خير لنا، فكيف وفاتك خير لنا؟ قال:(أمّا حياتى فإنّكم كلّما أحدثتم حدثاً أحدث اللَّه لكم المخرج منه بى، فإذا متّ فلا أزال أُنادى من قبرى: «ربّى أُمّتى» حتّى يُنفخ فى الصور، ثم لا أزال أُجاب أربعين سنة حتّى يُنفخ الأُخرى، وتعرض علىّ أعمالكم، فما كان من حسن شكرتُ اللَّه عليه، وما كان سيّىء دعوتُ اللَّه أن يغفره).

رواه الإمام العلّامة هبة اللَّه فى كتابه «توثيق عُرى الإيمان»، ورواه غيره.

فهو- عليه الصلاة والسلام- رحمة لنا فى حياته وبعد وفاته، فكيف لا يُتوسّل به إليه، ولا نُعمل البُزُل (۲) القناعيس (۳) نحوه وإليه.

وذلك ممّا أجمع أهل التوحيد عليه، وأجمعوا على تكفير من قال بخلاف ذلك.

۱- هنا محذوف هو المفعول الثانى ل «جعل»، تقديره «شركاً» ليستقيم الكلام. انتهى مصحّحه.

۲- مفرده: بازل، وهو البعير الذى طلع نابه.

۳- مفرده: قِنْعاس، وهو الجمل الضخم العظيم.

ص: ۲۱۳

صرّح به أئمّة الأُمّة، وأوّلهم مالك.

وكان ابن تيميّة ممّن يعتقد ويُفتى: بأنّ شدّ الرحال إلى قبور الأنبياء حرام؛ لا تُقصَر فيه الصلاة، ويصرِّح بقبر الخليل وقبر النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم.

وجاء بريديّ من مصر باعتقاله على ذلك فاعتقل.

ابن القيم و ابن كثير و تعزيره لأجل اتباع ابن تيمية

وكان على هذا الاعتقاد تلميذه ابن قيّم الجوزيّة الزرعى، وإسماعيل بن كثير الشركوينى.

فاتّفق أنّ ابن قيّم الجوزيّة سافر إلى القدس الشريف، ورقى على منبر فى الحرم ووعظ، وقال فى أثناء وعظه، بعد أن ذكر المسألة، وقال: ها أنا راجع، ولا أزور الخليل. ثمّ جاء إلى نابلس، وعمل له مجلس وعظ، وذكر المسألة بعينها حتّى قال:

فلا يزور قبر النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم.

فقام إليه الناس وأرادوا قتله، فحماه منهم والى نابلس، وكتب أهل القدس وأهل نابلس إلى دمشق يعرّفون صورة ما وقع منه، فطلبه القاضى المالكى، فتردّد، وصعد إلى الصالحية إلى القاضى شمس الدين بن مسلم الحنبلى، وأسلم على يديه!

فقَبل توبته، وحكم بإسلامه، وحُقن دمه، ولم يعزّره لأجل ابن تيميّة.

ولمّا كان يوم الجمعة رابع شعبان، جلس القاضى جلال الدين بعد العصر بالمدرسة العادلية، وأحضر جماعة من جماعة ابن تيميّة كانوا معتقلين فى سجن الشرع، فادّعى على إسماعيل بن كثير صاحب التاريخ أنّه قال: إنّ التوراة والإنجيل ما بُدِّلا، وأنّهما بحالهما كما أُنزلا، وشهدوا عليه بذلك، وثبت فى وجهه، فعُزِّر فى المجلس بالدِّرّة، وأُخرج وطيف به، ونُودى عليه بما قاله.

ثمّ أُحضر ابن قيّم الجوزيّة، وادُّعى عليه بما قاله فى القدس الشريف وفى

ص: ۲۱۴

نابلس، فأنکر، فقامت علیه البیّنهٔ بما قاله.

فأُدّب وحمل علی جمل، ثمّ أُعیدوا فی السجن.

ولمّا کان یوم الأربعاء أُحضر ابن قیّم الجوزیّهٔ إلی مجلس شمس الدین المالکی، وأرادوا ضرب عنقه (۱)، فما کان جوابه إلّاأن قال: إنّ القاضی الحنبلی حکم بحقن دمی وبإسلامی وقبول توبتی.

فأُعید إلی الحبس إلی أن أُحضر الحنبلی، فأُخبر بما قاله، فأُحضر ولم یثبت له عُذر.

وضرب بالدِّرّهٔ، وأُرکب حماراً وطیف بن فی البلد والصالحیهٔ، وردّوه إلی الحبس، ولم یزل هذا فی أتباعه.

وحضر شخص إلی دمشق یقال له أحمد الظاهری، وکان قد حفظ آیات المتشابه وأحادیثه، فکان یسردها علی العوامّ وآحاد الناس من الفقهاء، فعظّمه أتباع ابن تیمیّهٔ وأکرموه.

ثم إنه توجّه إلی القاهرهٔ، فشرع یسرد الآیات والأحادیث، فعلم به الإمام العلّامهٔ الشیخ سراج الدین البلقینی فطلبه، وأَعلم به برقوق، فأخذوه وقیدوه، وکانوا یضربونه بالسیاط أوّل النهار، ثم یستعملونه فی العمارهٔ، فإذا کان آخر النهار أعادوا علیه الضرب.

ثمّ بلغنی أنّ آخر الأمر أن ضربوا عُنُقه.

ابن رجب الحنبلی یکفر ابن تیمیهٔ

وکان الشیخ زین الدین ابن رجب الحنبلی ممّن یعتقد کفر ابن تیمیّهٔ، وله علیه

۱- هذه قیمهٔ ابن القیّم یراها القارىء مجسّمهٔ أمامه فی هذا السیاق، فلیعرفها ولا یغترّ. انتهی. مصحِّحه.

ص: ۲۱۵

الردّ، وکان یقول بأعلی صوته فی بعض المجالس: معذور السُبکی؛ یعنی فی تکفیره.

والحاصل: أنّه وأتباعه من الغلاة فی التشبیه والتجسیم، والازدراء بالنبی صلی الله علیه و آله و سلم وبغض الشیخین، وبإنکار الأبدال الذین هم خلفوا الأنبیاء.

ولهم دواهٍ أُخر لو نطقوا بها لأحرقهم الناس فی لحظة واحدة.

فنسأل اللَّه تعالی العافیة ودوامها، إنّه علی ما یشاء قدیر، وبالإجابة جدیر.

وجرّسوا (۱) بابن القیّم وابن کثیر، وطیف بهما فی البلد وعلی باب الجوزیّة؛ لفتواهم فی مسألة الطلاق، واللَّه أَعلم.

وأعلم: أنّی اقتصرت علی الکلام علی هذه الفتوی لإشاعتها بین العوامّ، وفیها التعرّض لمنع الوسیلة، ومنع شدّ الرحال إلی قبر سیّدنا رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم، واستدلاله لما قاله بالتجسیر والتمویهات التی بینا بطلانها وفسادها.

وأنّ ذلک من أظهر الأُمور علی فجوره فی النقل والإغراء.

وأنّه لا یحلّ أن یقلّده ولا یأخذ عنه، ولا ینظر فی کلامه ولا یسمعه إلّامن یکون له رتبة التمییز بین الحقّ والباطل، وإلّا هلک وهو لا یشعر (۲).

۱- أی ندّدوا.

۲- هذا حکم من هذا الإمام الکبیر علی کلّ من یتبع ابن تیمیّة بأنّه هالک فی دینه. وانظر معنی الهلاک فی مثل هذا المقام.

ص: ۲۱۶

الدعوة إلى معارضة ابن تيمية و أتباعه السلفية قولا و عملا

ثمّ من الأُمور المهمّة المقرِّبة إلى اللَّه- عزّوجلّ- وإلى رسوله وإلى وزيريه رضى اللَّه عنهما، بسط الألسن والأيدى فيهم؛ جرياً على ما درج عليه العلماء والسلاطين؛ منذ أثار هذا الخبيث هذه الخبائث.

وأن يُعلن بالتوسّل بسيّد الأوّلين والآخرين.

وأن يُعتنى بإظهار شدّ الرحال وإعمال المُطىّ والأقدام إلى خير خلقه وحبيب القلوب، ومن بذكره تنجلى الكروب، ويهتزّ الطروب.

وبالصلاة والسلام عليه تذهب الذنوب، التى بسببها حصل الإبعاد عن المزار وبعد الدار:

روى زيد بن أسلم أنّ عمر خرج ليلة يحرس، فرأى مصباحاً فى بيت، وإذا عجوز تنفش صوفاً وتقول:

على محمّد صلاة الأبرارْ صلّى عليه الطيّبون الأخيارْ

قد كنتَ قوّاماً بكا فى الأسحار يا ليت شعرى والمنايا أطوارْ

هل تجمعُنى وحبيبى (۱) الدارْ

تعنى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم.

قال: فجلس عمر رضى الله عنه يبكى شوقاً إلى حبيبه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم، وتتصعّد أنفاسه من نار الشوق، لولا دموع المحبّين تطفىء نار الشوق لاحترقت أكبادهم بأنفسهم.

يا خليلىَّ قد بلغتُ القصدا وعرفتُ الغرام هَزْلًا وجدّا

خلّيانى من ذكر سلمى ونجدٍ ودعانى من حبّ سلمى وسعدى

أنا لى فى حشاشتى حبُّ بدرٍ أقسم الدهرُ أنّه لا يبدى

۱- «وحبيبى» انتهى مصحِّحه.

ص: ۲۱۷

نار وجدی بحبّه فی ازدیادٍ وغرامی به تزایدَ جدّا

کُلّما رُمتُ أنّ نفسیَ عنهُ تتسلّی أبت ولا تتهدّی

وتراها إذا ترنّم حادٍ بُرباها تذوب شوقاً ووَجْدا

لا تَلُمْها إذا بدت بحنینٍ وأنینٍ یقِدّ ذا القلبَ قدّا

فلها مَعْهدٌ وأنسٌ قدیم لیس یفنی وإن تطاول عهدا

کان الصدّیق رضی الله عنه من المشغوفین بمحبّهٔ رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم.

قال سیف بن عمر: وکان سببُ موتِ الصّدیق رضی الله عنه وفاهَ رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم؛ کمداً علیه، فما زال جسمه یتحرّق حتّی مات.

والکمد الحزن المکتوم

کنتَ السوادَ لناظری وعلیک کنتُ أُحاذرُ

من شاء بعدکَ فلْیمتْ فَعلیکَ یبکی الناظرُ (۱)

۱- أحفظ هذین البیتین هکذا:

ص: ۲۱۸

والحمـدُ للّه‌أوّلًا وآخراً؛ وباطناً وظاهراً، والحمد للّه ربّ العالمين، وصـلّى اللّه على سيّد الأوّلين والآخرين، وأكرم السابقين واللاحقين، ورضى اللّه عن الصدّيقين والصحابة أجمعين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. آمين آمين.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، علی أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فی آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسيّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹